وسام الباش

الجدائر

بين نبوءات القرآن ونبوءات التوراة

http://kotob.has.it

عاصمة الثقافة العربية 2009

الجدار بين نبوءات القرآن ونبوءات التوراة

- هل يبني اليهود الجدار وفقاً لارث توراتي؟
- علاقة بني اسرائيل بالحصون والاسوار منذ الخروج وحتى السبي البابلي؟
- موسى عليه السلام وبنو اسرائيل، (الجدار وفكرة الخلاص الأولى في اثناء الخروج)؟
- حصون المدن التي غزاها العبرانيون حقيقة أم خيال ؟
- نبوءات السبي والسبي البابلي بين تدمير الحصون وبناء الاسوار؟
- تدمير دمشق والمدن الحصينة في إفرايم؟
- نبوءة عقاب بابل بسبب سبي الاسرائيليين وتقويض أسوارها؟
- نبوءات تدمير حصون دمشق وغزة وأدوم وصور ومواب وعمون ويهوذا والسامرة لعاموس؟
- نبوءات أسوار أورشليم قبل السبي وفي اثنائه؟
- اليهود في الجزيرة العربية، وقصة أخرى لعلاقة اليهود بالحصون والأسوار؟
- الحصون اليهودية في الجزيرة العربية، لماذا بنيت؟ ومتى؟
- هل يبني اليهود الجدار الفاصل تلبية لأمر إلهي؟
- الجدار الفاصل خلاصة التاريخ الديني والنفسي والاجتماعي والسياسي لبني إسرائيل؟
- كيف بشر القرآن الكريم بنهاية جُدُرهم؟

الناشر

صفحات للدراسات والنشر
www.darsafahat.com

دار الزمان
نيل وفرات.كوم
www.neelwafurat.com

ISBN 978-9933-402-21-1

http://kotob.has.it

الجذائر

بين نبوءات القرآن
ونبوءات التوراة

http://kotob.has.it

نحو فكر
حضاري متجدد

القدس
عاصمة الثقافة العربية
2009 م

الكتاب: الجدار بين نبوءات القرآن ونبوءات التوراة

المؤلف: وسام الباش

الإصدار الأول 2009 م

عدد النسخ: 1000/ عدد الصفحات: 156

الغلاف: م. جمال الأبطح

التدقيق اللغوي: مظهر اللحام

الإشراف العام: يزن يعقوب /جوال 00963 933 418 181

الإخراج الفني: فؤاد يعقوب /جوال 00963 933 902 764

دار
صفحات للدراسات والنشر

سورية - دمشق - ص.ب: 3397

هاتف: 00963 11 22 13 095

تلفاكس: 00963 11 22 33 013

www.darsafahat.com
info@darsafahat.com

الترقيم الدولي ISBN
978-9933-402-21-1

http://kotob.has.it

الجزائر

بين نبوءات القرآن ونبوءات التوراة

وسام الباش

http://kotob.has.it

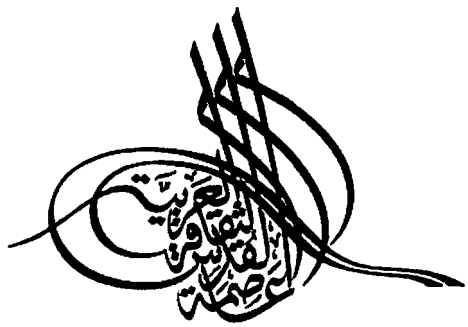

http://kotob.has.it

الإهداء

إلى التي حملتني وهناً على وهن، ولم تطلب من الحياة سوى مرضاة الله، ورؤية الأبناء يؤدون الرسالة

إلى والدتي عائشة محمد الحدق

إلى الذي علّمني أن الفرس التي تكبو لا بد أن تنهض من جديد لتتابع عدوها

إلى والدي الدكتور حسن مصطفى الباش

إلى من أرادني الله لها وأرادها الله لي وكتبنا زوجين لبعضنا في لوح محفوظ منذ النشأة الأولى إلى نصفي الآخر نوال عبد اللطيف عودة

إلى كل الذين يعملون من عباد الله لإسقاط الجدار الفاصل آخر جدر بني إسرائيل،

وإلى كل شهداء فلسطين والأمة الإسلامية.

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

المحتويات

المقدمة 9

الفصل الأول: 17

لمحة عن تاريخ بني إسرائيل بحسب التوراة قبل الخروج 19

الفصل الثاني: 67

نبوءات السبي، والسبي البابلي بين تدمير الحصون وبناء الأسوار 67

الفصل الثالث: 105

اليهود في الجزيرة العربية وقصة أخرى لعلاقة اليهود بالحصون والأسوار 105

الفصل الرابع: 129

الجدار الفاصل خلاصة التاريخ الديني و النفسي والاجتماعي والسياسي لبني إسرائيل 129

فهرس مفصل: 151

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

المقدمة

عدّ بعض الدارسين والسياسيين في الجانبين العربي والصهيوني أن الجدار الذي أقامته سلطات الاحتلال للفصل بين اليهود والفلسطينيين جدار فصل عنصري ذا طابع سياسي، وقد كثرت الدراسات عن هذا الجدار، فمنها ما تناول آثاره الجغرافية، حيث سرق المزيد من الأراضي الفلسطينية لبنائه، ومنها ما تناول آثاره الديموغرافية، من حيث إنه فصل بعض السكان عن عائلاتهم وأسرهم و قراهم، ومزق الكثير من وحدة الشعب الفلسطيني، ومنها ما تناول آثاره المستقبلية في الاقتصاد والتجارة وغير ذلك.

وقد ارتأى بعض الدارسين الإسرائيليين أن هذا الجدار ضروري لأسباب كثيرة، منها درء هجمات الفلسطينيين، خاصة العمليات الاستشهادية التي استهدفت قلب الكيان الصهيوني وتجمعاته الاستيطانية الكبرى، ومنها عزل الفلسطينيين كلياً ومنعهم من العمل داخل الخط الأخضر، ومن ثم منعهم كلياً من التأثير في اليهود أو تأثر اليهود بهم أي منع الاندماج منعاً كلياً.

وقد حقق الجدار أماني كثير من اليهود المتعصبين الذين يرون فيه حلاً مهماً لعزل اليهود عن الاندماج بغيرهم بوساطة التبادل التجاري وغيره، ظانين أن هذا العزل يحقق لهم نقاء جديداً لليهود وصفاء لا تشوبه شائبة.

ولعل ما لم يلتفت إليه الكثيرون أن الجدار يختزن في بنائه أبعاداً توراتية وتاريخية، تخص أتباع اليهودية، إضافة إلى أبعاد نفسية مخزونة في الباطن اليهودي الذي انبنى أساساً على مقولات توراتية وتلمودية قديمة.

فهذا الجدار لم يكن فكرة مستجدة، طرأت فجأة على عقل شارون أو القادة والمفكرين الإسرائيليين، أو حتى في العقل الجمعي للإسرائيليين.

وحتى نكون على قدر كبير من الفهم لأبعاد بناء هذا الجدار لابد أن نقف طويلاً على بعض نصوص التوراة التي جاءت على ذكر الجدار والحصون والمدن الحصينة والقلاع، حتى نستخلص الأبعاد الدينية والتوراتية لمعنى الجدار.

فبحسب تاريخ اليهود أنفسهم الذي دونوه يبرز معنى الجدار عند أنبياء بني إسرائيل كافة أنه إما جدار للعزل وعدم الاختلاط بالآخرين، أي إنه صمام أمان لعدم اتباع اليهود

http://kotob.has.it

ديانات أخرى، وإما جدار لحماية المجرمين والمعتدين والفارين من وجه العدالة الإنسانية والأقدار الإلهية.

والحقيقة أن القبائل اليهودية أو لنقل الأسر اليهودية التي أطلق عليها اسم الأسباط لم تكن في يوم من الأيام قبائل استقرار حضاري، حتى تفكر ببناء المدن الحصينة، كي تمنع الغزاة من مهاجمتها، وقد أثبتت الدراسات التاريخية والآثارية أن هذه الأسر لم تكن سوى أسر بدوية متنقلة غير مستقرة، وحتى عندما دوّن أحبار اليهود أسفار التوراة تحدثوا عن تلك النزعة البدوية لدى هؤلاء الأسباط، فمن أين جاءتهم فكرة السور والأسوار والقلاع؟، ومن أين جاءتهم فكرة المدن الحصينة والحصون؟.

لقد أدرك بنو إسرائيل عندما تسربوا إلى فلسطين، وراحوا يتصيدون الوقت للانقضاض على قرى الكنعانيين ومدنهم أنهم منبوذون من المجتمعات الكنعانية والآرامية والآشورية، وكانوا يدركون دوماً أن أساليبهم الشاذة في التعامل مع البشر لن ترضي أحداً من الأقوام المعاصرة، فلذلك وجد زعماؤهم وأنبياؤهم أن أحد الحلول لنجاتهم من قمع الآخرين لهم هو بناء الجدر والحصون أو احتلال المدن الحصينة، ليحموا أنفسهم من القتل عقاباً على إفسادهم وجرائمهم بحق غيرهم، وأدركوا أن الحصون ليست فقط بناء عمرانياً يحميهم من عقاب غيرهم لهم، إنما هي أحد رموز الحفاظ على شخصيتهم المنبوذة الكارهة لكل من سواهم، الرافضة لأي تعامل واندماج بغيرهم، فيصبح لديهم الجسد البشري سوراً أو حصناً، ويصبح كتاب التوراة وتعاليم زعمائهم سوراً أو حصناً، ويصبح حول عقيدتهم المنحرفة سور أو حصن.

وامتدت التأثيرات في نفوسهم حتى أصبح السور أو الحصن أحد مكونات شخصيتهم على مر التاريخ.

وعندما ندرس الحضارات القوية عبر التاريخ نرى أن فكرة القلاع والحصون لم تأت إلا بسبب توقعات الهجوم عليها، وقد رأينا أن الحضارات التي زحفت منتصرة في توسع دائم لم تهتم بالقلاع والحصون كثيراً، لأن أصحابها في حالة اندفاع وتوسع، لكن هذه الحضارات عندما كان الضعف والانكفاء يدب فيها صارت تبني القلاع والحصون، كي تدافع عن نفسها.

وعلى مدى أكثر من ثلاثة قرون من تاريخ العرب المسلمين لم نجد من الخلفاء الراشدين أو الأمويين أو العباسيين في الطور القوي الأول من اهتم ببناء القلاع والحصون، لأنها كانت مندفعة باتجاه الفتح ونشر الدعوة.

http://kotob.has.it

ولو عدنا إلى تاريخ بني إسرائيل واليهود كما دونته التوراة، نرى أن الحصون أو الأسوار هي أول ما فكروا فيه، وهذا يدل دلالة قاطعة على أنهم كانوا دوماً ضعفاء، يخافون من جاورهم من الشعوب المتحضرة القوية، والواقع أنهم لم يكونوا أصحاب مشروع حضاري أو مشروع دعوي لنشر العقيدة، فهم في المحصلة أسر بدوية فوجئت تماماً بما بناه الكنعانيون وغيرهم من المدن الحصينة والمعابد، فتأثروا بها، بل راحوا يتبنون كل ما لديها من عقائد وغيرها، ولحق هذا التبني مسألة الأسوار والحصون خير وسيلة للتقوقع داخلها وعدم الاندماج بغيرهم من الشعوب، مع العلم بأن اليهود حملوا مورثات تعلقهم بالأسوار منذ أن بنوا حصوناً للفراعنة، وأعجبهم بعد ذلك أسوار رب موسى ويوشع إبان الخروج من مصر ودخولهم أرض كنعان.

ومع مرور الوقت وبسبب ما لحق بهم من اضطهاد يستحقونه أصبح السور وأصبحت الحصون مسألة خاضعة للمزاج الديني لدى اليهود، فتارة يرون أن بناء الأسوار ضروري للحفاظ على شعب الرب، اليهود، وتارة يرون أن هدم الأسوار ضروري في حال من الأحوال.

ومع تطور عقيدة اليهود على أيدي زعمائهم الدينيين وأنبيائهم تطور معنى السور والحصن، لينتقل من سور مادي إلى سور معنوي روحي، وربما قال آخر: إن الشريعة حصن لهم، وليس الأسوار المبنية من الحجارة، وهكذا بحسب ما تطور به معنى العقيدة لديهم.

والشيء اللافت للنظر أن بعض أنبائهم كالنبي إرميا وحزقيال ودانيال وغيرهم وبّخوهم توبيخاً كبيراً بسبب اتكالهم على غير الله كالحصون والأسوار وما شابه في تحركهم الدفاعي والهجومي عوض الاتكال على الله.

إن هذه التصريحات النبوية بالتوبيخ والتأنيب تدل بوضوح تماماً على أن زيغ بني إسرائيل واليهود عن عبادة الله الواحد جعلهم يظنون أن قوتهم وانتصاراتهم ستكون بسبب التحصينات والأسوار التي يقيمونها حولهم، وليس بسبب إيمانهم بالله، والواقع أن التوراة نفسها تفصح عن عدم ثقة اليهود بربهم، وعدم الإيمان به في كثير من الأحيان أيضاً، فكانت النتيجة أن هذه الأسوار دمرت واخترقت، وليس لها أي معنى من القوة مادامت هي المعول عليها في نجاتهم من الهجمات التي داهمتهم من الآشوريين والبابليين، وغيرهم من الشعوب التي نبذتهم ورأت فيهم عنصر إفساد وتخريب.

http://kotob.has.it

وقد أتت آيات القرآن الكريم على ذكر عقلية اليهود ونفسيتهم المتكلة على الحصون من دون الله، وذلك في سورة الحشر، فهي تبين أن الحصون لا تغني شيئاً عندما يريد الله أن تدمر هذه الحصون، ويجلي أصحابها الذين ظنوّا أنهم في مأمن بسبب تحصيناتهم، ولكن هناك ما هو أقوى، ذلك الرعب النفسي الذي قذفه الله في قلوبهم، فأتاهم من حيث لم يحتسبوا، إذ كانوا يظنون أن المسلمين سيطوقون حصونهم، ولن يقدروا عليها، لكن الله خذلهم بما فعلت أيديهم من فساد وشر، فأتاهم من قلوبهم، فانهاروا واستسلموا، ولم تغن عنهم حصونهم شيئاً.

واليوم نرى زعماء الكيان الإسرائيلي وهم يعولون على بناء الجدار ظانين أنه يحميهم وينقذهم ويحافظ عليهم، ينسون أن أجدادهم بنوا الحصون ولم تفدهم، فإذا جاء أمر الله أنهارت الأسوار مهما بلغت من الشموخ والقوة، والواقع الذي لم يفهموه هو أن الحضارات القديمة لم يبق منها إلا الأطلال، مهما كانت لديها من تحصينات ومدن مسوّرة.

وإرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد صعقت بصرخة واحدة، ولم تغن عن أهلها الفاسدين، وخيبر التي اشتهرت بحصونها دمرت، فأصبحت أثراً بعد عين بسبب فساد يهودها ومعاداتهم لدين الإسلام والمسلمين.

فلا يصدّقنّ أي يهودي أن هذا السور سيحميه أو يدافع عنه أو يحافظ عليه، ولعل هذا السور الذي يبنيه اليهود اليوم سيكون نقمة عليهم، كما كانت الأسوار القديمة نقمة على من سبق من بني إسرائيل.

إن عدم الثقة الذي يعشش في نفوس المحتلين سيكون السبب الأهم في تدمير هذا الكيان، مهما حوّطوا أنفسهم من أسوار، ومهما بلغت قوتهم الماديّة، وحصّنوا أنفسهم بالسلاح النووي وغيره، فهم محتلون غاصبون فاسدون ومفسدون، ونهاية كل محتل وغاصب وفاسد ومفسد وخيمة ومدمرة، لأن ذلك مألوف في حركة التاريخ.

الدكتور حسن الباش

http://kotob.has.it

أسفار التوراة، وأهم الأحداث فيها:

1- سفر التكوين- فيه قصة الخلق، وقصة آدم، وقصة نوح، وقصة إبراهيم، وقصة إسحق، وقصة يعقوب، وقصة يوسف.

2- سفر الخروج- استعباد بني إسرائيل 400 سنة على يد المصريين، وظهور موسى وخروجه مع الإسرائيليين من مصر.

3- سفر اللاويين- العبادة، والصحة، والقداسة، اللاويون يعلمون الشعب العبادة، ويقودون بني إسرائيل إلى طريق الله.

4- سفر العدد- الاستعداد لاحتلال أرض كنعان، وبعث الجواسيس لأرض كنعان حتى يستطلعوها، والقضاء على المديانيين.

5- التثنية- موسى يذكر بني إسرائيل بمعجزات الله، وتقرير الجواسيس الذين ذهبوا لأرض كنعان، وشرائع الحرب.

6- سفر يشوع- عبور بني إسرائيل نهر الأردن إلى أرض كنعان، ومجازر يشوع في أريحا وعاي والمدن الكنعانية.

7- سفر القضاة- فشل بني إسرائيل في السيطرة على مجمل أرض كنعان، وعبادة بني إسرائيل الأصنام.

8- سفر راعوث- وفيه قصة من قصص التوراة الكثيرة، وهي قصة راعوث المؤابية الفقيرة التي تصبح غنية بعد زواجها من بوعز.

9- سفر صموئيل الأول- فيه قصة أحد قضاة بني إسرائيل، وهو صموئيل الذي يحارب الفلسطينيين، وقصة داوود ومحاربة شاؤول له.

10- سفر صموئيل الثاني- فيه حكم داوود على يهوذا، ومن ثم على إسرائيل كلها، والتمرد القومي ضد داوود.

11- سفر الملوك الأول- حكم سليمان وبناؤه للهيكل المزعوم، وسقوط سليمان بسبب فسقه، وانفصال مملكة إسرائيل الموحدة.

12- سفر الملوك الثاني- الحديث عن ملوك إسرائيل ويهوذا، وسبي المملكة الشمالية إسرائيل على يد الآشوريين، وسبي يهوذا بعدها على يد البابليين.

http://kotob.has.it

13- سفر أخبار الأيام الأول- تكرار للأسفار الأولى، إضافة إلى ذكر بعض العائدين من السبي، وقصة داوود .

14- سفر أخبار الأيام الثاني- الحديث عن ملك سليمان، وبناؤه الهيكل المزعوم، وانقسام المملكة، والسبي البابلي، ووعد كورش لليهود بتخليصهم من السبي.

15- سفر عزرا- عودة الفريق الأول والثاني من المسبيين، وإعادة بناء الهيكل المزعوم، ومعارضة الزواج من غريبات.

16- سفر نحميا- عودة نحميا إلى القدس (أورشليم)، وإعادة بناء السور، وتولي نحميا قيادة الشعب، ووضعه لسياسات بني إسرائيل.

17- سفر أستير- أستير اليهودية تصبح ملكة بعد زواجها من الملك الفارسي أحشويرش، وتدخلها من أجل مساعدة اليهود .

18- سفر أيوب- قصة أيوب الذي صبر على ابتلائه من ربه، وهو سفر طويل فيه مجموعة من الحوارات بين أيوب وربه، وبينه وبين أشخاص يحاورونه في ابتلائه.

19- سفر المزامير- هو تسابيح أكثرها لداوود، وفيه كثير من الحوارات بين داوود وربه والكثير من الخطابات الموجهة لبني إسرائيل.

20- سفر الأمثال- هو مجموعة حكم يطلقها سليمان للشباب وللقادة ولجميع الناس.

21- سفر الجامعة- فيه عدد من الحكم والخطابات الموجهة إلى الناس.

22- سفر نشيد الإنشاد- هو حوارات غزلية تدور بين سليمان وإحدى عشيقاته، وفيه وصف سافر للجنس.

23- سفر إشعيا- يعدد فيه إشعيا خطايا بني إسرائيل، والعقاب الذي سينزله الله بهم بسب عبادتهم الأصنام، وفي هذا السفر عدد من النبوءات.

24- سفر إرميا- يشبه سفر إشعيا، وفيه يدعو إرميا إلى العودة إلى عبادة الرب الواحد، وفيه أيضاً عدد من النبوءات، منها سقوط القدس (أورشليم).

25- سفر مراثي إرميا- وهو مراثٍ صادرة من إرميا، وفيه يرثي إرميا بني إسرائيل والقدس (أورشليم).

http://kotob.has.it

26- سفر حزقيال- يتحدث عن العقاب الذي سيواجهه أعداء الرب، وأيضاً في هذا السفر عدد من النبوءات، منها العودة من السبي.

27- سفر دانيال- يحكي فيه قصة دانيال الذي خدم في حكومة نبوخذ نصر، ويذكر فيه أيضاً عدد من النبوءات والرؤى.

28- سفر هوشع- وفيه قصة زوجة هوشع غير الأمينة على زواجها، وفيه أيضاً ذكر خطايا بني إسرائيل وعقابهم والدعوة إلى التوبة.

29- سفر يوئيل- تحذير مملكة يهوذا من غضب الله، وطلب العودة إلى الله، ومجمل الحديث فيه عن العقاب والغفران.

30- سفر عاموس- فيه عدد من النبوءات بتدمير أعداء اليهود عقاباً لهم على ما اقترفوه بحقهم، ونبوءة برد السبي.

31- سفرعوبديا- فيه نبوءة عن خراب آدوم، وعودة جيوش المسبيين لتحرر أرض كنعان.

32- سفر يونان- فيه قصة عن أحد أنبياء بني إسرائيل، وبعثه في نينوى، وهروبه من الله، وقذفه في البحر على يد البحارة وابتلاع الحوت له مدة ثلاثة أيام.

33- سفر ميخا- غضب الله على يهوذا والسامرة، والتحذير من عقوبة الله، والتوبة، والتنبؤ بخراب أورشليم.

34- سفر ناحوم- انتقام الله من نينوى، وحصارها وخرابها بسبب خطاياها الكثيرة.

35- سفر حبقوق- يحكي هذا السفر قصة حبقوق أحد الرجال اليهود وهو في حيرة من أمره، وفيه حديث شكوى لله، لأنه أقام الكلدانيين لمقاضاة اليهود .

36- سفر صفنيا- فيه يعلن غضب الله على القدس (أورشليم)، وذكر عقاب يهوذا، ثم مستقبل أورشليم والدعوة إلى التوبة.

37- سفر حجي- الحض على بناء الهيكل المزعوم.

38- سفر زكريا- فيه رؤى تأتي زكريا في الليل، منها التبشير بعودة أورشليم مدينة للرب، ومصير أعدائها .

39- سفر ملاخي- فيه نبوءة عن سقوط آدوم، وتحذير الكهنة، وخيانة يهوذا لله، وقرب يوم الرب بالقضاء.

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الفصل الأول

علاقة بني إسرائيل بالحصون والأسوار
منذ الخروج وحتى السبي البابلي

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

لمحة عن تاريخ بني إسرائيل

بحسب التوراة قبل الخروج

تدعي التوراة أن إبراهيم الخليل الذي هو إبرام بن تارح بن ناحور بن فالج بن عابر الكلداني من سلالة سام بن نوح الجد الأول للعبرانيين بني إسرائيل لاحقاً. وابراهيم هاجر من العراق إلى فلسطين هو لوط، و تدعي التوراة أن الرب وعده بأرض فلسطين هو ونسله هناك، ينجب إبراهيم إسماعيل من الجارية المصرية هاجر، وإسحق من زوجته سارة، ولأن إسماعيل ابن جارية تقول التوراة: (فليس له أي حق في ميراث أبيه إبراهيم، على عكس إسحق الذي ورث أباه)، تكوين، الإصحاح 11- 17.

ينجب إسحق يعقوب وعيسو من رفقة بنت بتوئيل الآرامي، ويهب إسحق ابنه يعقوب بركاته بالخداع، ينجب يعقوب اثني عشر ولداً من زوجات متعددات تسميهم التوراة أسباط يعقوب أو أسباط بني إسرائيل، وتدعي التوراة (أن كل سبط من هؤلاء الأسباط أصبح له قبيلة مع الزمن، من أبناء يعقوب يوسف الذي يتآمر عليه إخوته بسبب غيرتهم منه، ويلقونه في الجب، حيث يجده بعض التجار الإسماعيليين، من نسل إسماعيل، ويبيعونه للمديانيين الذين يبيعونه بدورهم في مصر)، تكوين - الإصحاح 25 - 37.

يتخذ آمر الشرطة يوسف معاوناً له، حيث يثق به كثيراً، فيوكله على بيته، إلا أن هذا الرضا لا يدوم طويلاً، فامرأة سيده تراوده عن نفسه، فيهرب منها يوسف، فتشتكي هذه المرأة إلى سيد يوسف من أنه راودها عن نفسها، فيلقيه في السجن، ويخرج منه بعد مدة من الزمن بسبب تفسير حلم للملك، يعين الملك يوسف قيماً على أرض مصر، أو خازناً لها، يصيب الجفاف الأرض التي كان يقيم فيها يعقوب مع أبنائه فيخرج الأبناء إلى مصر، فيعرفهم يوسف، وتدور أحداث كثيرة إبان ذلك. تكوين 37 - 50 .

يجلب يوسف إخوته وأباه إلى مصر، ويكرمهم هناك، ويعطيهم أموالاً كثيرة فيعملون بالتجارة، يموت يعقوب، ويزداد نسل يعقوب في مصر، ويصبحون من الأغنياء، يقوم على مصر ملك لا يعرف يوسف، فيستعبد هو والمصريون بنو إسرائيل، والجدير بالذكر هنا ما تقوله بعض المصادر حيث إن المصريين الفراعنة في تلك الحقبة استعادوا مصر العليا التي كان الهكسوس قد احتلوها، والتي كان بنو إسرائيل يعيشون في ظلهم وحلفائهم، ما

http://kotob.has.it

جعل الفرعون والمصريين يحنقون على بني إسرائيل، ويستعبدونهم بعد تحرير مصر العليا من الهكسوس. تكوين الإصحاح 37 - 50.

على أي حال تتوالى الأحداث، ويزداد حقد المصريين على بني إسرائيل، فيسخرونهم في بناء المدن والحصون، ويبقون على تلك الحالة مستعبدين أذلاء مدة أربعمئة سنة، حتى يظهر موسى الذي ينقلب على فرعون، ويطالبه بتحرير بني إسرائيل، وكف شره عنهم، إلا أن الفرعون يرفض ذلك، فيأتيه غضب الرب بغزوات جراد وبحور دماء وضفادع وقتل لأبكار المصريين.... وغير ذلك، فينصاع الفرعون لطلب موسى، ويطلق يد الشعب ليخرج من مصر إلا أن الفرعون يندم على ذلك، فيلحق بهم وبمعجزة ربانية يهرب بنو إسرائيل من يد فرعون. الخروج، الإصحاح 1 - 14 .

الجدار وفكرة الخلاص الأولى

بدأت فكرة الخلاص الأولى بالجدر في السفر الثاني من التوراة، وهو سفر الخروج، ولم تتجسد هذه الفكرة في عمق النفسية لدى بني إسرائيل حتى قصة خروج موسى عليه السلام وبني إسرائيل من مصر مرتحلين من خوف الفرعون وبطشه، إلا أن الأسوار والأبراج وردت في سفر التوراة الأول، وهو التكوين ثلاثة مرات، مرتين في شأن أبناء نوح، ومرة في شأن بني إسماعيل عليه السلام، وكان لابد من ذكر هذه المرات الثلاث ومناقشتها في ظل سياقها التاريخي، حتى نتمكن من الوصول إلى تصور حقيقي عن علاقة بين بني إسرائيل بجدرهم.

برج بابل والتوراة:

تتحدث التوراة عن برج بابل في اعتراض للحديث الذي كان يروي قصة أسلاف نوح عليه السلام وتتحدث هذه القصة عن أن أهل الأرض كانوا يتكلمون لغة واحدة، فارتحلوا شرقاً، ووجدوا هناك أرضاً اسمها شنعار، فاستوطنوا فيها، وارتأوا أن يصنعوا طوباً مشوياً، فاستبدلوا الحجارة بالطوب واستبدلوا الطين بالزفت، ثم قالوا: (هيا نشيد مدينة وبرجاً يبلغ رأسه السماء، فنخلد لنا اسماً لئلا نتشتت على وجه الأرض كلها) التكوين11.

فنزل الرب آنئذ لينظر إلى المدينة والبرج اللذين شرع بنو البشر في بنائهما، فقال الرب، إذا كان هؤلاء البشر قد فعلوا ذلك الأمر العظيم، فلن يمتنع أن يقوموا بأي شيء، فهيا ننزل إليهم، ونبلبل ألسنتهم، حتى لا يفهم بعضهم كلام بعض، وبعد حصول ذلك

http://kotob.has.it

تفرق البشر في الأرض، فكفوا عن بناء المدينة، لذلك سميت المدينة بابل لأن الرب بلبل لسان أهل كل الأرض، وقد ورد هذا في سفر التكوين 11\1 - 9 .

القصة من وجهة نظر التاريخ والآثار

أولاً- إن البرج الذي تتحدث عنه التوراة هو بناء كان يعرف باسم الزقورات أو الزيجورات، وهو مشيدات هرمية مدرجة، تتألف من عدة مصاطب، لها شكل مستطيل أو رباعي، وكانت تصل إلى ارتفاعات من30- 60 م، الأبراج أو الزقورات خصصت للعبادة أساساً ولمراقبة النجوم والأفلاك السيارة في السماء في بعض الأحيان، وقد انتشر بناء هذه الزقورات في أنحاء العراق (بابل القديمة) في نهاية الألف الثالث وبداية الألف الثاني ق.م، وبنيت أول زقورة في العصر البابلي الحديث في القرن الثامن عشر ق.م.وقد أجمع عدد من المؤرخين على أن البرج الذي تتحدث عنه التوراة زقورة إيتمين إنكي (بيت أساسات الأرض والسماء) [1].

ثانياً- إن الثورة التي تتحدث عنها التوراة وهي في الانتقال بالبناء من الأحجار إلى الطوب بدأت بحسب الآثاريين في الألفين السادس والخامس ق.م، وكذلك القار (الزفت)، وفي ذلك تناقض مع البند الأول.

ثالثاً- تعدّ التوراة أن أول مدينة بناها بنو البشر هي بابل، وكذلك طبعاً أول برج بني هو برج بابل، وإذا كان هذا البرج هو معبد أو عمارة دينية فإن علم الآثار يفند ذلك، إذ إن أول عمارة دينية واضحة المعالم هي معبد أريحا الذي يعود إلى الألف السابع ق.م، ومن ناحية أخرى هناك مدن أقدم من بابل ومن عمارتها، تنتشر في العالم ومثال ذلك مدينة القمر أريحا .

رابعاً- لم يتفق علماء اللغة على تاريخ محدد لبداية تكون اللغات في العالم وتوزعها وتعددها، ولسنا هنا بصدد التحدث عن ذلك مطولاً فربّ بنو إسرائيل هم الذين بلبلوا ألسنة البشر، ما أدى إلى تعدد اللغات، وهذا مخالف لما درج عليه قول بعض فقهاء اللغة في أصول اللغات.

---

1 – آثار الوطن العربي القديم، العراق، سورية، مصر، ص 207، منشورات جامعة دمشق .

http://kotob.has.it

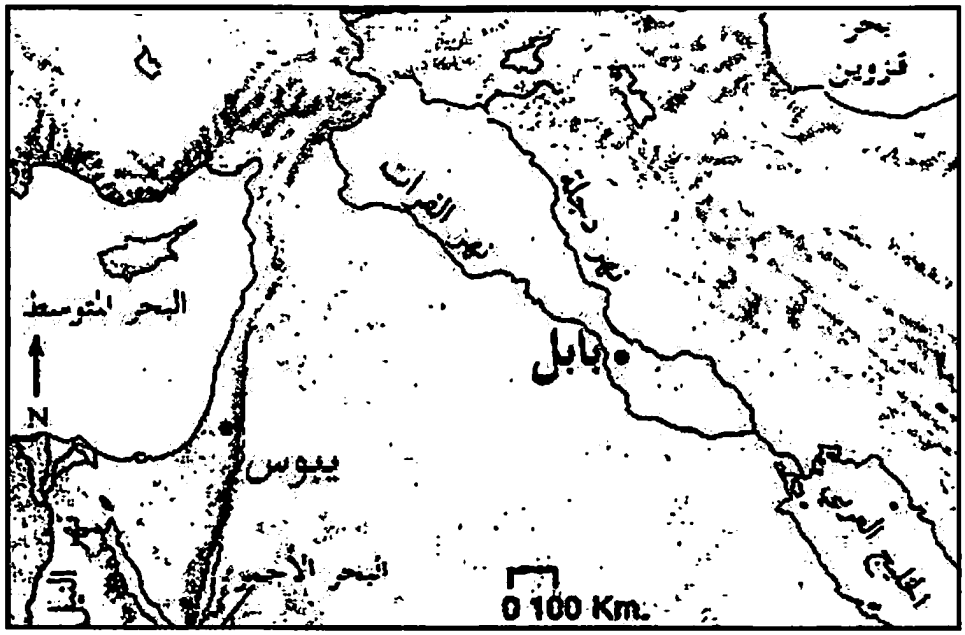

موقع برج بابل

ونخلص إلى نتيجة أن بناء البرج والمدينة تاريخياً وأثرياً يخالف كل ما جاءت به التوراة، وما توصلت إليه في سفر التكوين، القسم 11، المقاطع من 1- 9، ويتفق عدد من الباحثين على أن هذه القصة التوراتية ليست عبرية الأصل، وإنما تناقلها اليهود ككثير من الأساطير، واستعاروها من الكلدانيين بحذافيرها[1].

ذرية إسماعيل، وأسماء حصونهم

تتحدث التوراة عن حصون وديار لذرية إسماعيل، وقد جاء ذكر هذه الحصون في سياق الحديث عن أبناء إسماعيل، ونلاحظ أن أبناء إسماعيل اثنا عشر، عددتهم التوراة بأسمائهم، ومن النص الذي بين أيدينا نلاحظ أن أبناء إسماعيل الاثني عشر كان يملك كل واحد منهم حصنا له ولقبيلته أي إن هماك اثنا عشر حصناً في بقعة أرض واحدة، (وهذه هي أسماؤهم حسب ديارهم وحصونهم وقد صاروا إثني عشر رئيسا لاثني عشر قبيلة) التكوين 25\12 - 16. وإذا صح هذا الكلام، فكل قبيلة من نسل إبراهيم واسماعيل وإسحق بنت لها حصناً، ما يعني عدداً غير محدد من الحصون.

---

1 – تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، فتحي محمد الزغبي، ص 615، دار البشير ط 1، 1994م.

http://kotob.has.it

موسى عليه السلام وبنو إسرائيل، (الجدر فكرة الخلاص الأولى)

عاش بنو إسرائيل في ظل الحكم المصري حياة ذل وقهر. وقد عانوا ما عانوه من الفرعون باستحياء نسائهم وقتل أطفالهم...وغير ذلك، وقد شاء الله تعالى أن يكون موسى عليه السلام هو المخلص من هذا كله، فعمد بأمر إلهي إلى أن يخرج هو وقومه من مصر إنقاذاً مما كان يخطط له فرعون وهامان وجندهما، إلا أن لحاق فرعون وجنده بموسى عليه السلام وقومه فاجأ بني إسرائيل، واتهموا موسى وهارون بأنهما يريدان بإخراجهما من مصر الشر ببني إسرائيل، وأنهما قد غررا بهم، حيث فضلوا البقاء خدماً عند المصريين من أن يصبحوا مطاردين في الصحارى لا يأمنون يومهم، وما قد يفعل بهم فرعون وجنده، فقالوا عند ذلك: (هل لأنه ليست قبور في مصر أخذتنا لنموت في البرية، وماذا صنعت بنا حتى خرجنا من مصر أليس هذا الكلام الذي كلمناك به في مصر قائلين كف عنا فنخدم المصريين، لأنه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت في البرية)، الخروج 14\11 - 12.

وبعد أن يتهم بنو إسرائيل موسى عليه السلام بهذا الاتهام الشنيع يبشر موسى قومه بالخلاص الأبدي من المصريين بقوله: (لا تخافوا قفوا وانظروا خلاص الرب الذي يصنعه لكم اليوم فإنه كما رأيتم المصريين اليوم لا تعودون ترونهم أيضاً إلى الأبد الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون) الخروج 14\13 - 14، وبهذا يعد موسى قومه بالخلاص التام، الخلاص منهم في عملية اللحاق والوعد بأنهم لن يروهم بعد هذا اليوم.

وبدأ بنو إسرائيل ينتظرون خلاص الرب الذي وعدهم موسى به، وهم في ريبة من أمرهم، مع أن إيمانهم بموسى لم يكن إلا وفق معجزات أيده الله بها، وهذا ما يجعلنا نقول ومن مجموعة أحداث: إن الشك والريبة وسوء الظن هي من التكوين النفسي للشخصية اليهودية عبر التاريخ، وهنا وبعد التبشير الموسوي لقومه بالخلاص ينتظر بنو إسرائيل هذا الخلاص، وعندئذ يسمع الرب موسى يستغيث، فيسأله: ما بالك تستغيث بي، فيأمر الرب موسى أن يرفع عصاه ويبسط يديه فوق البحر ليشقه، فيقوي الرب قلوب المصريين، فيسعون وراء بني إسرائيل فيقضي عليهم، والجدير بالذكر هنا أن التوراة تذكر أن الرب كان يتقدم بني إسرائيل في أثناء سيرهم في الصحراء في هيئة عمود سحاب وعمود نار. فالسحاب يهديهم في الطريق نهاراً والنار تضيء طريقهم ليلاً .الخروج 13 \ 20 - 22.

http://kotob.has.it

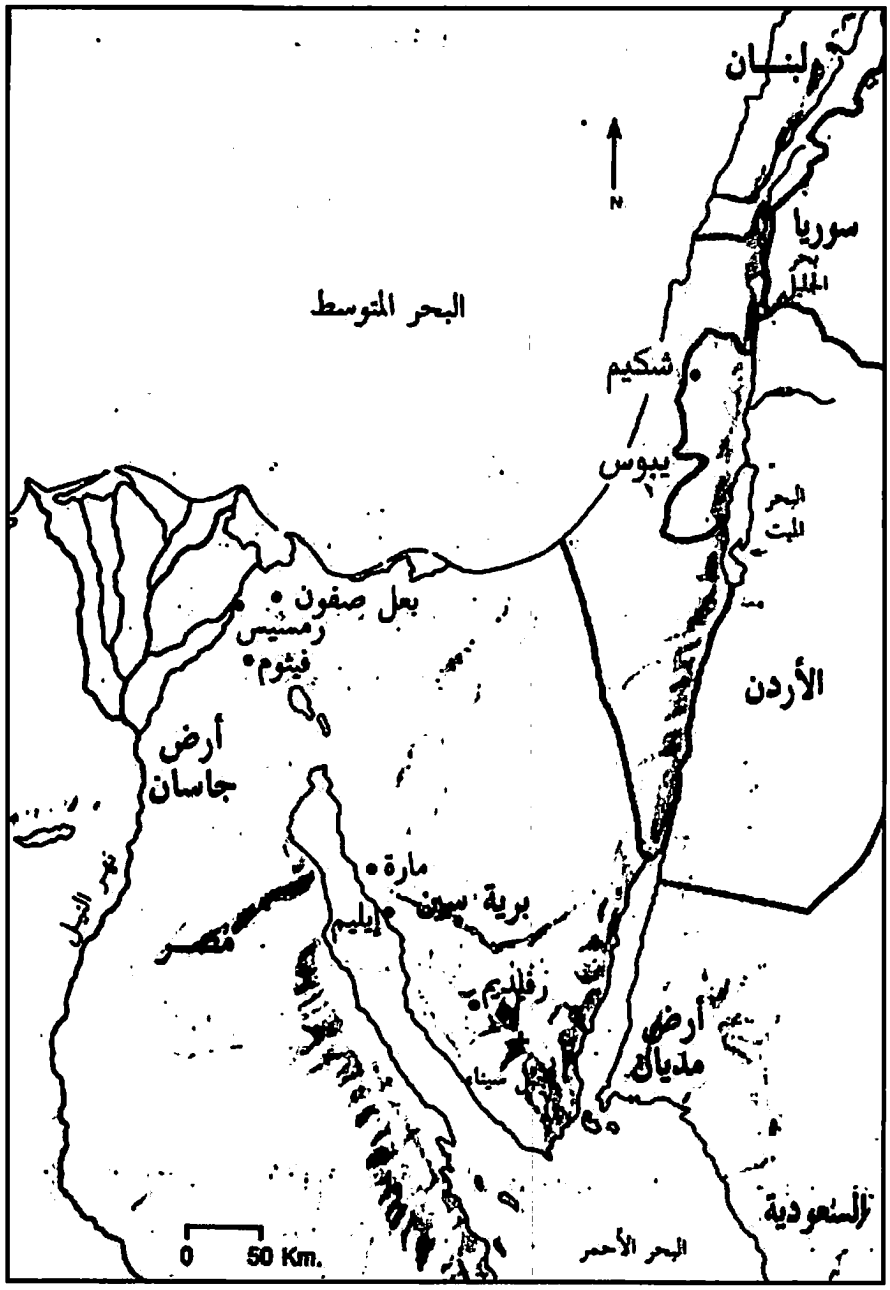

الأماكن الرئيسة في سفر الخروج

http://kotob.has.it

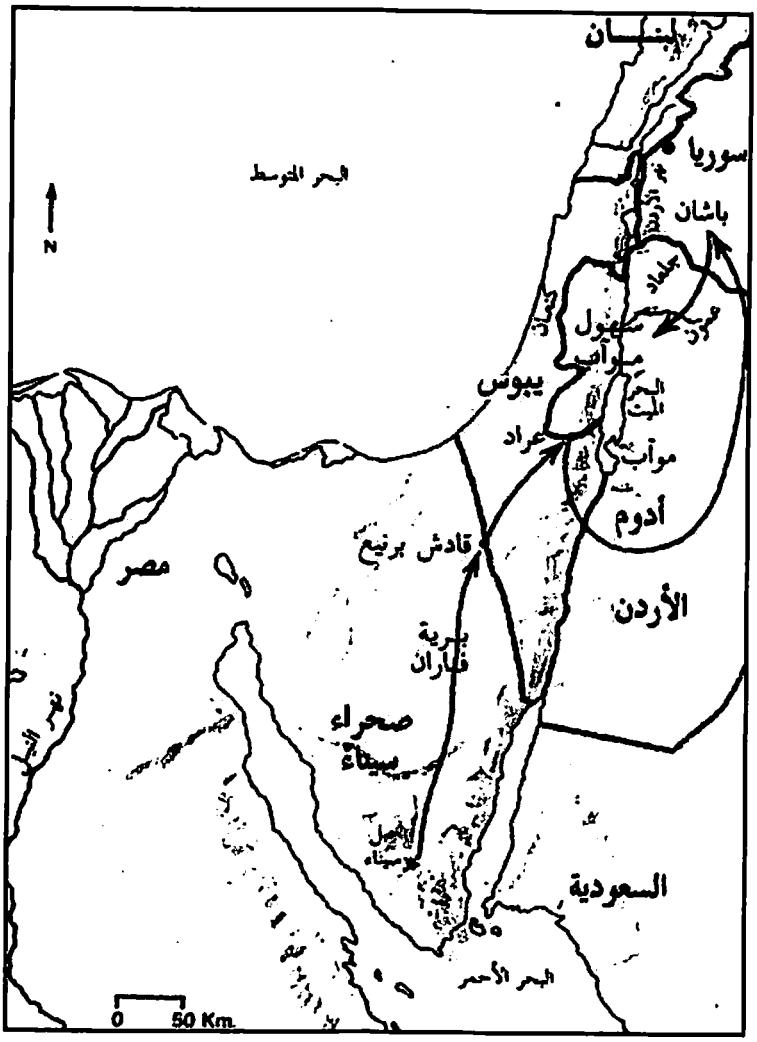

استعداد موسى وقومه لدخول أرض كنعان

وعندما يقترب فرعون وجيشه من فلول بني إسرائيل ينتقل ملاك الله الذي يتقدم بني إسرائيل إلى المؤخرة خلفهم، وكذلك ينتقل عمود السحاب من أمامهم، ويقف وراءهم، فيشكل حاجزاً يحول بين الجنود المصريين و بني إسرائيل، ما يعوّق اقتراب الفراعنة من بني إسرائيل، (فانتقل ملاك الله السائر أمام عسكر إسرائيل وسار وراءهم.وانتقل عمود السحاب من أمامهم ووقف وراءهم فدخل بين عسكر المصريين وعسكر إسرائيل وصار السحاب والظلام وأضاء الليل - أي حل الليل - فلم يقترب هذا إلى ذاك كل الليل). الخروج 14 \ 19- 20.

http://kotob.has.it

تصور لنا هذه الحادثة أن السور أو الحاجز الذي تكوّن بفعل عمود السحاب هو الذي حال بين بلوغ المصريين لفلول بني إسرائيل مدة معينة، وهذا يجعلنا نقول: إن تبلور فكرة الخلاص بحاجز أو سور قد بدأت تتكون في العقلية الإسرائيلية ممهدة بذلك لمسيرة التصور الديني في إنشاء جدر أو حصون وأسوار لخلاصهم من أي معتد أو أي مهاجم، وليس ذلك فقط بل، لقد جعلوا السور إحدى أهم خطط الهجوم لسقوط المدن المحصنة كما سنرى بعد ذلك.

بعد ذلك يبسط موسى يده فوق البحر، فيرسل الرب ريحاً شرقية، ترد البحر إلى الوراء، فيعبر بنو إسرائيل البحر على أرض يابسة بفعل هذه الريح، ليصبح الماء سورين عن يمينهم ويسارهم، حيث يلحق المصريون بهم، ليأمر الرب موسى بعد وصول بني إسرائيل إلى بر الأمان بوضع يده على البحر، ليرتد ماؤه، ويغرق جيش فرعون وعتاده، (ومد موسى يده على البحر. فأجرى الرب بريح شرقية شديدة كل الليل وجعل البحر يابسة وانشق الماء.فدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة والماء سورا عن يمينهم وعن يسارهم) الخروج 14\21 - 22.

يتضح من هذا المقطع أن بني إسرائيل تسوّرتهم المياه من الجانبين فحال هذا السور بين الفراعنة وبني إسرائيل على جانبهم الأيمن والأيسر، حينها لم يجد الفراعنة بداً من اللحاق ببني إسرائيل مع وجود كل المعوقات من السحاب والظلام والنار حيث أدى كل ذلك إلى تخريب مركبات المصريين، حتى إنهم ساقوها بثقلة، (وتبعهم المصريون ودخلوا وراءهم، جميع خيل فرعون ومركباته وفرسانه إلى وسط البحر.وكان في هزيع الصبح أن الرب أشرف على عسكر المصريين في عمود النار والسحاب فأزعج المصريين وخلع بكر مركباتهم حتى ساقوها بثقلة) الخروج 14\23 - 25.

وبعد ذلك يبسط موسى يده على البحر، ليرتد الماء على المصريين، وليصبح بنو إسرائيل أحراراً وفي مأمن من المصريين.

أعطت هذه الحوادث المتلاحقة في قصة الخروج لبني إسرائيل دفعاً باتجاه التفكير بالخلاص الدائم بوساطة الجدار أو الحصون والأسوار، ولهذا تتحدث التوراة في عدة مواضع عن فضل الأسوار ونجاعتها في حالتي الدفاع، والهجوم، كما وتأمر ببنائها بوساطة وصايا إلههم المزعوم يهوه لبني إسرائيل.

http://kotob.has.it

الجدار ويشوع وعبور نهر الأردن

يعد يشوع أحد أهم القادة العسكريين في التاريخ الإسرائيلي، فهو الذي دخل ببني إسرائيل، وعبر بهم إلى الضفة الغربية لنهر الأردن، وقد كان لعبور بني إسرائيل إلى الناحية الأخرى من النهر قصة مع الجدر والأسوار، فالحديث في التوراة يدور عن جدار من الماء يهيئ الدخول للضفة الأخرى، وذلك تعظيماً ليشوع في عيون بني إسرائيل، كما يعده الرب، (فقال الرب ليشوع اليوم أبدأ في تعظيمك في عيون الإسرائيليين جميعاً ليدركوا أنني معك كما كنت مع موسى.أما أنت فأمر الكهنة حاملي تابوت العهد قائلا عندما تبلغون ضفة مياه الأردن توقفوا فيها) يشوع 3-7-8 .

وينبئهم يشوع أنه (عندما تستقر بطون أقدام الكهنة حاملي تابوت عهد الرب في قاع مجرى نهر الأردن تتوقف مياهه المنحدرة من المرتفعات عن الجريان وتتجمع على نفسها كجدار) يشوع 3-13.

وتتحقق نبوءة يشوع بذلك، فما إن يطأ الكهنة بأقدامهم في النهر، ليغسلوا أرجلهم حتى تتوقف المياه عن الجريان، (وحين ارتحل الشعب من خيامهم ليعبروا نهر الأردن وفي طليعتهم الكهنة حاملو تابوت العهد .كان نهر الأردن يفيض على جميع ضفافه، لحلول موسم الحصاد .وما إن أقبل الكهنة على مياه الأردن وغسلوا أرجلهم في ضفة المياه.حتى توقفت المياه المنحدرة من المرتفعات عن الجريان، وأخذت تتراكم على نفسها كما لو كانت محجوزة وراء سد بعيداً جداً عن مدينة أدام المجاورة لبلدة صرتا، أما المياه المنصبة في البحر الميت فقد انقطعت تماماً عنه وهكذا عبر الشعب قبالة أريحا) يشوع 3-14-16.

ونلاحظ بعد أن سقنا هذا النص أن الجدار هو الذي خلص بني إسرائيل من عبء الدخول إلى الضفة الأخرى من النهر، وما أشبه هذا الجدار بسوري الماء عندما شُق البحر لموسى، وبجدار السحاب الذي حال دون وصول جيش فرعون لبني إسرائيل حين الخروج من مصر. وقد أكد سفر ناحوم في مقطع له عن نبوءة عن نينوى أن المياه تصبح أسوارا منيعة، (هل أنت أفضل من طيبة الجاثمة إلى جوار النيل المحاطة بالمياه المتمنعة بالبحر وبأسوار من المياه) ناحوم 3\8.

نعم إن البحر حصن طبيعي إلا أننا لا نجد مغزى في القول أن للمياه أسواراً، وما طبيعة هذه الأسوار؟ هل هي الشطآن، أم تكوّم المياه على ذاتها، كما حدث وتكومت على نفسها، لتصبح جداراً كما حدث مع يشوع وكهنة بني إسرائيل؟.

http://kotob.has.it

هل حصون المدن التي غزاها العبرانيون حقيقة أم خيال؟

تتحدث التوراة عن مدن غزاها العبرانيون بعد عبور نهر الأردن، وكانت أول هذه المدن التي دخلها العبرانيون وقتلوا أهلها ودمروها مدينة أريحا، وفي معظم المدن التي دخلها العبرانيون كان الحديث يدور عن حصون عظيمة، تحيط بهذه المدن، فهل كان هناك حصون وأسوار حقاً حول تلك المدن، أم كان ذلك خيالاً فقط نسجه مؤلفو التوراة، حتى يتسنى لبني إسرائيل الافتخار بعظمة جيوشهم ورعاعهم؟.

يمتد وصول أول الهجرات العربية الكنعانية إلى بلاد الشام إلى منتصف الألف الرابع ق.م، إلا أن فترة نشوء المدن الكنعانية الكبيرة تعود إلى الألف الثالث ومنتصف الألف الثالث ق.م، وقد عمد قسم من الباحثين إلى تقسيم المدن الكنعانية على النحو التالي:

1- مدن سوريا الساحلية: رأس شمرا، وأوغاريت، وأرواد.

2- مدن لبنان الساحلية: جبيل (بيبلوس)، وبيروت، وصيدا، وصور.

3- مدن فلسطين الساحلية: عكا، وأسدود، وعسقلان، وجت، وغزة.

4- مدن فلسطين البرية: قادش، وحاصور، وبيت شان (وبيسان)، وشكيم (نابلس)، وبيت إيل، وجبعون، وأريحا، ويبوس (القدس)، وبيت شمس، وبيت لحم، ومجدو، وحازر، وحبرون، وعجلون، وبير شيبا (بئر السبع)، جرار... وغيرها.

وتقول المصادر التاريخية إن عدد المدن الكنعانية الكبيرة والصغيرة في بلاد الشام بلغ 135 مدينة أما القرى فقد بلغ عددها نحو 1200 قرية[1].

تعرضت المدن الكنعانية في فلسطين منذ منتصف الألف الثالث ق.م، لعدة غزوات من المصريين، وكان عدد من كبريات المدن الكنعانية تخضع بين الفترة والأخرى للنفوذ المصري، على مدى ألف ونيف من السنوات تعرضت هذه المدن النهب والتخريب عدة مرات من عدة جيوش ذات جنسيات مختلفة، ما أضعف الوجود الكنعاني في فلسطين، وقد خضعت معظم أجزاء فلسطين للنفوذ المصري في منتصف الألف الثاني ق. م ونهاية، أي في العصر البرونزي المتأخر الذي تزامن بحسب عدد من المؤرخين مع بداية الغزو العبري للمدن الكنعانية.

كشفت رسائل تل العمارنة في مصر عن ضعف شديد، كانت تعانيه المدن الكنعانية التي خضعت للنفوذ المصري في تلك الفترة، وتفيد رسائل تل العمارنة أن كنعان كانت

1- أورشليم وأرض كنعان، حوار مع أنبياء وملوك إسرائيل، ص59، شركة الشرق الأوسط للطباعة، عمان، 1985م.

http://kotob.has.it

مقاطعة مصرية تحت سيطرة الإدارة المصرية مباشرة، وكانت العاصمة في غزة، إلا أن الحاميات المصرية تركزت في المواقع الرئيسة مثل بيت شان (بيسان)، وفي ميناء يافا، إلا أن التوراة لم تتحدث عن أي خبر للمصريين خارج حدود مصر، أضف إلى ذلك أن الكنعانيين الذين تتحدث التوراة عن مدنهم وقوتهم كانوا مشتتين ضعفاء بسبب الاحتلال المصري أولاً والصراعات الداخلية بينها ثانياً، وقد كانت المدن الكنعانية فعلاً في تلك الفترة في أكثر معاقل إدارية خاصة بالنخبة كالملك وحاشيته.

هل حصون المدن الكنعانية موجود فعلاً ؟

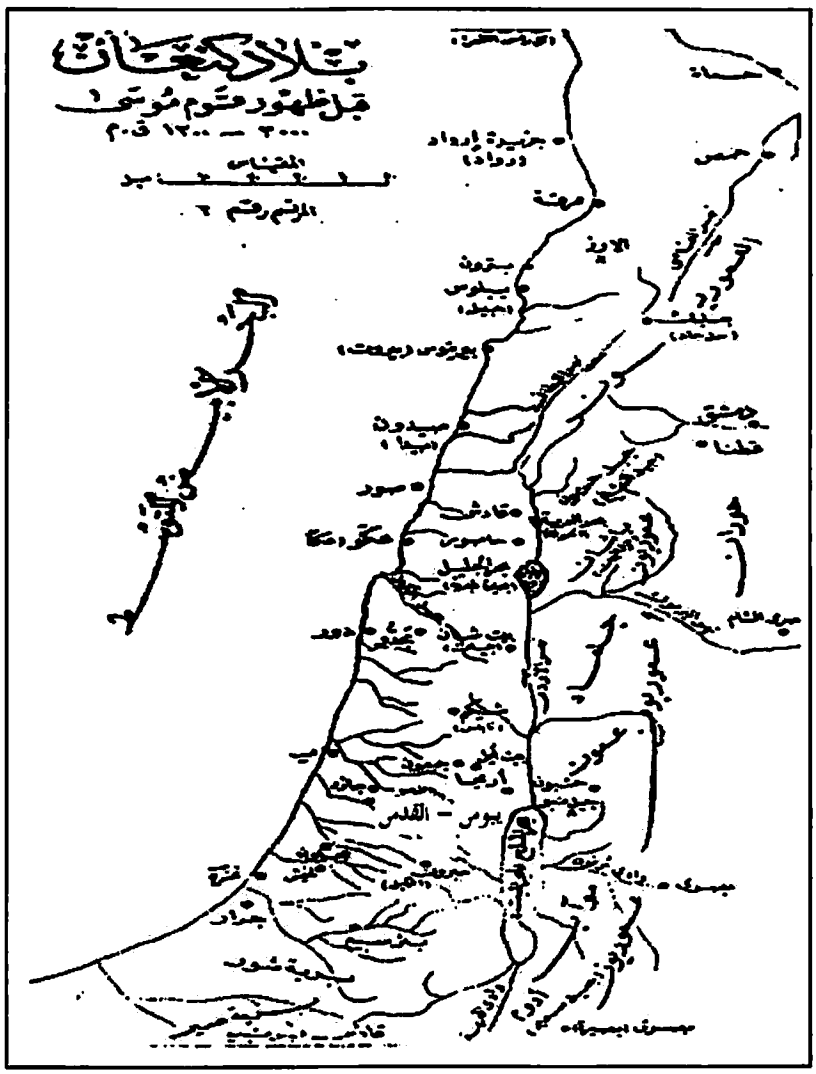

بلاد كنعان قبل ظهور بني إسرائيل

http://kotob.has.it

كشف عدد من الآثاريين عن أن المدن الكنعانية في تلك الفترة لم تكن تتمتع بأي تحصينات، وقد ردوا ذلك إلى أسباب عدة، أهمها أن التخريب المتواصل الذي كانت تتعرض له تلك التحصينات من الغزاة جعل أمرَ بنائها ثانية صعباً، والسبب الثاني أن التحصينات كانت تحتاج إلى ميزانية كبيرة لبنائها، وتوفير هذه الميزانية كان صعباً بسبب الضرائب الباهظة التي كان يدفعها الكنعانيون لملوك مصر، أضف إلى ذلك أن الجيوش المصرية هي التي كانت تأخذ على عاتقها أمر الدفاع عن تلك المدن.

وصف التوراة للأرض والمدن الكنعانية (الحصون المنيعة)

ثم قال الرب لموسى: (أرسل جواسيس إلى أرض كنعان التي أنا واهبها لبني إسرائيل)، العدد 13- 2. أرسل موسى جواسيسه إلى أرض كنعان حتى يستكشفوها جغرافياً وسكانياً، فأوصاهم قائلاً: (استكشفوا البلاد وأوضاعها وهل شعبها المقيم فيها قوي أم ضعيف؟ أكثير أم قليل، وما هي طبيعة الأرض الساكن بها أصالحة هي أم رديئة؟ وما هي المدن التي هو قاطن فيها؟ أمخيمات هي أم حصون وكيف هي أرضه أخصبة أم قاحلة). العدد 13، 18- 20.

رجع الجواسيس من رحلتهم بعد أربعين يوماً وقالوا لموسى: (قد انطلقنا إلى الأرض التي أرسلتنا إليها، فوجدناها تفيض لبنا وعسلا وهذه هي ثمارها، غير أن الشعب المستوطن فيها بالغ القوة ومدنه منيعة وعظيمة.كما شاهدنا هناك بني عناق.فالعمالقة مقيمون في أرض الجنوب، والحثيون واليبوسيون والأموريون متمنعون في الجبل.والكنعانيون مستوطنون عند البحر وعلى محاذاة الأردن). العدد 13\25- 29.

إن هذا النص يطرح علينا سؤالاً هاماً، هو: هل هناك حقا أمام هذه الممالك الصغيرة والأقوام المتناثرة شعب بالغ القوة ومدن حصينة وعظيمة جداً وما الانطباع الأول الذي يعطينا إياه هذا النص بدءاً من وصايا موسى وحتى وصف المدن والشعوب التي تقطن أرض كنعان؟، أضف إلى ذلك أنه كان ثمة وجود مصري في تلك البلاد فلماذا لم يذكر؟.

إن الدلائل الأثرية والتاريخية تشير إلى حقيقة وكذبة في آن واحد أدلت بها التوراة، فالشيء الحقيقي الذي ذكر أنه كانت هناك حقاً أقوام في تلك المنطقة، إلا أنها كانت في صراعات بينها دائماً، وهذا مغر لعدو خارجي ولا يخيفه، وهي على العكس تماماً مما ذكر من أن الشعب المستوطن فيها بالغ القوة، وإلا لو كان ذلك لما استطاعت مجموعة من الرعاة كما يذكر التاريخ وغير مجهزة بعتاد حربي أن تتغلب على هؤلاء الأقوياء أصحاب المدن الحصينة.

http://kotob.has.it

أما الوجود المصري فأكثر الرأي يتجه إلى أن حاميات المصريين كانت في المناطق الرئيسة كما ذكرنا، وهؤلاء الجواسيس لم يجولوا في أرض كنعان كلها، إضافة إلى أن تلك الأقوام كانت تدير مناطقها إدارياً، أو ربما يكون هناك سبب خفي، لم يذكر الوجود المصري في أرض كنعان، وهذا السبب لم يعرف لأمرين، الأول أنه ما زال هناك نقص في المكتشفات الأثرية، والثاني أن كتبة التوراة أغفلوا ذكر هذا لغاية لا يعرفها إلا هم.

يذكر كتاب التفسير التطبيقي للكتاب المقدس أن المدن الحصينة التي تكلم عنها الجواسيس مدنٌ محاطةٌ بأسوار عالية، يبلغ سمكها نحو سبعة أمتار، وارتفاعها نحو ثمانية أمتار[1]، إلا أن الآثار والآثاريين لم يخبرونا عن تلك الحصون أو أولئك الأشخاص الذين يبلغ طولهم مترين أو ثلاثة أمتار في بلاد كنعان، على الأقل في تلك الفترة، ولا نعرف تماماً المصادر التي عاد إليها مفسرو الكتاب المقدس، إضافة إلى ذلك فقد ذكرت التوراة حصوناً يبلغ طولها عنان السماء، فأين تلك الحصون؟، فبعد أن جاء جواسيس موسى بأخبار أرض كنعان دب الرعب في نفوس بني إسرائيل، واتهموا موسى أنه يريد أن يفنيهم بسيوف تلك الأقوام، وقد بلغ تذمرهم حداً قالوا فيه: (لأن الرب يكرهنا أخرجنا من أرض مصر ليوقعنا في أيدي الأموريين ويهلكنا فإلى أين نذهب؟ لقد أوهن إخوتنا قلوبنا عندما أخبرونا أن أهل الأرض أعظم منا وأكثر طولاً ومدنهم عظيمة تبلغ حصونها عنان السماء). التثنية 1\26- 28.

إن بني إسرائيل بعد كل ذلك التأييد الرباني الذي وُهب لهم ما زالوا لا يثقون بالله ولا بموسى، وما زالوا يتحدثون عن حصون، لم يكن لها وجود سوى في مخيلة هذا الشعب لأن صفات التخاذل والخيانة وعدم الثقة بربهم وأنبيائه لازمت هذا الشعب منذ مسيرته الأولى.

التبشير بعبور نهر الأردن وامتلاك شعوب ومدن حصينة

يتحدث سفر التثنية عن وصايا ووعود يلقنها الرب لموسى، ليبلغها لبني إسرائيل، ويعد الرب موسى وبني إسرائيل بدخول الأرض الفلسطينية وتدمير الشعوب التي تقطنها، (اسمعوا يا بني إسرائيل أنتم على وشك عبور نهر الأردن لتدخلوا لطرد شعوب أكبر وأعظم منكم، وللاستيلاء على مدن عظيمة محصنة بأسوار تبلغ عنان السماء، يقيم فيها العناقيون الجبابرة العمالقة الذين عرفتم عنهم وسمعتم من يقول من يستطيع أن يتحدى

1- التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، 301 .

http://kotob.has.it

العناقيين، فاعلموا أن الرب إلهكم يتقدمكم كنار آكلة وهو الذي يستأصلهم ويذلهم أمامكم). التثنية 9\1- 3 .

الحصون التي دمرها بنو إسرائيل منذ الخروج بحسب النص التوراتي

1- القضاء على المديانيين:

(وقال الرب لموسى انتقم من المديانيين لبني إسرائيل). العدد 31\1.

يخبر موسى شعبه بأوامر الرب، فيحشدون للحرب، ويتواجهون هم والمديانيون فيقتل جيش بني إسرائيل كل ذكر، ويقتلون ملوك المديانيين الخمسة، (وأسر بنو إسرائيل نساء المديانيين وأطفالهم، وغنموا جميع بهائمهم ومواشيهم وسائر أملاكهم، وأحرقوا مدنهم كلها بمساكنها وحصونها). العدد 13\7- 10.

2- القضاء على الملك عوج:

كان عوج ملك باشان صاحب مملكة كبيرة كما تصفها لنا التوراة، إذ كان قوام هذه المملكة ستين مدينة، وكانت كل هذه المدن محصنة بالأسوار العالية والأبواب والمزاليج، فدمرها بنو إسرائيل جميعها، (ثم تحولنا واتجهنا نحو طريق باشان، فخرج عوج ملك باشان لمحاربتنا بكامل جيشه في أذرعي..... فحق لنا إلهك النصر أيضاً على عوج ملك باشان وعلى سائر جيشه فهزمناه حتى لم ينج منهم حي، واستولينا على جميع مدنه وكل قراه فكانت في جملتها ستين مدينة منتشرة في كل أرض أرجوب التي تشكل مملكة عوج في باشان، وكانت جميع هذه المدن محصنة بالأسوار العالية والأبواب والمزاليج فضلا عن قرى الصحراء الكبيرة فدمرناها كما فعلنا بمدن سيحون ملك حشبون وقضينا على الرجال والنساء والأطفال). التثنية 3\1- 6.

إن الحديث هنا يدور عن مملكة كبيرة كان ملكها عوج، وهذه المنطقة بحسب قاموس الكتاب المقدس كانت تشمل حوران والجولان واللجاة جنوب سورية، وعند الحديث عن ستين مدينة محصنة تحصيناً جيداً فإننا نظن أن آثاراً من هذه الأسوار والمدن ما زال القليل منها موجوداً إلا أن البعثات الأثرية لم تجد أياً من تلك المدن أو الحصون. فمن أين جاء الحديث عن ستين مدينة وستين حصناً منيعاً مزودة بمزاليج، وإن ستين مدينة محصنة جميعها كان يحتاج إلى بقعة أكبر كثيراً من الأرض التي كان الملك عوج يسيطر عليها.

http://kotob.has.it

تدمير أريحا

كانت أريحا أول مدينة استولى عليها بنو إسرائيل بحسب زعم التوراة بعد عبورهم الضفة الغربية من النهر، وقد سيطر عليها بنو إسرائيل في اليوم السابع من حصارها، حيث كان بنو إسرائيل منذ اليوم الأول من الحصار يدورون حول المدينة دورة واحدة، يرافقهم تابوت العهد والكهنة النافخون في أبواق الهتاف، واستمروا على ذلك الحال يدورون كل يوم مرة واحدة حتى اليوم السابع، وهو يوم سقوط الأسوار بنفخ الأبواق وقتل أهل المدينة وإحراقها.

السور ينهار بسبب أبواق بني إسرائيل

في اليوم السابع من الحصار يدور بنو إسرائيل حول المدينة سبع مرات، حتى يأمرهم يشوع بنفخ الأبواق، فتحدث المعجزة، (فهتف الشعب، ونفخ الكهنة في الأبواق، وكان هتاف الشعب لدى سماعهم صوت نفخ الأبواق عظيما، فانهار السور في موضعه، فاندفع الشعب نحو المدينة كل إلى وجهته واستولوا عليها، ودمروا المدينة وقضوا بحد السيف على كل من فيها من رجال ونساء وأطفال وشيوخ، حتى البقر والغنم والحمير). يشوع 6\20 - 21.

يعلق على هذه القصة إسرائيل فلنكشتاين Israel Finkelstein رئيس قسم علم الآثار في تل أبيب و نيل أشر سيلبرمان Neil Asher Silberman المؤرخ والباحث الأمريكي بقولهما: كانت مدن كنعان غير محصنة، ولم يكن لها أسوار يمكنه أن تسقط، في حالة أريحا ما كان هناك أي أثر لأي مستوطنة من أي نوع في القرن الثالث عشر ق.م، وكانت المستوطنة الأقدم التي تعود إلى العصر البرونزي المتأخر، أي القرن الرابع عشر ق.م مستوطنة صغيرة وفقيرة وغير محصنة، لم يكن هناك أيضاً أي علامة تدل على عملية تدمير، لذا فإن المشهد المشهور للقوات الإسرائيلية التي زحفت حول البلدة وأحاطت بها يتقدمها تابوت العهد، ثم إحداث انهيار لأسوار أريحا الهائلة بوساطة نفخ أبواق حرب الإسرائيليين لم يكن ببساطة سوى سراب رومانسي[1].

---

1 التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها، رؤية جديدة لإسرائيل القديمة وأصول نصوصها المقدسة على ضوء اكتشاف علم الآثار Israel Finkelstin و Neil Asher Silberman، ترجمة سعد رستم، دار صفحات، ط1، 2007م، ص 119.

http://kotob.has.it

وتعلق الكاتبة الآثارية كاثرين كانون على سقوط أسوار أريحا بأنه في أثناء محاصرة المدينة ربما يكون قد وقع زلزال سبب ما سبّب، وتشير إلى ذلك بقولها: أن وقوع الزلازل في وادي الأردن مألوف، فقد وقعت أربعة زلازل كبيرة خلال قرن واحد في تلك المنطقة، وقد أظهرت التنقيبات الأثرية التي حدثت بين عامين 1952 و1958م أن هناك ما لايقل عن سبع عشرة عملية ترميم وبناء وقعت في سور المدينة عبر ثمانمئة عام خلال عصر البرونز الباكر، بعض الانهيارات كان مؤكداً بسبب الزلزال[1].

ومن ناحية أخرى تنفي كاثرين كانون أي وجود لأسوار أريحا، لأن المكتشفات الأثرية التي وجدت تؤكد أن آخر سور أحاط بمدينة أريحا يعود إلى فترة العصر البرونزي الباكر، وجاء بعد ذلك أن المدينة أصبحت معسكراً ومن ثم قرية غير مسورة في الفترة الانتقالية بين العصر البرونزي الباكر والعصر البرونزي الوسيط، ومن المؤكد أنه لابقايا من أسوار المدينة المتأخرة التي تعود إلى فترة حدوث الدخول الإسرائيلي، وهكذا فإن علم الآثار لا يمكن أن يقدم شواهد منظورة لتلك الأسوار التي سقطت أمام الإسرائيليين المهاجمين.[2]

إن الحرب التي شنها بنو إسرائيل على أريحا كانت مدعومة بقوى ربانية، وذلك إذا سلمنا جدلاً بذلك الأمر، ولكن لماذا تتحدث التوراة عن حصن عظيم وعلم الآثار يفند ذلك، وهل حقاً لم تكن هذه القصة سوى حلم رومانسي، كما يقول الكاتبان في السطور السابقة؟، إضافة إلى كل ما تقدم من أخبار عن أرض كنعان فالحقيقة تقول إنه سواء كانت المدينة موجودة وقوية فعلاً أم كانت غير ذلك فلا وجود حقاً لحصن عظيم، ولا وجود أيضاً لتأييد رباني، يأمر في نهاية المطاف بقتل النساء والأطفال والشيوخ وحتى البهائم، ومسألة سبب اختراع وجود الحصن أمر سنناقشه في فقرات لاحقة.

المدن الحصينة وتقسيمها على أسباط بني إسرائيل

- حبرون ومدنها الحصينة لكالب بن يفنة: يطلب كالب بن يفنة من يشوع أن يمنحه إقليم الجبل حبرون، وكان يسكنها العناقيون، فيحتلها الأخير، وتصبح ملكاً له: (والآن هبني إقليم الجبل الذي تكلم عنه الرب في ذلك اليوم، لأنك أنت بنفسك سمعت آنئذ أن العناقيين كانوا هناك وأن مدنهم ضخمة وحصينة لعلي أطردهم بمعونة الرب كما وعد،

1- الكتاب المقدس والمكتشفات الأثرية الحديثة، كاثلين كانون، دار الجليل، ط1، 1990م، تعريب شوقي شعث سليم زيد، ص 48.

2- المرجع السابق ص 51

http://kotob.has.it

فباركه يشوع وأعطاه حبرون ملكا له). يشوع 14\ 12- 13، فطرد كالب بن يفنة ملوك العناقيين الثلاثة شيشاي وأخيمان وتلماي من ذرية عناق. يشوع 15\ 14.

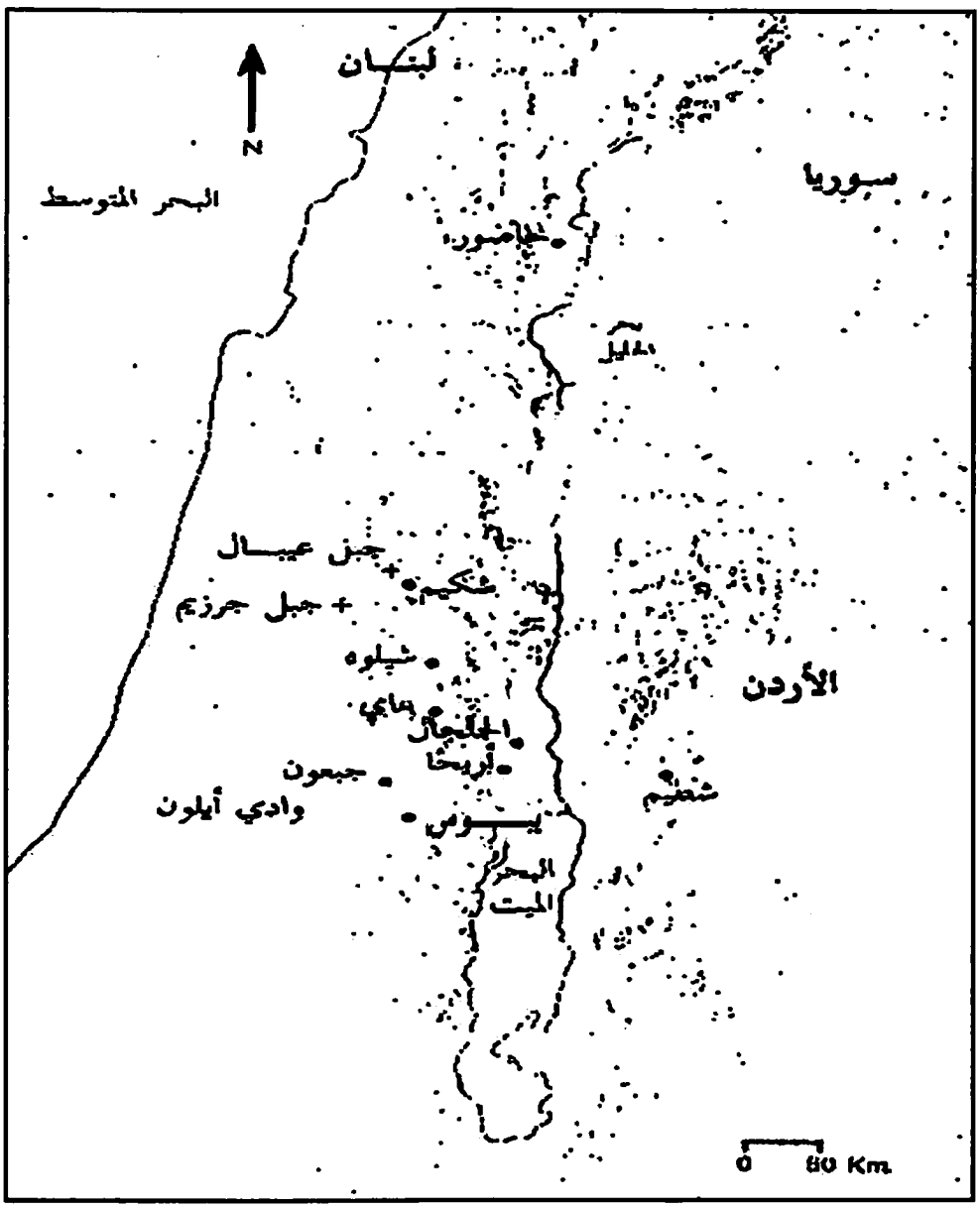

الأماكن الرئيسة في سفر يشوع

http://kotob.has.it

- نصيب سبط نفتالي من القرى والمدن المحصنة أعطيت عشائر سبط نفتالي مدناً محصنة هي على التوالي حسبما تقول التوراة: (وضمت حدودها - نصيب سبط نفتالي- مدنا محصنة هي: الصديم وصير وحمة ورقة وكنارة وأدامة والرامة وحاصور وقادش وأذرعي وعين حاصور ويرأون ومجدل إيل وحوريم وبيت عناة وبيت شمس وهي في جملتها تسع عشرة مدينة محصنة مع ضياعها). يشوع 19\35- 38.

-المدينة المحصنة صور وصيدون العظيمة من نصيب سبط أشير

تقول التوراة: (ثم اتجهت - حدود مدن نصيب سبط أشير - شمالاً نحو كابول وعبرون ورحوب وقانا إلى صيدون العظيمة ثم رجعت الحدود إلى الرامة وإلى المدينة المحصنة صور). يشوع19\27 -29.

إحراق برج شكيم (نابلس)

يثور أهل شكيم على الغزاة العبرانيين، فيخمد إبيمالك القائد العبري هذه الثورة، ويقتل سكان المدينة عن بكرة أبيهم ويدمر المدينة، يصل الخبر إلى سكان برج شكيم، وهو حسبما جاء في تفسير الكتاب المقدس قلعة حصينة قرب مدينة شكيم، التجأ إليها أهل تلك المدينة عندما هاجمهم إبيمالك، وقد تحصن أهل البرج في قلعة معبد إيل بريث، فعلم إبيمالك أن جميع أهل البرج قد تحصنوا في القلعة، فقال أبيمالك لرجاله: (كل ما تروني أفعله فأسرعوا وافعلوا مثلي، فقطع كل واحد من الجيش غصنا وساروا خلف أبيمالك إلى القلعة حيث كوموا الأغصان وأحرقوا القلعة بمن فيها، فمات جميع أهل برج شكيم وكانوا نحو ألف رجل). القضاة 9\48- 49.

مقتل أبيمالك على بوابات برج حصين

يهاجم أبيمالك تاباص، ويستولي عليها، فيلتجئ سكان هذه المدينة إلى برج حصين في وسط المدينة، وأغلقت أبوابه، وصعد السكان إلى سطح البرج، فحاصر أبيمالك البرج، وحاربه، إلا أنه لم يتمكن من إحراقه بسبب موته الذي كان بسبب حجر رحى ألقته امرأة من أعلى البرج فمات: (ثم توجه أبيمالك إلى تاباص وهاجمها واستولى عليها فلجأ جميع الرجال والنساء وسائر أهل المدينة إلى برج قائم في وسط المدينة، وأغلقوا البوابات خلفهم وصعدوا إلى سطح البرج فحاصر أبيمالك البرج وحاربه واقترب من باب البرج ليحرقه بالنار، فألقت امرأة حجر رحى على رأسه فشجت جمجمته). القضاة 9\50- 53. بعد ذلك يتفرق الجيش ويتوقف عن الحرب والحصار بسبب مقتل قائده.

http://kotob.has.it

سفر يشوع و القضاة والتناقض في فتح المدن

يذكر سفر يشوع انتصارات مذهلة لجيوش بني إسرائيل ويذكر أيضاً أنه ما زالت هناك أراض كبيرة بقيت خارج إطار السيطرة الإسرائيلية كمناطق الفلسطينيين على طول الساحل الجنوبي للبلاد، والساحل الفينيقي في الشمال، ومنطقة وادي البقاع في الشمال الشرقي، ونرى في سفر القضاة أن هناك عدداً من المدن الكنعانية الكبيرة لم يجرِ فتحها مثل مجدو، وبيت شان ودور وجازر، وأن هذه المدن لم يزل الفلسطينيون يسكنون فيها .

من نصدق ومن نكذب؟

يذكر سفر يشوع أن عدداً من الملوك الكنعانيين وغيرهم في شرق نهر الأردن وغربه جرى القضاء عليهم، ونذكر منهم (ملك أورشليم، ملك جازر، ملك تعنك، ملك مجدو، ملك دور....الخ). يشوع 12\7- 24، بينما يذكر سفر القضاة أن عدداً من هذه المدن لم يجرِ فتحها، ولم يستطع بنو إسرائيل بسط نفوذهم فيها، وهاكم النص: (وأخفق أبناء سبطِ منسي في طرد أهل بيت شان وقراها، وأهل تعنك وقراها، وسكان يلبعام وقراها، وسكان مجدو وقراها). قضاة 1\27.

أما بالنسبة لأورشليم فلم يسيطر عليها أحد حتى مهاجمة داوود لها واحتلالها، لأنها كما يبدو من النص كانت مدينة محصنة تحصيناً جيداً أيضاً، (ثم تقدم الملك - داوود - بقواته نحو أورشليم لمحاربة أهلها اليبوسيين، فقالوا لداوود : لن تستطيع اقتحام المدينة لأنه حتى في وسع العميان والعرج أن يصدوك عنها .غير أن داوود استولى على حصن صهيون المعروف الآن بمدينة داوود). صموئيل الثاني 5\6-7.

و يخبرنا سفر يشوع عن انتهاء الحرب والقضاء على أصحابها من الكنعانيين وغيرهم: (واستراحت الأرض من الحرب). يشوع 11\23، إلا أنه يعود في نهاية سفر يشوع وسفر القضاة ليخبرنا عن حروب ومناطق لم يجرِ الاستيلاء عليها كما ذكرنا من قبل، وفي هذا تناقض عجيب.

داوود والحصون

(أحبك يا رب، يا قوتي.الرب صخرتي وحصني ومنقذي، .إلهي صخرتي به أحتمي، ترسي وركن خلاصي.وقلعتي الحصينة). المزامير 18\1- 2.

بعد سلسلة أحداث طويلة وصراعات مريرة يصبح داوود ملكاً على مملكة يهوذا بعد موت ملكه شاؤول وابن الملك يوناثان صديق داوود بعد ذلك فترة وبعد جملة صراعات

http://kotob.has.it

يصبح داوود ملكاً على إسرائيل كلها، وكانت أولى خطوة له بعد تنصيبه الملك الاستيلاء على أورشليم (القدس)، وكان داوود آنئذ في الثلاثين من عمره.

تتحدث التوراة عن القدس كونها مدينة كثيرة التحصينات ممتنعة على الأعداء، وكان الحديث عن أسوار القدس ومناعتها مجازياً كونها مدينة يستطيع العميان والعرج أن يصدوا أي عدو عنها، وعن ذلك تذكر المصادر أن أسوار القدس لم تكن عظيمة بالقدر الذي منح وجودها في تلك البقعة حصانة أكثر، فهي مدينة محاطة بالجبال، وهي أيضاً على جبل، لذلك كانت مدينة تواجه كثيراً من الغزوات بسبب موقعها، إلا أن التوراة قد بالغت جداً في تصوير حصانتها حين قالت: إنه باستطاعة العميان والعرج أن يدافعوا عنها، خصوصاً أن داوود كما يتقدم في التوراة كان يترأس جيشاً قوياً اجتاح الكثير من المدن!؟.

تقول التوراة عن احتلال القدس بقيادة داوود (ثم تقدم الملك - داوود - بقواته نحو أورشليم لمحاربة أهلها اليبوسيين، فقالوا لداوود: لن تستطيع اقتحام المدينة لأنه حتى في وسع العميان والعرج أن يصدوك عنها .غير أن داوود استولى على حصن صهيون المعروف الآن بمدينة داوود وكان داوود قد قال لرجاله: على من يهاجم اليبوسيين أن يستخدم القناة للوصول إلى هؤلاء العمي والعرج - مستهزئا - الذين تبغضهم نفسي، لذلك يقال لا يدخل بيت الرب أعمى ولا أعرج، وأقام داوود في الحصن ودعاه مدينة داوود وكان داوود يزداد عظمة لأن الرب القدير كان معه). صموئيل الثاني 5\6- 10.

لم تدخل التوراة في التفصيلات عن دخول مدينة القدس مع أن هذا الحدث كان مهماً على كل الصعد، إلا أن سفر أخبار الأيام الأول شرح دخول القدس أفضل، حيث إن اليبوسيين رفضوا فتح المدينة لداوود، فاستولوا على حصن صهيون، وهو قريب من أسوار القدس الخارجية، حينئذ يقول داوود لرجاله: (إن من يقتحم اليبوسيين يصبح قائدا للجيش فهاجم يوآب بن صرويه أولا وأصبح هو القائد ومكث داوود في الحصن فدعي لذلك مدينة داوود وبنى المدينة من حولها ابتداء من القلعة إلى السور المحيط بها ثم قام يوآب بتجديد سائر المدينة). أخبار الأيام الأول 11\4-8.

أضف إلى ذلك أنه ثمة معركة كبيرة جرت في ذلك المكان، وذلك لهول تحصيناته، إلا أن التوراة لم تأت على التفاصيل، وعدّت الأمر أيسر مما كان متوقعاً ولا يستحق ذكره أصلاً، خصوصاً أن جميع أسباط بني إسرائيل قالوا لداوود إن هذه المدينة يمكن العرج والعميان أن يصدوك عنها، وعدم ذكر معركة حقيقية حدثت له عدة احتمالات، لا نستطيع حصرها حتى أو التنبؤ بصحة واحد منها على الأقل.

http://kotob.has.it

انتصارات داوود:

1- بعد اعتلاء داوود عرش مملكة إسرائيل وسيطرته على أورشليم خرج الفلسطينيون بقواتهم للبحث عنه فالتجأ إلى الحصن، ولم يقم بمهاجمتهم إلا بعد استشارة ربه، كما تقول التوراة: (وعندما علم الفلسطينيون أن داوود اعتلى عرش إسرائيل خرجوا بقواتهم للبحث عنه فلما بلغ الخبر داوود لجأ إلى الحصن، وجاء الفلسطينيون وانتشروا في وادي الرفائيين، وسأل داوود الرب هل أصعد لمحاربة الفلسطينيين؟ هل تنصرني عليهم؟ فأجابه الرب إصعد لأني أنصرك عليهم، فتقدم داوود نحو بعل فراصيم وهاجمهم قائلا: قد اقتحم الرب أعدائي أمامي كما تقتحم المياه). صموئيل الثاني 5\17-20، بعد ذلك هرب الفلسطينيون من داوود وجيشه ولحقهم وحطم أصنامهم.

2- بعد أن يعود داوود إلى أورشليم قادماً من عمون يعقد العزم على قتل شبع بن بكري أحد رجال إسرائيل الذي تمرد عليه وألّب رجال مملكة إسرائيل على داوود، فيرسل داوود أحد رجاله واسمه عماسا، ليجند رجال يهوذا لمقاتلة الملك، إلا أن عماسا يتأخر، فيخشى الملك من أن يتحصن شبع في مدن حصينة، ويفلت من أيدي الملك، فيأمر أحد قادته بأخذ حرس الملك الخاص لمطاردة الخائن شبع بن بكري.

يدور شبع بن بكري على جميع أسباط إسرائيل في مدنهم، إلا أن قوات الملك داوود تحاصره في إحدى المدن الحصينة، فيبدأ جيش الملك ببناء متراس مرتفع إزاء المدينة في مواجهة استحكام السور، وشرعوا في هدمه، يتوصل القائد مع أهل المدينة إلى اتفاق مضمونه أن يسلم شبع بن بكري مقابل عدم المساس بالمدينة وأسوارها وينفذ الاتفاق.

في هذه القصة الكثير من المعاني عن الحصون، أولها أن الملك داوود يخشى من أن يتحصن شبع بن بكري في إحدى المدن الحصينة، ويفلت من قبضته، بينما نجد داوود يتغلب على أكثر المدن حصانة ومنعة وباستطاعة العميان والعرج أن يصدوه عنها وهي القدس، ولماذا الخشية من مدن حصينة؟ طالما أن الملك دمّر أعتاها بحسب زعم التوراة: (فقال داوود لأبشاي - أحد قادته -: قد يسبب شبع الآن لنا أذى أكثر مما سببه أبشالوم - ابنه الذي ثار عليه - أسرع خذ حرسي الخاص وتعقبه لئلا يلجأ إلى مدن حصينة ويفلت من بين أيدينا). صموئيل الثاني 20\6- 7، وأين كلام داوود في المزامير عن الاتكال على الرب لاقتحام الحصون: (إلهي أنر ظلمتي، فإني بك أقتحم الحصون وبإلهي أتسلق الأسوار). المزامير، المزمور 18.

http://kotob.has.it

والثاني أنه في معظم الحوادث التي تدور في التوراة عن الحصون والأسوار يغفل ذكر المدافعين عنها بدءاً من سور أريحا ومروراً بالقدس، وهل هذه الحصون بنيت حتى لا يدافع عنها أو من فوقها أحد، وفي هذه القصة ذاتها أين المدافعون الذي يرون متراساً مواجهاً للسور يبنى ويشرع منه بهدم الأسوار: (وجاءت قوات يوآب وحاصرته - شبع بن بكري - في آبل بيت معكة، وأقاموا متراسا مرتفعا إزاء المدينة في مواجهة استحكامات السور وشرعوا في هدمه). صموئيل الثاني 20\15، إن قصة بناء المتراس توحي لنا بوجود جدار أو سور وحصن ليس وراءه أو عليه أحد، مع أن النص الذي يتحدث عن المفاوضات بين امرأة من المدينة والقائد المهاجم يقول إن المدينة المحاصرة هي أمٌ في إسرائيل، وهذا يعني وجوب وجود الكثير من الجنود والسكان في تلك المدينة.

والثالث: لماذا يأتي الإذن الرباني والمباركة الإلهية في غزو مدن حصينة وتدميرها لغير بني إسرائيل كما في كثير من النصوص ولا يأتي ذكرها أبداً في نزاعات وصدامات داخلية مع أن شبع بن بكري أهان الملك داوود وألب عليه نصف شعبه في مملكة إسرائيل.أليس هذا دلالة على أن الرب يبارك قتال الأغيار حتى ولو كانوا مسالمين ويسكت عندما يهان أحد ملوكه وأنبيائه في الأرض. ولماذا الملك داوود يثق بربه عندما يهاجم حصون ممالك المنطقة ولا يثق فيه كما في النص بل يعلن توجسه وخوفه من التجاء شبع بن بكري إلى مدن حصينة.بالإضافة إلى ذلك فمجرد أن يشرع القائد يوآب بهدم أسوار المدينة حتى تناديه امرأة بالتوقف، وتقول له إن هذه المدينة أم في إسرائيل، وهي جزء من ميراث الرب، فيتوقف هذا القائد عن مهاجمة المدينة، وتبدأ المفاوضات، ويتفق الجانبان على أن يسلم شبع ويكفّ عن حصار المدينة، فيلقى رأس شبع من على السور ويعود القائد إلى ملكه داوود . صموئيل الثاني 20\16 - 22، ولداوود قصة طويلة مع الحصون والأسوار، نفرد لها فقرة خاصة لمزاميره.

مزامير داوود والأسوار والحصون

(طوفوا بصهيون ودوروا حولها وأحصوا بروجها، علقوا قلوبكم بأسوارها)

يأخذنا سفر المزامير وهو مجموعة من التسابيح، نظمت على نمط قصائد شعرية في رحلة طويلة عن علاقة داوود وغيره بالحصون، ولعل سفر المزامير أكثر سفر وردت فيه كلمتا حصن وسور بمختلف المواضيع والمناسبات على نحو مدهش حقاً، وسنعرض في هذه الفقرة الحد بلغه كتبة التوراة في تجسيد فكرة الحصون والأسوار وبلورتها في

http://kotob.has.it

المخيلة الإسرائيلية في كلام لم يقله داوود النبي عليه السلام، بل داوود الذي صوره كتبة التوراة، والذي لا يمت بصلة إلى نبي أو رسول.

وتعدّ المزامير من النصوص المهمة عند اليهود والمسيحيين، فهي ترنيمات الكنس والكنائس في الأفراح والأتراح، وذلك لكونها كما أسلفنا ذات نظم شعري وكلمات غنائية تحكي في معظمها عن كيفية علاقة الرب بالعبد ومحبة العبد للرب وانتقام الرب للعبد، وقد أحسن كتبتها توصيف هذه العلاقة تارة وأساؤوا لها من دون أن يدروا تارة أخرى، كما سنرى.

وصف الله بالقلعة والحصن

وُصف رب الجنود كما يطلق عليه في سفر المزامير بالحصن نحو خمس وعشرين مرة، وفي مناسبات مختلفة، وتارة وصف الرب حصناً لداوود، وتارة حصناً ليعقوب ولبني إسرائيل، وفيما يلي جدول لعدد المرات، وفي أي المزامير وردت تلك الكلمة:

العدد	المزمور	النص
1	9	وليكن الرب حصناً للمظلومين، حصناً في زمن الضيق
2	18	الرب صخرتي وحصني ومنقذي، إلهي صخرتي به أحتمي
3	18	ترسي وركن خلاصي، وقلعتي الحصينة
4	27	الرب حصن حياتي فممن أفزع
5	28	الرب عزة لشعبه وحصن خلاص لمسيحه
6	31	وكن لي صخرةً حصناً وبيتاً منيعا لخلاصي
7	31	فإنك أنت صخرتي وحصني
8	37	من الرب خلاص الأبرار، هو حصن لهم في أوان الضيق
9	43	فإنك أنت إله حصني، فلماذا نبذتني
10	46	رب القوات معنا، إله يعقوب حصن لنا - مكررة ثلاث مرات - لبني قورح
11	52	وعليه يضحكون: هذا الذي لم يتخذ الله حصناً
12	59	وأنا أنشد لعزتك، لأنك كنت لي حصناً وفي يوم ضيقي ملجئي
13	59	أنت عزي ولك أعزف، الله حصني وإله رحمتي
14	62	هو وحده صخرتي وخلاصي، هو حصني فلا أتزعزع

http://kotob.has.it

15	71	كن لي صخرة حصناً، ألتجئ إليها كل حين
16	71	فقد أمرت بتخليصي، لأنك صخرتي وحصني
17	84	الرب الإله سور وترس يهب النعمة والمجد
18	91	أنت معتصمي وحصني إلهي الذي عليه أتوكل - المؤلف مجهول -
19	94	لكن الرب يكون حصناً لي، وإلهي يكون صخرة اعتصامي - المؤلف مجهول
20	144	إنه حمايتي وحصني ومعقلي ومنقذي وترسي، به اعتصمت، فأخضع الشعوب تحتي

لقد استخدم الكاتب خلال هذا الجدول كلمة حصن وقلعة وسور استخداماً أريد به وصف الرب بأنه إله الجنود فقط، وحصن أبدي لكل المقاتلين والجنود يقيهم من شر أعدائهم، ويعد وصف الرب بالحصن في كثير من المناسبات إقحاماً حقيقياً، حتى يصطبغ المعنى الإلهي بالمعنى العسكري الدموي، وما وَصْفُ الرب في عدد من أسفار التوراة بأنه رب الجنود إلا تأكيد على ذلك.

الحصن الإلهي في حاجة إلى حصن إنساني للقضاء على الأعداء - داوود يبني حصناً لله

نرى في تحول مفاجئ في أحد مزامير داوود أن الرب الذي طالما وصفه داوود بالحصن يبني له حصناً، حتى يتمكن من القضاء على أعدائه، ويبرز هذا التحول المفاجئ العلاقة الحقيقية بين الرب والحصون، فالإله الحصن يصبح بشراً ضعيفاً في حاجة إلى ما يقوي به نفسه على أعدائه، وينتقم منهم: (لأعظمن جلالك فوق السموات بأفواه الأطفال الرضع، أعددت لك حصناً أمام خصومك لتقضي على العدو والمنتقم). المزمور8، والملاحظ من هذا النص أن إقحام بناء الحصن لله حدث واضح، والانتقال المفاجئ من تعظيم جلالته فوق السماء بأفواه الرضع إلى الحديث عن بناء الحصن يبرز جلياً هذا الإقحام.

المدينة الحصينة وتعلق القلوب بأسوارها

وردت في التوراة كلمة المدينة الحصينة كثيراً وأكثر الظن أن المدينة التي كانت توصف في التوراة بأنها حصينة هي القدس (أورشليم)، وقد وردت هذه الكلمة في مزامير داوود نحو خمس مرات وفي وصف مختلف لها ولأسوارها .

http://kotob.has.it

داوود يؤتى عجائب رحمة الرب في مدينة حصينة

إن رحمة الرب تؤتى أنى يكون المرء، وهي لا تتعلق بظرف مكاني ولا زماني، إلا أن رحمة الرب هبطت على داوود في مدينة حصينة كما يقول: (تبارك الرب فإنه أتاني عجائب رحمته في مدينة حصينة). المزمور 31، والواضح من عدم تعريف هذه المدينة ترك المجال مفتوحاً أمام من يريد رؤية عجائب الرحمة في إحدى المدن الحصينة المنتشرة في الممالك الإسرائيلية، ليخرج القارئ بنتيجة أن عجائب الرحمة حددت مكانها بحسب قول داوود في مدينة حصينة، وهذا يذكرنا بيهوشافاط عندما عين قضاة في المدن الحصينة فقط: (ومكث يهوشافاط في أورشليم، ثم شرع يتجول بين الشعب من بئر السبع إلى جبل إفرايم وردهم إلى عبادة الرب إله آبائهم، وعين قضاة في كل مدن يهوذا المحصنة). أخبار الأيام الثاني 19\4 - 5 .

داوود ينشد السلام لأسوار أورشليم

تشكل أورشليم في العقلية اليهودية حجر أساس، ويأخذ الحديث عنها مجاري مختلفة على مدار الأسفار التوراتية، أما داوود فكان يتغزل بهذه المدينة وبأسوارها، وكان يدعو ربه أبداً أن يحافظ عليها ويحميها وأسوارها من كل الطامعين بها، وفي أحد المزامير يناشد داوود شعبه أن يطلب من الله أن تكون السلامة في هذه المدينة للأسوار، والسكينة في القصور، وهذا يؤكد فكرة أن الأسوار تشكل مركزية في العقلية والنفسية اليهودية: (أطلبوا السلام لأورشليم، السكينة للذين يحبونك، السلام في أسوارك والسكينة في قصورك). المزمور 122.

علقوا قلوبكم بأسوار صهيون

إن الأسوار والبروج تبقى ارتكازا لكل بني إسرائيل في حياتهم اليومية حتى إن أحد المزامير، وهو لبني قورح يطلب من كل بني إسرائيل أن يعلقوا قلوبهم في أسوار صهيون، ليخبروا بأن الله هو إلههم: (طوفوا بصهيون ودوروا حولها، وأحصوا بروجها، علقوا قلوبكم بأسوارها، وتأملوا في قصورها، لتخبروا الأجيال القادمة بأن الله هو إلهنا)، إن هذا النص من أهم نصوص المزامير التي تحكي عن الأسوار والأبراج، وهو يقص علينا حكاية المحبة الخاصة والتعلق العجيب بالأسوار والأبراج والحصون.

http://kotob.has.it

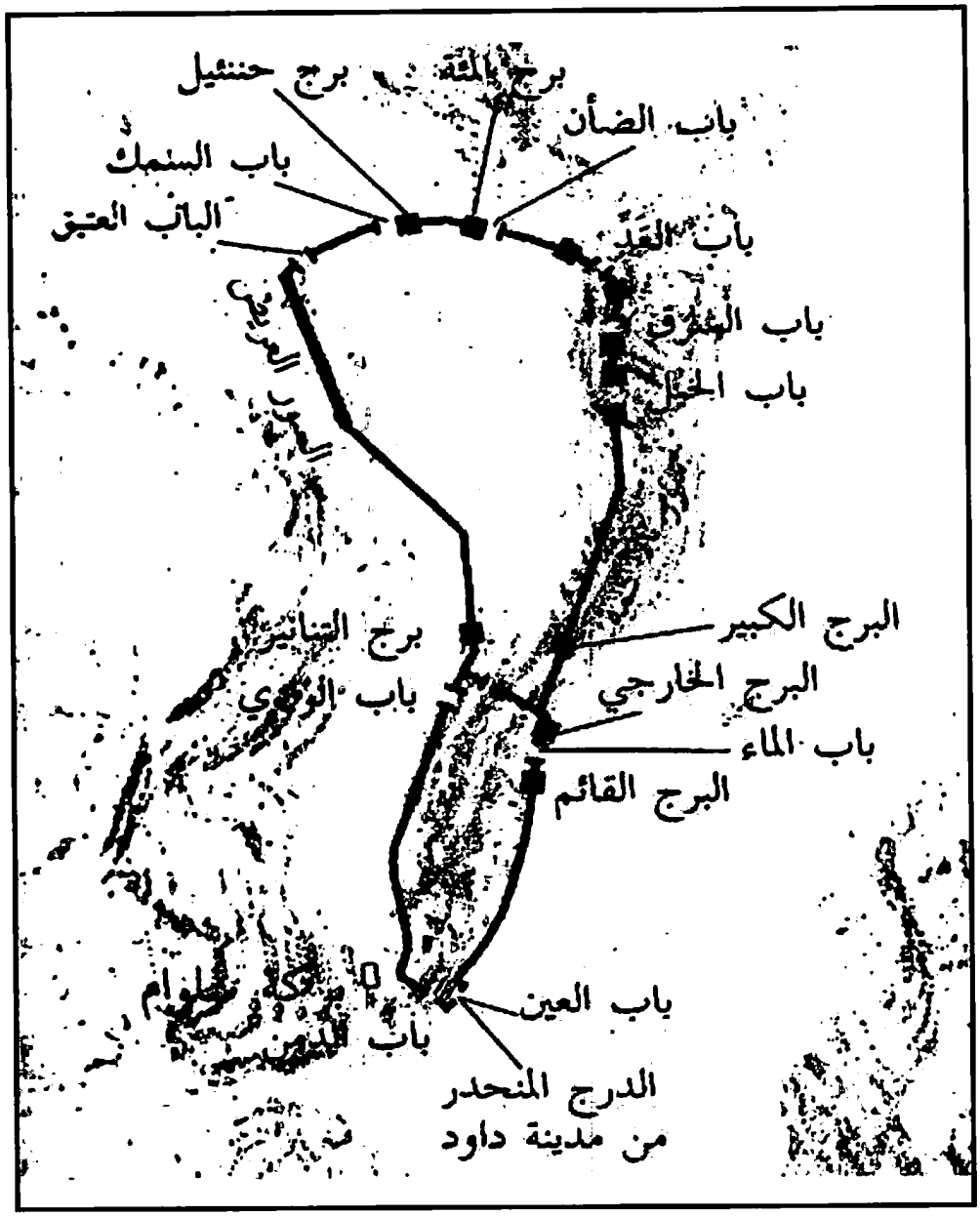

مدينة داوود حسب التفسير التطبيقي للكتاب المقدس

http://kotob.has.it

سليمان وملوك بني إسرائيل والحصون

بناء الحصون في زمن سليمان

يتفق عدد من المؤرخين اليهود والصهيونيين على أن زمن سليمان كان زمن منجزات عمرانية، وأهم هذه المنجزات كما ورد في التوراة هو بناء الهيكل المزعوم الذي لم يعثر على أي جزء منه، ولو على حجر واحد حتى هذا اليوم، وتورد التوراة أيضاً أن سليمان قام ببناء عدة مدن وحصون وترميمها، كان أهمهما إطلاقاً بناء مدينة بيت حورون العليا التي على بعد 12 ميلاً شمالاً من مدينة القدس وبيت حورون السفلى وجعلهما مدينتين حصينتين منيعتين: (ثم تقدم سليمان من حماة صوبا وافتتحها، وبنى أيضاً تدمر في الصحراء وسائر مدن المخازن التي أقامها عند حماة، كما أعاد بناء بيت حورون العليا وبيت حورون السفلى، وجعلهما مدينتين منيعتين محصنتين بأسوار وبوابات وأرتاج - لم يعثر أثريا على أي من تلك المدن والحصون -، كما بنى مدينة بعلة وكل المدن التي جعلها مخازن له، وجميع مدن حظائر المركبات ومدن الفرسان، وكل ما رغب في بنائه وترميمه في أورشليم وفي كل أرجاء سلطنته). أخبار الأيام الثاني 8\3-6.

كما كان من منجزات سليمان العمرانية إكمال بناء قصره، وبيت الرب والسور المحيط بالقدس الذي لم يعثر عليها حتى الآن، والقلعة، (وتزوج سليمان ابنة فرعون ملك مصر، وأحضرها إلى مدينة داوود ريثما يتم إكمال قصره وبيت الرب والسور المحيط بأورشليم). الملوك الأول 1/3. (وبعد أن انتقلت ابنة فرعون إلى قصرها الذي بناه لها عمل سليمان على بناء القلعة). الملوك الأول 9\24.

تسخير سليمان للشعوب التي لم يجرِ إفناؤها في بناء صروحه

استخدم سليمان سياسة التسخير والاستعباد لبناء قلاعه وحصونه وهيكله بحسب زعم التوراة، وعن ذلك تقول التوراة: (أما ما تبقى من الأموريين والحثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين ومن ذراري الأمم التي عجز الإسرائيليون عن إفنائهم، فقد فرض سليمان خدمة التسخير كالعبيد إلى هذا اليوم). الملوك الأول 9\20 -21. وتبرر التوراة سياسة سليمان بالتسخير والاستعباد أنها كانت من أجل البناء بكل أشكاله (أما خدمة التسخير التي فرضها سليمان، فكانت بداعي بناء هيكل الرب، وقصر سليمان، والقلعة، وسور أورشليم، وحاصور ومجدو وجازر). الملوك الأول 9\15.

http://kotob.has.it

وقد عمل سليمان أيضاً في فترة حكمه وتسخيره لشعوب المنطقة على سد الثغرات في سور مدينة داوود: (أما سبب تمرده فهو أن سليمان شيد القلعة وسد الثغرات في سور مدينة داوود أبيه وكان يربعام رجلا شديد المراس فلما رأى سليمان أن الشاب نشيط مجتهد أقامه مشرفا على أعمال التسخير في أرض سبط يوسف). الملوك الأول11\27-28.

مدن سليمان وحصونه وبواباته هل وجدت فعلاً؟

لقد عمل الآثاريون اليهود والأمريكان عبر عدة بعثات أثرية على البحث عن الأماكن والمدن والحصون التي ورد أن سليمان قام ببنائها، إضافة إلى الهيكل المزعوم محاولين بجهد عال إيجاد أي أثر سليماني، أو أي أثر يتعلق بمملكة يهودية تعود إلى القرن العاشر ق. م، إلا أن الفشل في معظم الأحيان كان حليف هؤلاء الآثاريين، فمنذ عشرينيات القرن المنصرم وثلاثينياته دأب هؤلاء على ملاحقة الأماكن التي ورد ذكرها في التوراة أنها بنيت في عصر سليمان، ومنها مدن حاصور ومجدو وجازر، وقد وجدوا الكثير من الآثار، كان أهمها ما وجد في خمسينيات القرن الماضي وستينيات على يد يبغائيل يادين Yigael yadin في مدينة جازر و مجدو، وكانت المكتشفات إسطبلات وغرفاً محصنة متلاصقة، وقصراً تبلغ مساحته ستة آلاف قدم مربعة [1]، وقد أحدث ثورة آنئذ في علم الآثار التوراتي، وردد من في الكيان الصهيوني أن تراث سليمان في أرض الميعاد المزعومة بدأ يتكشف.

لا وجود لمدن ولحصون ولبوابات سليمانية

لقد تبين بعد الاستناد إلى علوم الآثار أن الذين أرخوا لفترة تلك العمارات، سواء تلك التي تعود إلى عهد داوود أم سليمان أخطؤوا وأن العمارات التي وجدت لا تعود إلى داوود أو سليمان لثلاثة أسباب:

1- إن المكتشفات الأثرية لا تؤرخ لفترة وجود سليمان وداوود على السواء، فالآثار التي نسبت إلى داوود اكتشف أنها بنيت بعد داوود قرناً من الزمن، وكذلك الأمر لسليمان[2]، وإن هذه الآثار بنيت بعد عقود من موت هذين الملكين النبيين.

1- التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها، رؤية جديدة لإسرائيل القديمة وأصول نصوصها المقدسة على ضوء اكتشاف علم الآثار، Israel Finkelstin و Neil Asher Silberman، ترجمة سعد رستم، دار صفحات، ط1، 2007، ص 183 - 184.

2- المرجع السابق ص 188.

http://kotob.has.it

2- بضع سنوات مثلت بوابات سليمان أكثر اكتشافات علم الآثار أهمية في دعم الكتاب المقدس، إلا أن أسئلة أساسية من المنطق التاريخي طرحت في النهاية، وقوضت أهمية تلك الاكتشافات، فلم تكن في موقع آخر في كل المنطقة بدءاً من شرق تركيا في الشمال وعبر المناطق الغربية لسوريا، نزولاً إلى شرق الأردن في الجنوب أي إشارة أو دليل على مؤسسات ملكية متطورة، أو أبنية تذكارية تعود إلى القرن العاشر ق.م) [1]، أي فترة حكم الملك سليمان لتلك المناطق.

3- تتحدث التوراة عن جيش لسليمان وعرباته وخيوله وسلاح فرسانه، إلا أنه لم يكتشف أياً من السلع والأدوات التي تتعلق بالخيول، أو العربات، أو سلاح الفرسان في أي من البنايات المكتشفة التي تؤرخ لفترة حكم سليمان أو للملوك من بعده كالملك آخاب [2].

لقد كان الحديث عن حصون سليمان ومدنه وبواباته نسيج خيال فقط، حاكه مؤلفو التوراة لغايات، أهمها تمجيد ملوك ومنشآت، لم لكن لها أي وجود إطلاقاً.

سليمان ومحبوبته السور ونهداها البرجان

يأخذنا سفر نشيد الإنشاد في رحلة رومانسية، أصحابها سليمان التوراتي ومحبوبته، إذ يتألف هذا السفر من مجموعة قصائد غزلية ومحاورات شعرية مغدقة في الإباحية تدور بين سليمان وحبيبة له، ومن تلك المحاورات الغزلية تصف المحبوبة أختها بالسور، ثم تصف نفسها على نحو فاضح أيضاً بالسور، ولنلاحظ ما تقوله المحبوبة في وصف أختها الصغيرة: (لنا أخت صغيرة لم ينم نهداها بعد، فماذا نصنع لأختنا في يوم خطبتها؟ لو كانت سورا لبنينا عليه صرحا من فضة، ولو كانت بابا لدعمناه بألواح من أرز). نشيد الإنشاد 8\8- 9.

توحي لنا هذه المحاورة الشعرية بأن الأخت الكبرى المحبوبة حائرة في تقديم هدية للأخت الصغرى، فكانت هديتها افتراضية، لو كانت سوراً، لو كانت باباً أما وجد كتبة التوراة أن يصفوا الأخت الصغرى بهذا النحو الفاضح إلا بالسور أو الأبواب؟، ولماذا أقحم موضوع الأخت في هذه المحاورة؟

1- المرجع السابق 186.

2- التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها، رؤية جديدة لإسرائيل القديمة وأصول نصوصها المقدسة على ضوء اكتشاف علم الآثار، Israel Finkelstin و Neil Asher Silberman، ترجمة سعد رستم، دار صفحات، ط1، 2007، ص 261 .

http://kotob.has.it

أما تكملة القصة والمحاورة الشعرية الإباحية فتأتي من المحبوبة حين تصف نفسها أيضاً بالسور، وتصف نهديها بالبرجين فتقول: (أنا كسور ونهداي كبرجين، حينئذ صرت في عينيه كاملة). نشيد الإنشاد 8\10. إن هذه المحاورة تثير لدينا سؤالاً، وهو لماذا يقحم السور بهذا النمط المثير جداً أما وجدت المحبوبة خيراً من هذا الوصف الإباحي، إن كتبة التوراة أرادوا أن يجعلوا السور في كل مكان، حتى حين يكون المحبوب مع محبوبته، وأرادوا أن يبقى السور مزروعاً، وغير منسي، حتى في نفس العشاق الذين ينسون الدنيا ومشاغل الشعب.

يربعام وبناء الحصون:

يخلف يربعام سليمان في التربع على عرش يهوذا المملكة الشمالية، وتبدأ الخلافات والنزاعات في ملكه، وتنفصل المملكتان، دولة يهوذا ودولة إسرائيل، بعد ذلك يخرج الإسرائيليون عن طاعته، فيجهّز جيشاً يبلغ عدده مئة وثمانين ألفاً من نخبة المقاتلين، إلا أن هذا الجيش يعود عن قتال الإسرائيليين بعد نذير من الرب بعدم قتال إخوتهم اليهود، يبدأ آنئذ يربعام ببناء الحصون في مملكة يهوذا، ويحصن المدن: (وأقام يربعام في أورشليم وبنى حصونا في مدن يهوذا في بيت لحم وعيطام وتقوع وبيت صور وسوكو وعدلام، وجت ومريشة وزيف، وأدوريم ولخيش وعزيقة، وصرعة وأيلون وحبرون التي في يهوذا وبنيامين، وجعلها مدنا منيعة، ذات حصون قوية، وعين عليها قوادا، وخزن فيها مؤنا وزيتا وخمرا، وأتراسا ورماحا، وجعلها ذات مناعة عظيمة). أخبار الأيام الثاني 11\5- 12.

وعن يربعام وحصونه يقول عدد من المؤرخين: إن الحصون التي بناها يربعام لم تكن سوى وهم خادع تماماً مثل بوابات سليمان وقصوره، ولقد ثبت أن عمليات البناء الملكية إنما حدثت بعد مئتي عام تقريباً من حكم أولئك الملوك [1].

الملك شيشق المصري يغزو يهوذا ويستولي على مدنها الحصينة

(ففزا شيشق ملك مصر أورشليم في السنة الخامسة لحكم يربعام عقابا لهم لخيانتهم الرب). أخبار الأيام الثاني 12\2.

تتحدث التوراة عن حدث غزو يهودا من الملك المصري انتقاماً ربانياً من يربعام وشعب إسرائيل، لأنهم نبذوا شريعة الرب، فبعد أن قويت شوكة يربعام. ورسخ دعائم

1- المرجع السابق، ص 288 .

http://kotob.has.it

مملكته بدأ اليهود بترك كل وصايا ربهم وشريعته فيقوم الملك شيشق بغزو أورشليم وينهبها، ويحتل كل المدن الحصينة ليهوذا: (فجاء على رأس لا يحصى من لوبيين وسكيين وكوشيين ومعه ألف ومئتا مركبة وستون ألف فارس [1]. واستولى على مدن يهوذا الحصينة وحاصر أورشليم). أخبار الأيام الثاني 12\3-4.

الملك آسا، وبناء الحصون في أثناء استراحة الأرض من الحروب

(لنبن هذه المدن ونقم حولها أسوارا وأبراجا وأبوابا وأرتاجا ما دمنا على الأرض). أخبار الأيام الثاني 14\7.

يصبح آسا ملكاً على إسرائيل بعد وفاة أبيه الملك أبيّا، حيث تذكر التوراة أنه خلال عشر سنوات من فترة حكمه عم البلاد الأمان، وجرت إزالة المعابد الوثنية وتدمير كل الأوثان التي عبدها الإسرائيليون آنئذ كعشتروت وتماثيل عبادة الشمس، فاستراحت المملكة في عهده من الحروب، ولكن حتى حين.

يستغل آسا فترة الهدوء جيداً لتحصين المدن التي يسيطر عليها، فيبني مدناً جديدة حصينة وأسواراً وأبراجاً: (وبنى مدنا حصينة في يهوذا لأن الأمن كان يسود البلاد إذ أن الرب أراحه من الحروب.وقال ليهوذا: لنبن هذه المدن ونقم حولها أسوارا وأبراجا وأبوابا وأرتاجا ما دمنا مسيطرين على الأرض لأننا طلبنا الرب إلهنا فأراحنا من كل جهة فبنوا وأفلحوا). أخبار الأيام الثاني 14\6- 8.

يبدو آن آسا استغل فترة الهدوء التي سادت ببناء مدن حصينة وأسوار، وتفكير آسا في استغلال بناء كل ذلك كان حكيماً، فبعد هنيهة من الزمن يهزم آسا جيشاً قوامه مليون محارب وثلاث مئة مركبة، حيث يزحف زارح الكوشي على آسا وجيشه: (وزحف عليهم زارح الكوشي بجيش مؤلف من مليون محارب وثلاث مئة محارب وعسكر في مريشة - طبعا لا وجود لجيش بلغ قوامه ذلك العدد في تلك الفترة حتى في أعتى الإمبراطوريات). أخبار الأيام الثاني 14\9.

فيقضي الرب على جيش زارح الكوشي أمام آسا وجيشه، ولم يفلت منهم أحد: (فقضى الرب على الكوشيين أمام آسا وجيش يهوذا ففر الكوشيون وتعقبهم آسا والجيش إلى جرار فقتل الكوشيين فلم يفلت منهم أحد لأنهم انهزموا أمام الرب). أخبار الأيام الثاني 14\12- 13.

1- تقول بعض المراجع إنه يجب عدم فهم كلمة (فارس) بأنه خيّال، لأن المصريين لم يكن لديهم فرسان، ومن المحتمل جداً أن هؤلاء الستين ألف رجل كانوا من مشاة الجيش العاديين. تاريخ مصر القديمة، ج2، تأليف: د .رمضان السيد، ص234.

http://kotob.has.it

يهوشافاط يبني مدناً حصينة

يعتلي يهوشافاط العرش بعد موت أبيه آسا، وكان أول أعماله بعد اعتلائه العرش توزيع جيوشه على مدن يهوذا الحصينة وإقامة حاميات في سائر الأرض لمواجهة مملكة إسرائيل: (وخلف يهوشافاط أباه على الملك، وجعل يعبئ قواته لمحاربة إسرائيل ووزع جيوشه على مدن يهوذا الحصينة وأقام حاميات في سائر أرض يهوذا وفي مدن أفرايم التي استولى عليها آسا أبوه). أخبار الأيام الثاني 17\1-2.

بعد ذلك يعظم شأن يهوشافاط، ويعود فيبني مدناً حصينة: (وعظم شأن يهوشافاط وبنى في يهوذا حصونا ومدناً و مخازن للتموين وتكاثرت أشغاله في مدن يهوذا، كما كان له في أورشليم جيش قوي من المحاربين الأشداء). أخبار الأيام الثاني 17/ 12- 13. يتحالف يهوشافاط مع ملك إسرائيل، ويقرران ضرب ملك آرام، يبدو من تلك المعركة أن الجيش اليهودي يعود منهزماً، لأن ملك إسرائيل يموت، ويعود يهوشافاط إلى القدس (بسلام) كما تصفه التوراة، يبدأ يهوشافاط بعدد من الإصلاحات، كان منها تنصيب قضاة على المدن المحصنة، ولا ندري تماماً لماذا المدن الحصينة فقط يعين فيها يهوشافاط القضاة: (ومكث يهوشافاط في أورشليم، ثم شرع يتجول بين الشعب من بئر السبع إلى جبل إفرايم وردهم إلى عبادة الرب إله آبائهم، وعين قضاة في كل مدن يهوذا المحصنة). أخبار الأيام الثاني 19\4-5.

تدمير سور أورشليم على يد مملكة إسرائيل

تدور حرب داخلية بين أبناء المملكتين يهوذا وإسرائيل، وتكتب الغلبة لجيش مملكة إسرائيل بقيادة يوآش، ويقع ملك يهوذا أمصيا في الأسر، فيأخذه يوآش إلى أورشليم، ويشرع بهدم سورها: (ووقع أمصيا ملك يهوذا في أسر يوآش ملك إسرائيل في بيت شمس وتوجه بجيشه إلى أورشليم و هدم سورها من باب إفرايم إلى باب الزاوية على امتداد نحو أربع مئة ذراع - نحو مئتي متر-). الملوك الثاني 14\13.

عزّيا وتدمير الأسوار وبناؤه الأبراج

بعد موت أمصيا يتسلم ابنه عزيا مقاليد الحكم في يهوذا، وما إن يتسلم الحكم حتى يبدأ بحرب ضد الفلسطينيين والعرب والعّمونيين، ويهدم أسوارهم، ويجبرهم على دفع الجزية، ثم يبدأ ببناء الأبراج في القدس وفي الصحراء: (وزحف على الفلسطينيين

http://kotob.has.it

وحاربهم وهدم سور جت وسور يبنة وسور إشدود وبنى مدنا في إشدود وبقية أرض الفلسطينيين، وأعانه الرب على الفلسطينيين وعلى العرب المقيمين في جور بعل وعلى العّمونيين، ودفع العمّونيون له الجزية..... وبنى عزيا أبراجا في أورشليم عند باب الزاوية وعند باب الوادي وعند الزاوية وحصنها، كما شيد أبراجا في الصحراء). أخبار الأيام الثاني 26\6- 10.

اختراع المنجنيقات على يد رجال عزيا

تتحدث التوراة عن قوة جيش عزيا، وتبدأ بوصفه بدقة: عُدده واختصاصات جنده الذين بلغ عددهم بحسب زعم التوراة ثلاث مئة ألف وسبعة آلاف وخمس مئة، إضافة إلى ألفين وست مئة مشرف على هذه القوات، وقد زود عزيا كل جيشه بأتراس ورماح وخوذ ودروع وقسي وحجارة مقاليع، أما الأمر المفاجئ في ذلك إضافة إلى العدد الكبير للجيش فهو اختراع رجال عزيا المنجنيقات، وتحويل مهمتها من الهجوم إلى الدفاع ومن رمي الحجارة إلى رمي السهام: (وقام المخترعون من رجاله باختراع منجنيقات نصبها على أبراج أورشليم وعلى الزوايا لرمي السهام والحجارة). أخبار الأيام الثاني 26\15.

ولمناقشة هذه الفكرة نلاحظ الآتي:

1- اختراع المنجنيقات كان على أيد يهودية إن كتب التاريخ والآثار لم تتحدث عن اختراع أي من المنجنيقات في تلك الفترة في هذه المنطقة، وقد قمت بالبحث في عدة كتب تتحدث عن ذلك الموضوع، ولم أجد أي معلومة تؤيد ذلك.

2- إن مهمة المنجنيق هي مهمة هجومية أساساً اخترعت لتدمير الحصون والمتاريس الحجرية المرتفعة، ولم تكن مهمتها دفاعية، خصوصاً على ظهر الأبراج والأسوار، بل إن هذه المهمة منوطة برماة السهام حصراً.

3- النص التوراتي يقول: إن المنجنيقات اخترعت ووضعت على الأبراج وعلى الزوايا لرمي السهام والحجارة وهذا خطأ فادح في إسناد مهمة ضرب السهام عن طريق المنجنيقات وإلا فما دور الرجال الذين يكونون على الأبراج.

http://kotob.has.it

يوثام يبني الحصون ويزيد على الأسوار

بعد موت عزيا تقلد ابنه يوثام الحكم، وما إن تسلم الحكم حتى بدأ ببناء الحصون كالعادة: (وقد قام يوثام ببناء الباب الأعلى لهيكل الرب، وأضاف كثيراً إلى سور الأكمة [1] وبنى مدنا في جبل يهوذا وشيد أبراجا وقلاعا في الغابات). أخبار الأيام الثاني 27\3- 4.

تحصينات وأسوار حزقيا، وحملة سنحاريب الأشورية

يلخص سفر الملوك الثاني في إصحاحه الثامن عشر، المقطع 7، منجزات حزقيا بسطرين وهما: (ذلك كان الرب معه وكل أعماله بالنجاح.وثار على ملك آشور وأبى الخضوع له، ودحر الفلسطينيين من برج النواطير إلى المدينة المحصنة حتى بلغ غزة وضواحيها).

تبدأ أولى الحملات الآشورية على يهوذا عندما كان حزقيا ملكاً على هذه المملكة، حيث يشرع الملك سنحاريب بمحاصرة المدن الحصينة طمعاً في الاستيلاء عليها، كما تزعم التوراة: (زحف سنحاريب على أرض يهوذا ودخلها وحاصر المدن الحصينة). أخبار الأيام الثاني 32\2.

فيتخذ حزقيا عدة إجراءات لمقاومة هذا الغزو، تبدأ بردم عيون المياه وتحصين المدينة أورشليم: (وتجمع جمهور غفير، ردموا جميع الينابيع والنهر الجاري في وسط الأرض قائلين: لماذا يأتي ملوك آشور ويجدون مياها غزيرة؟ وتشجع ورمم السور المنهدم، وعززه بالأبراج المرتفعة، وبنى سوراً آخر خارجه، وحصّن قلعة مدينة داوود وصنع أسلحة كثيرة وأتراسا). أخبار الأيام الثاني 27\4 -6.

تدمير جيش سنحاريب بوساطة ملاك الرب

يهزأ سنحاريب في أثناء محاصرته المدينة بحزقيا وبأتباعه وبآلهتهم، وكان سنحاريب قادماً بجيش جرار بحسب زعم التوراة، فيتضرع حزقيا إلى الله، ويأتي جواب الله على لسان إشعيا النبي مبشراً حزقيا أن سنحاريب لن يدخل المدينة، ولن يرميها بسهم واحد: (لذلك فهذا ما يقوله الرب عن ملك آشور، لن يدخل المدينة ولن يطلق عليها سهما أو يتقدم نحوها بترس ولن يقيم عليها مقلاعا بل يرجع في الطريق الذي جاء منه ولن يدخل هذه المدينة يقول الرب). الملوك الثاني 19\32-33.

1- وهو كما يقول قاموس الكتاب المقدس شمال مدينة داوود وجنوبي الهيكل المزعوم – قاموس الكتاب المقدس، ص647.

http://kotob.has.it

في الليلة ذاتها التي يأتي فيها إشعيا ببشرى الرب يحدث أن ملاك الرب يأتي ويقتل مئة وخمسة وثمانين ألفاً من جيش سنحاريب، فينسحب سنحاريب عائداً أدراجه إلى آشور: (وحدث في تلك الليلة أن ملاك الرب قتل مئة وخمسة وثمانين ألفا من جيش الآشوريين، فما إن طلع الصباح حتى كانت الجثث الميتة تملأ المكان، فانسحب سنحاريب ملك آشور وارتد إلى بلاده ومكث في نينوى). الملوك الثاني 19\35- 36.

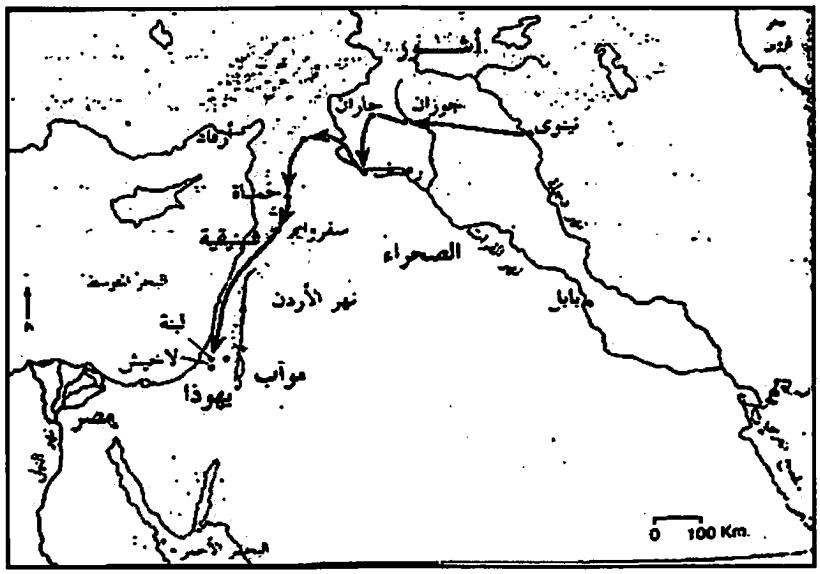

مسير حملة سنحاريب

السبي البابلي لمملكتي يهوذا والسامرة

لقد كانت نهاية احتلال بني إسرائيل في فلسطين على يد الآشوريين، فقد كانت آخر معاقل مملكة إسرائيل في السامرة، حيث سبوا على يد الملك الآشوري شلمانصّر الخامس، بعد أن أعلن يهود السامرة أنهم أتباع للملك الآشوري، إلا أن الخيانة كانت سبباً في سبيهم على يد الآشوريين، حيث حاول اليهود بقيادة هوشع أن يتحالفوا مع مصر، عدوهم القديم، ضد الملك الآشوري، إلا أن الملك الآشوري عرف بالمحاولة السرية لهذا التحالف، فغزا البقية الباقية من مدن يهوذا الحصينة، وحاصر السامرة، وتمكن من فتحها، وسبى المحتلين اليهود في عام 720 ق.م، وأسكنهم في مملكته: (أخذ ملك آشور السامرة، وسبى إسرائيل إلى آشور، وأسكنهم في حلح وخابور نهر جوزان، وفي مدن مادي). الملوك الثاني 17\6.

http://kotob.has.it

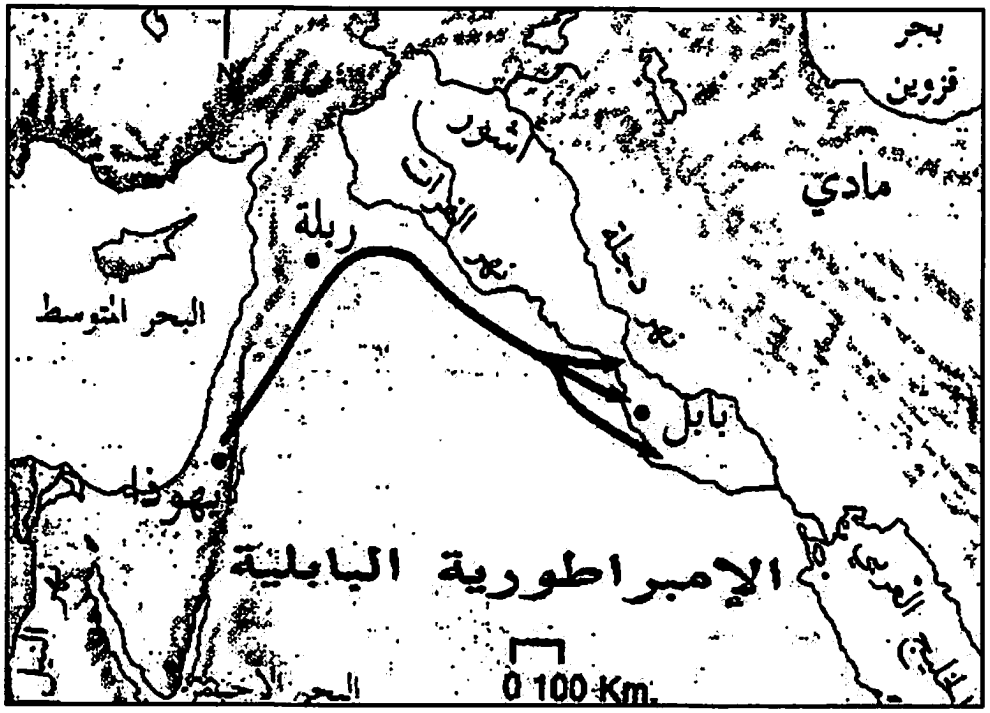

سبي مملكة يهوذا على يد البابليين

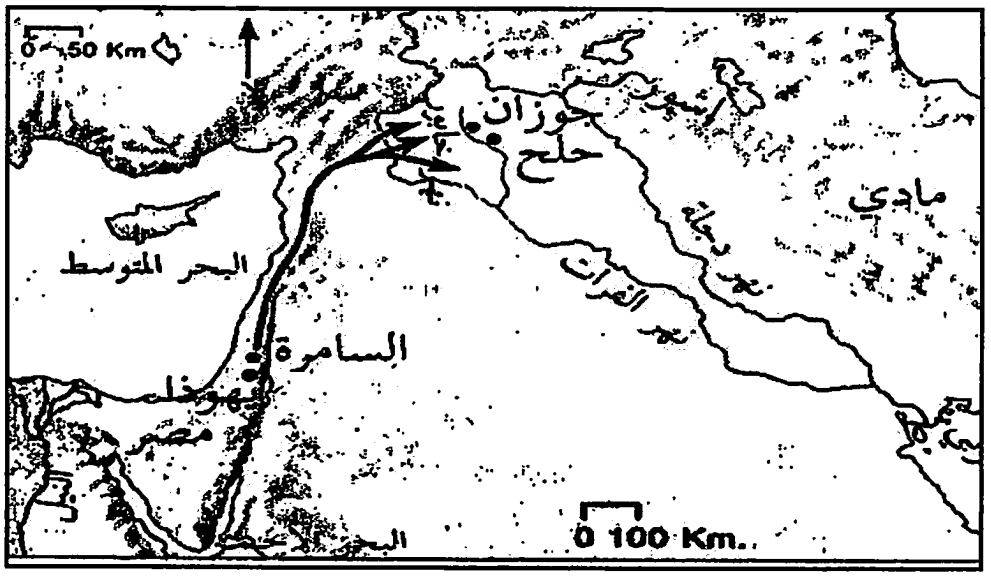

سبي المملكة الشمالية السامرة

http://kotob.has.it

أما مملكة يهوذا فقد انتهت على يد الملك البابلي نبوخذ ناصّر، وذلك عندما أعلن ملك يهوذا صدقيا تمرده عليه، فزحف نبوخذ ناصر بكامل جيشه، كما تزعم التوراة، وحاصر أورشليم، وأقام حولها أبراجاً فأصابت أورشليم مجاعة، فحاول الملك صدقيا الفرار عن طريق فتحة في السور، أحدثها هو وأتباعه، إلا أن الجيش المحاصر تبعه، واعتقله في صحراء أريحا .الملوك الثاني 25 \ 4 - 5.

هناك أسئلة كثيرة تثار عن السبي البابلي للممالك اليهودية، وما زالت عدة نظريات ووجهات نظر تتحدث عن هذا الحدث الهام في التاريخ، إلا أن أهم سؤال طرح عن ذلك هو لماذا سبي اليهود؟ ولم يُسبَ السكان الأصليون في فلسطين من كنعانيين وغيرهم؟.

أين الحصون؟، أين القلاع؟، أين الأسوار؟

(ويدمرون بالسيف مدنكم الحصينة التي عليها تتكلون). إرميا 5\17.

لاحظنا بعد ذلك السرد التاريخي لبناء الحصون والأسوار والقلاع من بني إسرائيل منذ الخروج وحتى السبي العلاقة الوطيدة بين أولئك القوم والحصون والقلاع والأسوار، وكيف بنى كل ملك من ملوكهم مدناً حصينة، وبنى أسواراً ورممها وشيّد أبراجاً وقلاعاً كثيرة إلى ما لا حصر له من كل الوسائل الدفاعية والهجومية، إلا أن كل ذلك لم يمنع نهاية هؤلاء المحتلين من مصيرهم مسبيين إلى أرض بعيدة.

وللوقوف على كل ما ذكر نستطيع أن نخلص إلى عدة نتائج من الممكن جداً أن القارئ قد لاحظها:

1- من النصوص التي تتحدث عن كثرة الحصون والقلاع والأبراج والأسوار نتوصل إلى أن المناطق التي سيطر عليها بنو إسرائيل أصبحت بمجملها حصوناً وأسواراً متناثرة على طول تلك المناطق وعرضها، ولم يعد بالإمكان تصور أرض كنعان التاريخية سوى قلعة مغلقة، تتناثر داخلها مدنٌ حصينة وقلاعٌ وأسوارٌ منيعة، وهذا لا أساس له من الصحة أثرياً وتاريخياً.

2- لم تكن قصص المدن الحصينة والأسوار والقلاع المنيعة سوى خيال رومانسي، كما وصفها أحد الآثاريين الإسرائيليين الجدد؟، أضف إلى ذلك أن المجد الذي لم يستطع أن يصنعه بنو إسرائيل على الأرض حاولوا أن يصنعوه في كتبهم، ويفصح عن هذا بكل صراحة التناقض الحاصل في أسفار التوراة عن فتح المدن، فتارة المدينة مفتوحة وملكها مقتول، وتارة أخرى ما زال السكان الأصليون يسيطرون عليها ويحكمونها.

http://kotob.has.it

3- إن الجدران والأسوار هي المنقذ الأول الذي يعتمده بنو إسرائيل في تبديد خوفهم من أي محتل، وكثيراً ما كان المعول الرئيس عليه في كل الحوادث، حتى في الحروب الداخلية والأهلية، وهذا من مخلفات الجدار الذي صنعه ملاك الرب الذي حال بين بني إسرائيل وفرعون، والجدار الذي صنعه رب بني إسرائيل حين عبورهم نهر الأردن.

4- لم يستطع الآثاريون الجدد ولا القدامى إثبات صحة ما جاءت به التوراة من حصون شيدت وأسوار بنيت، ومازالت التوراة مثار جدل في صدق ذكرها لكل تلك الحروب ولكل تلك المشيدات الأثرية، وما وجده عدد من البعثات الأثرية الممتدة من منتصف القرن الثامن عشر حتى اليوم لا يتطابق في كثير من الأحيان مع النصوص التوراتية، أضف إلى ذلك وللأمانة التاريخية أن مجمل الآثاريين في الكيان الصهيوني وحلفاءهم الصهاينة في العالم يتمسكون بشذرات أثرية وأسماء عبرية وردت فيها وفي بعض الأحجار والوثائق المشكوك أصلاً في صدقها ليدلّوا على مزاعمهم في صدق مصطلح أرض الميعاد، ومعظمنا على دراية بمحاولات العثور على هيكل سليمان المزعوم في القدس، ولو قدر لكل هؤلاء أن يجدوا ولو قطعة أثرية واحدة، ولو حتى قطعة فخار تثبت صحة مزاعمهم لدمر المسجد الأقصى في أول إعلان للعثور على قطعة أثرية من هيكل سليمان المزعوم.

5- إن ثبت علمياً ما رمت إليه التوراة من أن أرض كنعان إبان الاحتلال العبري لها أصبحت تتناثر داخلها القرى المحصنة والقلاع والأسوار فهذا يؤكد مرة أخرى أن اليهود التفتوا إلى بناء الحصون، وتركوا بناء الحضارة بالمفهوم المدني لها، لأنهم ظنوا كما سنرى لاحقاً أن العز والذل والفخار والبقاء والزوال ترتبط جميعها بوجود الأسوار.

6- وأخيراً وليس آخراً إن كل ما سقناه من حديث عن حصون وقلاع وجدر مزعومة لا يخدم بطريقة أو بأخرى ما يذهب إليه بعض الباحثين العرب المعاصرين من أن أحداث التوراة لم تحدث في بلاد كنعان، وإنما في منطقة أخرى قد تكون الجزيرة العربية واليمن، لأن تفنيد مزاعم التوراة في احتلال بلاد كنعان وتدميرهم لحصونها لا يعني أن الأحداث لم تجر في فلسطين، وتفنيد مزاعم التوراة تلك ليس قائماً على أن بني إسرائيل لم يغزوا أو يتسربوا إلى فلسطين، بل على أساس أن بني إسرائيل حاولوا صنع مجد أو إرث على حساب العقل البشري الذي لم يستوعب تلك الأحداث، وعلى حساب العلم الذي لم يتخيل كتبة التوراة أنه سيفند كثيراً من مزاعمهم.

http://kotob.has.it

الاتكال على الحصون والثقة بها

من كل ما تقدم نلاحظ أن بني إسرائيل عمدوا في كل مكان كانوا فيه إلى بناء حصون وأسوار، وكان هؤلاء القوم يعتمدونها أولاً في مقاومتهم الأعداء، ولعل الحصون والقلاع هي جزء محوري في أي حرب، وفعلاً عليها يعول صمود مدينة أو سقوطها في وجه محتلين أو أي غزاة، إلا أن الحديث عن بني إسرائيل يدور عن شعب رأى من المعجزات ما لم يشاهده غيره في كثير من المواقف، إلا أن الاتكال على الحصون كان يأتي قبل الاتكال على رب الجنود الذي أنقذهم من قبضة الفرعون.

ومنذ البداية ومع كل التأييد الرباني لهم إلا أن خوفهم من الحصون والمدن الحصينة ووجود عمماليق أطول منهم جعلهم يخشون دخول الأرض التي قال لهم موسى أن يدخلوها، ولاموه كثيراً وأنّبوه حتى إن عدداً من الخارجين معه من مصر أرادوا أن يرجموه وأخاه هارون ويعيّنوا لهم قائداً عليهم آخر، حتى يعود بهم إلى مصر، وهذا الحدث يوصلنا إلى نقطة مفصلية عن هؤلاء القوم، وهي أنهم لم يؤمنوا ولو لحظة واحدة بكل معجزات الرب، ولم يثقوا به أبداً في أي موقف من المواقف ولهذا كانوا يعتمدون رؤيتهم الخاصة بعيدين كل البعد عن ربهم.

لعنات الرب بتدمير الحصون التي يثق بها بنو إسرائيل

يتوعد الرب بني إسرائيل بلعنات مدمرة ومهلكة نتيجة لعصيان صوته وعدم العمل بجميع وصاياه وفرائضه: (ولكن إن عصيتم صوت الرب إلهكم ولم تحرصوا على العمل بجميع وصاياه وفرائضه التي أنا آمركم اليوم بها، فإن جميع هذه اللعنات تحل بكم وتلازمكم). التثنية 28\15.

ويقدم سفر التثنية بعد عرض ذلك التهديد الرباني مجموعة من اللعنات العظيمة، إلا أن أهمها هو جلب جيوشٍ جرارة تدمر حصونهم التي يثقون بها، وتحاصرهم حتى تصبح مجاعة ويأكل بعضهم بعضاً: (ويجلب الرب عليكم من بعيد من أقصى الأرض، أمة لا تفهمون لغتها فتنقض عليكم كالنسر..... وتحاصركم في جميع مدنكم حتى تتهدم أسواركم الشامخة الحصينة التي وثقتم بمناعتها في كل مدنكم، فتحاصركم في جميع مدنكم، في كل أرضكم). التثنية 28\52.

http://kotob.has.it

الرب يحض على غزو مملكة يهوذا وتدمير الحصون التي يثقون بها

يخون بنو إسرائيل الرب ويغدرون به بحسب وصف التوراة، فيجلب عليهم أمة لتغزوهم وتدمر حصونهم التي عليها يتكلون: (اذهبوا إلى أتلاف كرومها ودمروها ولكن لا تفنوها، إنزعوا أغصانها لأنها ليست للرب، فذرية إسرائيل وذرية يهوذا قد غدرتا بي يقول الرب، قد جحدوا الرب وقالوا: لن يعاقبنا ولن يصيبنا مكروه ولن نرى سيفا ولن نتعرض لجوع...لأنكم قلتم هذا الكلام فها أنا أجعل كلماتي في فمك نارا وهذا الشعب حطبا فتلتهمهم النار، ها أنا أجلب عليكم يا ذرية إسرائيل أمة قديمة قوية من أرض نائية، تجهلون لغة أهلها ولا تفهمون ما يقولون جعبتها كقبر مفتوح، وكل رجالها جبابرة، فيأكلون حصادكم وطعامكم، ويهلكون أبناءكم و بناتكم ويلتهمون مواشيكم وقطعانكم، ويأكلون كرومكم وأشجار تينكم، ويدمرون بالسيف مدنكم الحصينة التي عليها تتوكلون). إرميا 5\10- 17.

تعلق القلوب بالأسوار لا بالرب خالق القلوب

وقد ذكرنا آنفاً ذلك عند الحديث عن المزامير، وقد ارتأينا ذكرها هنا حتى نستطيع الوصول إلى إدراك حقيقي واع أن بني إسرائيل تركوا الرب وعبدوا حصونهم، فبدل أن يطلب من الشعب أن يتعلق قلبه بالرب يطلب منه أن يعلق قلبه بالأسوار، لأنها عند هؤلاء تأتي في المقام الأول في حياتهم: (طوفوا بصهيون ودوروا حولها، وأحصوا بروجها، علقوا قلوبكم بأسوارها، وتأملوا في قصورها، لتخبروا الأجيال القادمة بأن الله هو إلهنا) .

الخلاص في الأسوار والمدن المنيعة

في أنشودة ابتهاج يردد أبناء مملكة يهوذا بحسب سفر إشعيا بعض الابتهالات التي تؤكد أيضاً أن خلاص بني إسرائيل في أسوارهم ومدنهم الحصينة: (في ذلك اليوم يتردد هذا النشيد في أرض يهوذا، لنا مدينة منيعة يجعل الرب الخلاص أسوارا ومترسة). إشعيا 26\1.

يأخذنا هذا النشيد إلى القول إن بني إسرائيل وصلوا في نهاية المطاف إلى الطمأنينة الأكيدة أن الأسوار والمدن المنيعة هي غاية هذا الشعب المرجوة، ولهذا أصبح للمدن المنيعة وللأسوار أناشيد وتسابيح، يتهلل بها الشعب ويتغنى بها، وفي مقطع آخر من سفر إشعيا يؤكد أن الخلاص هو في الأسوار: (ولا يسمع بظلم في أرضك، ولا بدمار أو خراب في تخومك وتدعين أسوارك خلاصا وبواباتك تسابيح). إشعيا 60\18.

http://kotob.has.it

الاتكال على غير الرب نتيجته تهديم الحصون

في سفر هوشع يتوعد الرب إسرائيل، لأنها لم تتكل عليه، ويعدهم بتدمير حصونهم ليصبحوا حطاماً هم والأمور التي اتكلوا عليها: (لكنكم زرعتم الشر فحصدتم الإثم، وأكلتم ثمار الكذب لأنكم اتكلتم على مركباتكم وعلى كثرة محارييكم الجبابرة، لذلك يدوي زئير المعركة بين شعبك وتدمر جميع حصونك كما دمر شلمان بيت أربئيل في يوم القتال إذ أصبحت الأم مع أولادها حطاما). هوشع 10\13-14.

غضب الرب وتهديم الأسوار

يتحدث سفر إشعيا عن ضرورة الالتزام بتعاليم الرب الذي يتوعد مخالفي تعاليمه بتدميرهم هم وحصونهم التي يعتمدونها من دون الرب، وينذر إشعيا قومه، ويذكرهم بأن للرب يوماً يصب فيه جام غضبه على المتغطرسين: (فإن للرب القدير يوما يوضع كل متعظم ومتكبر ومتغطرس، ويسمو على أرز لبنان المتعالي الشامخ، وعلى كل بلوط باشان، وعلى كل جبل أشم وعلى التلال المرتفعة وعلى كل برج وسور حصين وعلى كل سفن ترشيش وعلى كل صنعة جميلة، فيعتري الهوان كل غطرسة إنسان ويذل تشامخ البشر ويتعظم الرب وحده في ذلك اليوم..... كفوا عن الإنسان المعرض للموت [1]). إشعيا 2\12-22.

لقد وثق بنو إسرائيل بحصونهم وقلاعهم وبقوتهم من دون الرب، فكانت عاقبتهم التدمير والسبي، ولعل بني إسرائيل لم يبلغوا بثقتهم بحصونهم تلك الفترة ما بلغه يهود الجزيرة العربية، حين وثقوا بحصونهم أنها ستمنعهم حتى من الله: ﴿ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾، وسنأتي على تفصيل هذه الثقة بالأسوار والحصون في فصل لاحق.

إذاً فالثقة بالحصون وصرف الغالي عليها والرخيص لم تنفع بني إسرائيل في معاركهم، ولم يحل دون سبيهم ولا تدمير مساكنهم ومدنهم الحصينة، ونسوا كلمات سليمان حين قال: (إن لم يحرس الرب المدينة فباطلا يسهر الحارسون). سفر المزامير 167.

1- يشير التفسير التطبيقي للكتاب المقدس في ذلك المقطع إلى أن الأبراج العالية جزء من دفاعات المدينة، وتشير هذه العبارة إلى الأمان المؤسس على الحصون الحربية، وتمثل سفن ترشيش النجاح الاقتصادي، وكل صنعة جميلة تشير إلى الرفاهية، ولكن لا شيء مطلقاً يمكن أن يقارن أو ينافس المكانة التي يجب أن تكون لله في قلوبنا وأفكارنا، فوضع رجائنا في أي شيء آخر إنما هو كبرياء كاذبة، فضع ثقتك بالله وحده.

http://kotob.has.it

يخربون بيوتهم بأيديهم

تتحدث التوراة عن حادثتين منفصلتين في تاريخ الوجود العبري في فلسطين، هما هدم البيوت بأيد إسرائيلية وفتح فجوات بالأسوار التي بنتها أيضاً أيد يهودية بحسب الرواية التوراتية، وذلك للهرب من نير حصار بابلي حول أورشليم:

الحادثة الأولى

هدم البيوت واحتجاجات النبي إشعيا على هدمها لبناء السور

تجهيزاً لحربه مع سنحاريب يقوم حزقيا بعدة إجراءات للدفاع عن المدينة، وقد ذكرنا معظمها، إلا أن هذه التحصينات لم تكن كافية، فارتأى حزقيا توسيع السور، وزيادة بقعة امتداده، فكان لا بد من هدم بعض البيوت التي على خط البناء، ولا تذكر هذه الخطوة على هذا النحو سوى في سفر إشعيا، عندما أعلن احتجاجه على ذلك العمل المشين: (وعدتم بيوت أورشليم وهدمتم البيوت لتحصين السور). إشعيا 22\11.

أما في سفر إرميا فيوضح هذه الحادثة في أثناء الحديث عن نبوءة بإعادة بناء أورشليم، حيث طمئن الإله يهوه إرميا بإعادة بناء أورشليم، ويسرد قبله تلك القصة على نحو مخالف لما جاء في سفر يشوع بحسب التفسير بأن هدم البيوت كان لتوسيع السور وإطالته، بل إن سفر إرميا يقول ليس البيوت فقط هي التي هدمت، بل القصور أيضاً، ليقام من حجارتها سور مدعم جديد للمدينة: (هذا ما يعلنه الرب إله إسرائيل عن بيوت هذه المدينة وعن قصور ملوك يهوذا التي تم هدمها ليقام منها سور دفاع ضد متاريس الحصار والمجانيق في القتال الناشب مع الكلدانيين). إرميا 33\4 .

الحادثة الثانية

هدم وفجوات في السور للهرب

يحاصر نبوخذ ناصر كما مر معنا سابقاً أورشليم بجيش جرار بحسب زعم التوراة، ويكون حزقيا ملكاً على يهوذا، فلا يجد الملك وحاشيته بداً من الهرب، فيحدث فجوة في السور الذي كانوا قد عززوا تحصيناته، فيهرب هو وعدد من حاشيته، إلا أن البابليين يلاحقونه، ويمسكون به في صحراء أريحا بحسب زعم التوراة: (وفي تلك الليلة فتح صدقيا ورجاله ثغرة في سور المدينة وتسلل مع رجاله المحاربين من خلال البوابة القائمة بين السورين نحو حديقة الملك وكان الكلدانيون محيطين بالمدينة فتوجه صدقيا ومقاتلوه

http://kotob.has.it

إلى طريق الصحراء فتعقبت جيوش الكلدانيين الملك وأدركته في صحراء أريحا). الملوك الثاني 25\4.

نبوءة بتخريب أسوار أورشليم بأيدي قاطنيها من الإسرائيليين

يتنبأ إشعيا بسقوط أورشليم بأيدي العيلاميين الآتين من بابل منذراً الإسرائيليين من عواقب مخالفتهم للرب، ويتنبأ إشعيا بأن ساكني أورشليم سيهدمون أسوارهم بأيديهم هرباً من الحصار والذهاب إلى الجبال ناجين بأرواحهم من جيش العيلاميين: (ماذا حدث حتى أنكم صعدتم إلى سطوح المنازل، أيتها المدينة الممتلئة جلبة، العجّاجة المرحة، إن قتلاك ليسوا قتلى سيف أو صرعى حرب، قد فر رؤساؤك جميعا، أسروا من غير مقاومة وسبي كل من عثر عليه مع أنهم هربوا بعيدا، لذلك أقول: ابتعدوا عني لأبكي بمرارة لا تتكبدوا جهدا في تعزيتي من أجل دمار ابنة شعبي، لأن للسيد الرب القدير في أورشليم يوما يبث فيه الرعب والذلة والفوضى، فيه ينقب أهلها الأسوار ويستجيرون بالجبال). إشعيا 22\1-5.

قوانين الحرب التوراتية

قوانين الحرب التوراتية هي الأكثر دموية بين جميع القوانين، بل والأكثر عنصرية وحضاً على إفناء الجنس البشري أو استعباده، وقد برهنت النصوص التوراتية المختصة بالحرب أن رب بني إسرائيل المتصور والمفترض في العقلية اليهودية لم يكن ليدعو إلى دين توحيد أو لدستور إنساني خلاق، خلافاً لما نجده في دساتير سماوية أو إنسانية، تحض على احترام الآخر ودعوته إلى خير ما قد يحقق للمجتمع وحدته وأخلاقه الحسنة.

ولنأخذ مثالاً لدموية إله بني إسرائيل المتصور والمخترع من العقلية الإسرائيلية، فتقول التوراة في سفر التثنية 20 - 10- 17 آمرة بني إسرائيل: (حين تقترب من مدينة لكي تحارب استدعها إلى الصلح فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب فيها يكون للتسخير ويستعبد لك وإن لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها .وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف وأما النساء والأطفال و البهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك.هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هناك.وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة حية.بل دمروها عن

http://kotob.has.it

بكرة أبيها . ونلاحظ من خلال هذا النص أن الهدف الأساسي لليهود إما الإبادة للشعوب وإما الاستعباد .وهناك الكثير على شاكلة هذه النصوص والأوامر والحوادث التي تتحدث عن إفناء اليهود لآلاف السكان كما فعلوا في أريحا وعاي وجبعة وغيرها).

الحصون من مهمة الدفاع إلى مهمة الهجوم

ومن قوانين الحرب تلك في محاصرة المدن ما لم نعرفه ونشهده، لا في التاريخ ولا في كتبه، فأحد هذه القوانين يحول السور أو الحصن من مهمة الدفاع إلى مهمة الهجوم، وهذا يؤكد ترسخ فكرة الجدار مخلصاً من العدو مُهاجِماً أو مَهاجَماً: (إذا حاصرت مدينة أياما كثيرة محاربا إياها لكي تأخذها فلا تتلف شجرها بوضع فأس عليه، إنك منه تأكل.فلا تقطعه.لأنه هل شجرة الحقل إنسان حتى يذهب قدامك في الحصار.وأما الشجر الذي تعرف أنه ليس شجرا يؤكل منه فإياه تتلف وتقطع، وتبني حصنا على المدينة التي تعمل معك حربا حتى تسقط). 20- 19- 20.

إذاً من هذا النص تتحول مهمة السور من الدفاع إلى الهجوم، ولو حللنا هذا وفقاً للعمل العسكري ولمعطيات الحصار لوجدنا من نواح عدة أن الحصن لا فائدة منه، وذلك لعدة أسباب، منها أن الجيش المحاصِر هو السور الحقيقي، وهو الذي يحول دون وصول الإمدادات أو دخولها إلى المدينة المحاصَرة، ومن ناحية أخرى فإن بناء السور هو عمل إضافي، يرهق المحاصرين، ويكلفهم الوقت والطاقات، ويجعلهم يتلهون عن المهمة الأساسية، وهي فتح المدينة أو استمرار حصارها، ولهذا سنجد أن الحصن الذي سيبنى حول المدينة لا جدوى منه فعلياً، سوى أنه يشكل دفعاً نفسياً للشخصية اليهودية التي وجدت خلاصها في جدرانها وأسوارها، ومن ثم لتتحول هذه الفكرة إلى تجسيد في المجتمعات والتجمعات البشرية لاحقاً، وتعبر عنها بفكرة الغيتو.

ومن ناحية أخرى فإن كل محاولات حصار المدن الحصينة في التاريخ لم تتحدث لنا عن بناء حصن حول المدينة، بل كان هناك ما يشبه المعسكرات، وذلك لتنظيم ما يحتاج إليه الجند من مؤن وعتاد، وكثيراً ما تكون هذه المعسكرات مراكز يتجمع فيها القادة، أضف إلى ذلك أن عدداً من الأبراج كان يبنى حول المدينة المحاصرة ومهمتها في الأكثر المراقبة، وفي فترات أقرب أخذ بصناعة الأبراج الخشبية العالية المتحركة لاستخدامها وسيلة تحول دون ضرب المدافعين للمهاجمين الذين يريدون الصعود على الأسوار أو هدمها، واستخدمت أيضاً هذه الأبراج لصد أكبر عدد من سهام المدافعين، إلا أن هذه

http://kotob.has.it

الأبراج الخشبية المتحركة فشلت في كثير من المرات في تحقيق الهدف المرجو منها، لأنها سرعان ما كانت تحترق بعد اختراع كرات نارية، وذلك مثلما حصل في الحروب الصليبية في أثناء الحكم الصلاحي والأيوبي، إضافة إلى ذلك تتحدث التوراة في عدة مواضع عن بناء أسوار وأبراج حول الحصون، كما حدث في حصار أورشليم ولخيش وصور، إلا أن سنحاريب في نص عنه يقول: إنه بنى تلالاً من التراب حول المدينة، حتى لا يفلت الهاربون من بواباتها [1]، وقد اكتشفت في نينوى عام 1859مجموعة من الصور المحفورة على الأحجار، بلغ عددها 13، تصور حصاراً لقلعة لخيش يبدو خلالها أن مجموعة من التلال قد رفعت حول المدينة، أقامها الجيش المحاصر[2]. ويؤكد مقطع في سفر حبقوق هذا الكلام حين يتحدث عن الهجوم البابلي على الممالك اليهودية، فيصف الجيش البابلي بقوله: (يهزأون بالملوك ويعبثون بالحكام، يسخرون من الحصون يكومون حولها تلالا من التراب). حبقوق 1\10.

لذلك ومن مجموع ما ذكرنا لم تبن أي من الحصون والأسوار حول المدن، كما في تعاليم التوراة، بل هي تلال مهمتها إما المراقبة، وإما لسد ضعف الجيش المحاصر الذي لا يستطيع بقواته حصار المدينة برمتها.

وثمة من يقول إن محمد الفاتح عندما فتح القسطنطينية بنى حولها سوراً حتى سقطت، إلا أن السور أو الحصن الذي بناه السلطان محمد الفاتح كانت مهمته مراقبة السفن التي كانت تدخل مياه القسطنطينية وضربها لأن هذه المدينة كانت مفتوحة على البحر، فالحصار لم يكن كاملاً، والمدينة كانت محاصرة من ثلاث جهات، والإمدادات كانت تصلها عن طرق البحر، ما أخر فتحها، وهذا لا ينطبق على النص التوراتي: (وتبني حصنا على المدينة التي تعمل معك حربا حتى تسقط).

وهناك نص آخر لا يتعلق بقوانين الحرب التوراتية، يعول فيه على الحصن للقضاء على أعداء الرب، وكأن الحصن هو الحل الوحيد والملجأ الأكثر أهمية لتدمير القوى المخالفة لأوامره: (لأعظمن جلالك فوق السموات بأفواه الأطفال الرضع، أعددتّ لك حصنا أمام خصومك لتقضي على العدو والمنتقم). المزمور 8.

1- الأحجار تتكلم - علم الآثار يؤيد الكتاب المقدس، د جون إلدر، دار النشر الأسقفية ص 115.

2- المرجع السابق، ص 117.

http://kotob.has.it

والملاحظ من هذا النص أن الحصن الذي يناط به مهمة الدفاع يصبح الوسيلة الوحيدة للتدمير والقضاء والانتقام، مع أن النص لا يوضح مهمة الحصن دفاعية كانت أم هجومية، وعدم هذا التوضيح يؤكد أن الحصن السند الرئيس في كل العمليات العسكرية.

الخلاصة:

سلطت الصفحات الماضية الضوء على علاقة بني إسرائيل بالحصون والأبراج والأسوار منذ الخروج وحتى السبي البابلي، وقد أثارت هذه الصفحات عدة أسئلة عن تلك العلاقة، وتلك المحبة التي تغمر بني إسرائيل لأسوارهم ومدنهم الحصينة، ومع أن كثيراً من الحوادث إن لم نقل كلها مشكوك بصدقه، وذلك لعدة أسباب تتراوح بين منطقيتها وخياليتها، بدءاً من غزو بني إسرائيل لأرض كنعان وحتى السبي.

فمجمل الآثاريين اتفقوا في المنطق العلمي والتاريخي أن أولئك الرعاع الفوضويين الخارجين حالاًمن تيه لا يستطيعون بحسب وصف أرض كنعان في التوراة غزو تلك المنطقة واحتلالها بتلك السهولة التي جرى وصفها، وإن كان في الأفق ثمة تأييد إلهي فإن المنطق الإلهي بحسب وصف التوراة أيضاً لا يمكن أن يؤيد قوماً عبدوا العجل في أول فرصة تسنت لهم، وإن عقيدة التوحيد التي أمر الله باتباع بني إسرائيل لها لم يعرفوها يوماً، وهذا كلام التوراة نفسها .

إضافة إلى ذلك فقد تحولت أرض كنعان إلى قلعة كبيرة كما أسلفنا الذكر، إلا أن علم الآثار لم يؤيد ذلك مطلقاً، بل إن افتقار فلسطين إلى آثار يهودية يحمل النص التوراتي ما لاطاقة له به، وعلمياً فإن آثار التحصينات من أسوار وقلاع هي الأكثر بقاءً من كل الآثار الأخرى كالمنازل وأماكن العبادة، وذلك لسبب هام هو متانة صنعها وجودة هندستها، إلا أن بقايا حصون أو قلاع تعود إلى بني إسرائيل في أماكن تحدث عنها كتاب التوراة لا يزال مغموراً إما في صفحات التوراة نفسها، وإما في مداد أقلام كتبتها، وأما في رمال عاصفة رملية دامت مئات من السنين، وغطت كل أثر لبني إسرائيل تحديداً، وتبقى المكتشفات الأثرية التي يتحدث عنها يومياً الآثاريون الصهاينة محل شك مادامت لم تعرض للدرس من آثاريين غيرهم من جنسيات غير يهودية أو أمريكية.

لسان الحال يقول عن علاقة ملوك بني إسرائيل وشعبهم بالحصون إنهم شعب محارب متمرس في الشؤون العسكرية، وإنه طوال فترة بقائه في أرض كنعان لم يسترح يوماً من

http://kotob.has.it

معركة أو معمعة ضد الأعداء، أضف إلى ذلك فالحديث الدائم عن الحروب والغزوات يوحي بأن جيش بني إسرائيل كان من أعتى الجيوش في تلك الفترة، إلا أن الدلائل والنقوش الأثرية لم تتحدث عن هذا الجيش القوي أبداً، وإن فترة وجود الممالك اليهودية في فلسطين كانت فترة مخاض لإمبراطوريات قديمة، أتعبتها الحروب كمصر التي شهدت ضعفاً واضحاً أثناء احتلال بني إسرائيل لأرض كنعان، وذلك بسبب صراعات داخلية، ولما بدأت هذه الإمبراطوريات تعود إلى المسرح العالمي أخذت تتوسع، وتتمدد كغزوة الملك شيشق المصري على الممالك اليهودية، وبعدها الغزو البابلي وسبي بني إسرائيل.

في فترة السبي البابلي كتبت التوراة كما يجمع كثير من المؤرخين، وكتب فيها التراث الإسرائيلي والمجد الذي لم يعرفوه يوماً ليعطي البقية الباقية من المسبيين دفعاً لتذكيرهم بأرض الميعاد المزعومة التي كتبوا فيها، وسطروا لها المجد المزعوم قبل السبي، ولهذا كان تهويل الأحداث وتزويرها وتأليفها أمرا لا مناص منه، حتى يتمكن أولئك الأذلاء بسببهم من استعادة ذكريات أمجاد، لم تكن موجودة أصلاً، وهذا الأسلوب معروف عند من يريد استعادة أمجاد أمة، إلا أن الفرق بين كتبة الأمجاد لاستنهاض أمة وبين كتبة التوراة أن مجد بني إسرائيل اخترعوه وألفوه زوراً وبهتاناً، وقد أجمع كثيرون على ذلك، ومنهم عدد من متهودي اليوم وصهاينته.

وأخيراً وليس آخراً لقد كانت الحصون والأسوار أهم حلقة في التوراة، لتربط بين المجد المزعوم والخلاص المرجو، وإن الحديث عنها مطولاً بسبب أوبلا سبب يجسد البعد الحقيقي للعلاقة الوطيدة بينها وبين العقلية والنفسية اليهودية التي تخاف ولم تزل من كل عارض، والتي تعرف أنها منبوذة أبداً، ولهذا تحاول دائماً قوقعة نفسها وتحصين دورها ومدنها بحصون تظن لحظة أنها ستمنعها يوماً من إرادة الله الذي تركه بنو إسرائيل وعبدوا حصونهم، والذي لم يثقوا به، ولم يتكلوا عليه يوماً بل اتكلوا ووثقوا بأسوارهم، ولهذا كان وعد الله حقاً بقوله ﴿ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ ﴾ (الحشر الآية 2).

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الفصل الثاني

نبوءات السبي، والسبي البابلي
بين تدمير الحصون وبناء الأسوار

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

نبوءات التوراة

والحدث التاريخي

تمتلئ أسفار التوراة بالنبوءات ذات المواضيع المختلفة، إلا أن معظمها يتعلق ببني إسرائيل ومستقبلهم، وهذه النبوءات نجدها في التوراة من السفر الأول (التكوين)، حيث نجد فيه عدداً من النبوءات تتعلق بمستقبل بني إسرائيل، وقد اعتمد هؤلاء هذه النبوءات كثيراً في خطا حياتهم، وقد كانت أهم نبوءة جاءت في الأسفار الأولى وعد الله لإبراهيم الذي نسبه اليهود بهتاناً وجزافاً على أنه جدهم بدخول فلسطين، وقد كان لهذه النبوءة خصوصاً أثر كبير في مسيرة بني إسرائيل بحسب الحدث التوراتي لا الحدث التاريخي، فالتوراة تزعم أن بني إسرائيل اعتمدوا تلك النبوءة التي سيحققها يشوع لاحقاً، بينما الحدث التاريخي ينفي أي علاقة بين هذه النبوءة وإبراهيم ونسله، لأنه حتى الحدث التوراتي يجمع أن إبراهيم يجد ملجأ له في فلسطين ويكرمه أهلها، فلماذا يعطى مثل ذلك الوعد، وهل خرج إبراهيم من أرض الكلدانيين حتى يؤتى ذلك الوعد المزعوم.

وتتوالى النبوءات واحدة تلو الأخرى، ويكثر المتنبئون، والحدث التوراتي يفيد بأن كثيراً من هذه النبوءات قد تحقق، بينما التاريخ والآثار يرفض الإذعان لذلك، فما خلفية هذه النبوءات؟، ولماذا أطلقت؟، ولماذا تأتي أكثر النبوءات بالحديث عن خلاص أو دمار وحروب؟، أما كان للمنبئ وهو رب السماوات والأرض من شأن سوى الحروب والقوات والجنود والأسوار والحصون؟، ولماذا هذا الرب بحسب الحدث التوراتي لينبئ إلا وقت الضيق؟.

من استعراض مجمل نبوءات التوراة وخصوصاً التي أتت قبل نهايات الممالك اليهودية فترة على يد الآشوريين والبابليين نلاحظ أنها جاءت لتبشر بالتدمير، وخصوصاً أعداء اليهود من الصيدونيين والفلسطينيين والآراميين والآدوميين، ولاحقاً البابليين، فبدءاً من سفر إشعيا وحتى آخر سفر من التوراة تأتي النبوءات لتتحدث عن تدمير حصون أعداء شعب الله المختار وأسواره بحسب زعم التوراة انتقاما لهذا الشعب، ولتؤكد أن زوال عزة هذه الأمم ومجدها يزول بزوال هذه الأسوار، ومن ناحية أخرى تؤكد هذه النبوءات أن بني إسرائيل، يهود ما بعد السبي ربطوا عزهم ومجدهم وفخارهم وبقاءهم وزوالهم بالأسوار والحصون.

http://kotob.has.it

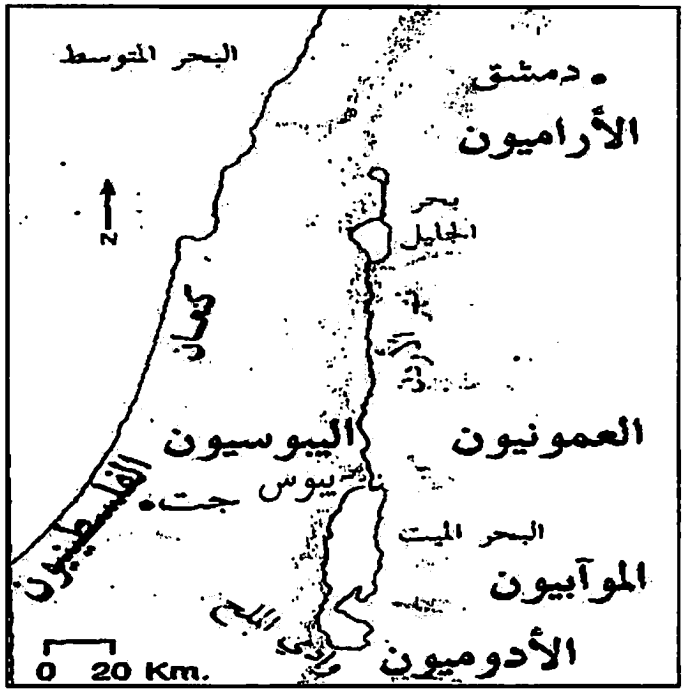

أعداء بني إسرائيل الذين وردت بحقهم نبوءات التدمير

ونلاحظ أيضاً من هذه النبوءات أن حصون بني إسرائيل وأسوارهم لم تكن طرفاً في هذه النبوءات مع أن سفر الخروج وما بعده من أسفار، كما رأينا في الفصل الأول، تكثر من الحديث عن بناء الحصون والأسوار والأبراج، وقد طرحت علينا هذا الحلقة المفرغة من الحديث عن حصون بني إسرائيل وأسوارهم سؤالاً هاماً وهو لماذا أغفل الحديث عن حصون بني إسرائيل في النبوءات مع ادعاءات التوراة على كثرتها؟، هل حقاً بنى بنو إسرائيل حصوناً بهذا القدر كما شاهدنا في الفصل الأول؟، وأين هذه الحصون والأسوار العظيمة من الحدث التوراتي في المرحلة التي قبل السبي وفي أثنائه وبعد الرجوع منه؟، سنرى جواب ذلك في الصفحات القادمة.

نبوءات إشعيا

يعد إشعيا بحسب الموروث التوراتي من أواخر الأنبياء في المرحلة التي قبل السبي، وقد شهد هذا النبي فساد بني إسرائيل في مملكتي إسرائيل ويهوذا، وقد كان حانقاً جداً على ما أصابهما من ترك لشعائر الرب وأوامره، لذلك كان سفر إشعيا من الأسفار التي تحمل طابع الحض على إعادة الاعتبار للشخصية الإسرائيلية بطلب إعادة تقوى هذا الشعب، والرجوع إلى بناء أواصر الثقة بالرب.

http://kotob.has.it

أضف إلى ذلك أن سفر إشعيا يتحدث عن نبوءات معجلة وأخرى مؤجلة، فلا يترك شعباً ولا منطقة إلا ويتنبأ بمصيرها المحتوم بحسب زعمه من آشور إلى دمشق وموآب ومدن الساحل الفينيقي كصيدون وصور مروراً بمدن الداخل الفلسطيني كالقدس وصولاً إلى مصر، وسنستعرض في هذه الفقرة نبوءات إشعيا المعجلة والمؤجلة في هدم الأسوار.

يوم للرب يدمر فيه الأسوار

ينذر إشعيا بعدد من السطور بقرب وصول غضب الرب على كل المتغطرسين وأصحاب الكبرياء الكاذبة، مردداً قوله إن للرب يوما سيقضي فيه على معالم الغطرسة والتكبر، كالأبراج والأسوار والسفن العظيمة: (فإن للرب القدير يوما يوضع كل متعظم ومتكبر ومتغطرس، ويسمو على أرز لبنان المتعالي الشامخ، وعلى كل بلوط باشان، وعلى كل جبل أشم وعلى التلال المرتفعة وعلى كل برج وسور حصين وعلى كل سفن ترشيش وعلى كل صنعة جميلة، فيعتري الهوان كل غطرسة إنسان ويذل تشامخ البشر ويتعظم الرب وحده في ذلك اليوم). إشعيا 2\12- 18.

ونستوحي من هذا النص أن الأبراج والأسوار الحصينة كانت من معالم الغطرسة وقتئذ.

تدمير دمشق والمدينة الحصينة في إفرايم

وتحدثنا هذه النبوءة عن انقراض دمشق من بين المدن، وإزالة المدينة الحصينة في إفرايم، أحد أسباط بني إسرائيل: (انظروا ها دمشق تنقرض من بين المدن وتصبح كومة أنقاض.تهجر مدن عروعير[1] تصبح مراعي للقطعان تربض فيها ولا أحد يخيفها، تزول المدينة الحصينة من إفرايم والملك من دمشق، وتصبح بقية آرام مماثلة لمجد بني إسرائيل الزائل). اشعيا 17\1-3.

لقد جاءت هذه النبوءة بعد أن تحالفت المملكة الشمالية، إسرائيل مع آرام للحرب ضد آشور، ولكن الملك الآشوري استولى على دمشق عاصمة آرام، وضم المملكة الشمالية إلى الإمبراطورية الآشورية، حيث أجبرت مملكة يهوذا على دفع الجزية لملوك آشور، وقد جاءت هذه النبوءة حتى تؤكد أن من يتحالف مع المملكة الشمالية فاسد مثلها، لذلك ستحل لعنة الرب عليه.

1- حسب ما جاء في قاموس الكتاب المقدس تقع هذه البلدة على بعد اثني عشر ميلا شرق البحر الميت، وتسمى الآن عراعير.

http://kotob.has.it

نبوءة عن تدمير حصون كنعان وصيدا و صور

(انتحبي يا سفن ترشيش لأن حصونك قد تهدمت)

كانت صيدا و صور من المدن العظيمة وقتئذ، ففيهما مرفآن تجاريان، وهما مركزان لصناعات فاخرة كالثياب القرمزية التي اشتهر بها الفينيقيون، ولم تخضع هاتان المدينتان للحكم العبري، وكان النبي سليمان على علاقات وطيدة بملك صور أحيرام الذي أمد سليمان بخشب أرز وسرو وذهب، وأعطاه سليمان عشرين مدينة في أرض الجليل مقابل ذلك، وقد جاءت نبوءة إشعيا عن صيدا وصور لأنهما كانتا تعدان مدينتين نقلتا عبادتهما الوثنية إلى باقي مدن إسرائيل، أضف إلى ذلك فهما من المدن التي كثيراً ما رغب العبرانيون بالسيطرة عليهما لما فيهما من ثروات: (اصمتوا يا أهل الساحل يا تجار صيدون.... فاخجلي يا صيدا لأن البحر وحصنه قد تكلما قائلين لم أتمخض ولم ألد، لم أنشئ شبابا ولا ربيت عذارى عندما يذيع النبأ في مصر يتوجعون لأخبار صور اعبروا إلى ترشيش انتحبوا يا أهل الساحل، أهذه هي مدينتكم التي نشأت منذ القدم؟...من قضى بهذا على صور واهية التيجان، التي تجارها أمراء ومتكسبوها شرفاء... ن الرب القدير هو الذي قضى بذلك). إشعيا 23\1-8.

إن هذه النبوءة تعبر عن حقد شديد على صيدا وصور وعلى أرض كنعان التي تنبأ بتدمير حصونها، وتوصف صور في هذه النبوءة بالعذراء المعربدة التي تفقد شرفها: (بسط الرب يده على البحر وزعزع ممالك، أصدر أمره على كنعان كي تدمر حصونها، وقال: لن تعودي تعربدي أيتها العذراء التي فقدت شرفها يا ابنة صيدون هبّي واعبري إلى قبرص ولكنك لن تجدي هناك راحة). إشعيا 23\11- 12.

ومرة أخرى في هذه النبوءة يطلب إشعيا من سفن ترشيش[1] أن تنتحب، لأن حصون مدينة صور قد تهدمت، وستصبح خراباً مدة سبعين سنة إلى أن يتفقدها الرب، فتعود إلى سابق عهدها، وتزني مع كل ممالك الأرض: (تأملي في أرض الكلدانيين وانظري إلى شعبها فهم وليس الآشوريون الذين سيجعلون صور مرتعا للوحوش وسينصبون حولها

1- اختلف مفسرو التوراة وكاتبو قواميسه في ترشيش، فمنهم من قال إنها سفن قرطاجة التي تسمى باليونانية ترتيسوس، ومنهم من قال إنها تعني سفن التكرير، لأن معنى ترشيش بالفينيقي معمل التكري، وكان يقصد من وراء أنها سفن التكرير اتصالها بالمناجم ومعامل التكرير في سردينة، وعلى أي حال يبدو أن سفن ترشيش كان لها علاقة مباشرة بالفينيقيين الذين على ساحل بلاد الشام، لأن نبوءة إشعيا كانت تتحدث مباشرة عن صور.

http://kotob.has.it

أبراجا، ويمسحون قصورها عن وجه الأرض، ويحولونها إلى خراب، انتحبي يا سفن ترشيش لأن حصونك قد تهدمت، وفي ذلك اليوم تظل صور منسية طوال سبعين سنة..... وفي نهاية السبعين سنة يفتقد الرب صور فترجع إلى عهدها وتزني مع كل ممالك الأرض). إشعيا 23\13-17.

إن هذه النبوءة كما أسلفنا في الذكر تعبر عن حقد شديد ودفين لأرض كنعان ومدنها، وتحديداً صور مع أن التوراة تتحدث عن مساعدة صور وملكها أحيرام لسليمان في بناء قصوره والهيكل المزعوم، وكل الأسباب التي جعلت صور وحصونها مدينة مكروهة إلى ذلك الحد، ووصفها بالزانية التي فقدت شرفها مجهولة نوعاً ما، ربما لأن صور لم تخضع لحكم عبراني واستعصت على الممالك اليهودية أصبحت مثار حقد شديد، والذي يجعلنا نقول ذلك هو تاريخ كره المدن الحصينة عند بني إسرائيل.

أسوار موآب تتساوى مع التراب

شكلت أرض موآب - ما وقع شرق البحر الميت، وهي جزء كبير من الأردن حالياً، أرض عداوة دائمة بينها وبين بني إسرائيل، وكان ملوكها وشعبها في معظم الأحيان على عداوة مع الممالك اليهودية، وقد جاء في التفسير التطبيقي للكتاب المقدس أن موآب كانت رمزاً لكل من يقاومون الله ويعصونه إلى النهاية[1]، وبسبب عداوة موآب لإسرائيل كان لا بد من مواجهة مصيرها المحتوم الذي كان مصير كل من يعادي إسرائيل بحسب زعم التوراة وتدجيله !، يتنبأ إشعيا: (هاهو إلهنا الذي انتظرنا فخلصنا، هذا هو الرب الذي انتظرناه نبتهج ونفرح لخلاصه لأن يد الرب تستقر على هذا الجبل ويوطأ موآب في مكانه كما يوطأ التبن في الطين، ويبسط يديه في وسط موآب كما يبسط السابح يديه ليسبح ويخفض الرب من كبريائه ومن مكايد يديه ويهدم أسواره الحصينة الشامخة ويخفضها حتى تتساوى مع التراب). إشعيا 25\9- 12.

استكمال النبوءة

بعد النصر على موآب تغمر الشعب سعادة لا توصف، فيتغنى بالمدينة المنيعة، أورشليم وبأسوارها ومتاريسها، ينشدون كلمات تعبر عن خلاص بني إسرائيل بالأسوار والحصون، ويمجدون أنفسهم وربهم الذي سوّى حصون موآب بالتراب لتدوسها أقدام

1- التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص 1412.

http://kotob.has.it

البائسين والفقراء: (في ذلك اليوم يتردد هذا النشيد في أرض يهوذا، لنا مدينة منيعة يجعل الرب الخلاص أسوارا ومترسة.افتحوا الأبواب لتدخل الأمة البارة التي حافظت على الأمانة.... اتكلوا على الرب مدى الدهور لأن الرب الله هو صخر الدهور، لقد أذل الساكنين في العلاء وخفض المدينة المتشامخة ساواها بالأرض وطرحها إلى التراب فداستها أقدام البائس والفقير). إشعيا 26\1-6.

نبوءة في حصون أدوم

تعدّ أدوم [1] من أوائل البلاد التي عرفها بنو إسرائيل بعد الخروج من مصر بقيادة موسى، وقد عرفت هذه البلاد في التوراة في سفر العدد 21 بعد أن أرسل موسى رسلاً يستأذنون ملوك أدوم ليدخلوا إلى أرضهم مروراً، إلا أنهم رفضوا، فانحاز عنهم بنو إسرائيل، وتعدّ أدوم من الممالك التي عاشت صراعاً طويلاً مع الممالك اليهودية، فأتى حكم الرب عليها في نهاية المطاف في نبوءة من نبوءات إشعيا: (فتتقلب أنهار أدوم إلى زفت وترابهم إلى كبريت وتصبح أرضها قارا مشتعلا.... وتظل خرابا جيلا بعد جيل.... ينمو الشوك في قصورها ويزحف العوسج على حصونها فتصبح مسكنا لبنات آوى). إشعيا 34\9-13.

نبوءات إرميا في هدم الأسوار

يعد إرميا من أواخر أنبياء بني إسرائيل قبل السبي وفي أثنائه، وقد عاصر آخر خمسة ملوك لمملكة يهوذا، يشبه سفر إرميا سفر إشعيا من حيث المضمون، فكلا السفرين مليئ بالوعيد لبني إسرائيل ولأعدائهم، إلا أن إرميا يعاني تكذيب الملك والشعب له.وفي نهاية المطاف يسجن إرميا بسبب نبوءاته التي تزعج الملك والكهنة، استخدم إرميا الأسلوب الرمزي لإيصال رسائله ونبوءاته، وقد اعدّه عدد من المؤرخين أحد الرجال الصالحين المؤمنين الذي كان على الدوام يأمر بالرجوع إلى ديانة التوحيد.

إرميا قوي كمدينة حصينة وكعمود من حديد وكأسوار من نحاس

كما في سفر إشعيا تكثر النبوءات عن هدم الأسوار أو بنائها كذلك في سفر إرميا، فهذا السفر يستهل بنبوءات عن تدمير مدن وحصون وأسوار في مملكة يهوذا وغيرها، ويكلمه الرب آمرا إياه بكل ما يبلغ من نبوءات أو تعاليم، طالباً منه عدم الخوف من قومه،

1- ورد في قاموس الكتاب المقدس أن أدوم هي الإقليم الذي يمتد مئة ميل بين البحر الميت وخليج العقبة، وتعدّ البتراء الحصن الصخري المنيع لأدوم.

http://kotob.has.it

لأن الرب يبشره بقوة مدينة حصينة، ويجعله كعمود من حديد وأسوار من نحاس: (أما أنت فتأهب، وقم وكلمهم بكل ما أمرك به، لا تخف من حضرتهم لئلا أفزعك أمامهم، انظر ها أنا قد جعلتك اليوم قويا كمدينة حصينة، وكعمود من حديد وكأسوار من نحاس لتجابه كل أهل الأرض وملك يهوذا وأمراءها وكهنتها وشعب البلاد فيحاربونك ولكن لا يقهرونك، لأني أنا معك لأنقذك). إرميا 1\17- 19.

وفي إصحاح آخر أيضاً يشد الرب من عزم إرميا ويقويه بقوله: (أجعلك المتحدث بفمي فيقبلون عليك مسترشدين وأنت لا تلجأ إليهم طالبا نصيحة، وأجعلك سورا نحاسيا منيعا لهذا الشعب فيحاربونك ولكنهم يخفقون). إرميا 15\19- 20.

نبوءة وعيد الرب بالتدمير والخراب

لقد فسدت الممالك والمدن الإسرائيلية، لذلك ينبئهم إرميا بأن الدمار مقبل، والخراب سيحل بمدن يهوذا، لذلك يأمرهم إرميا بأن يذيعوا الخبر، ويعلنوه من أورشليم، ويلوذوا بمأمن من غضب الرب وبأسه: (أذيعوا في يهوذا وأعلنوا في أورشليم قائلين: انفخوا بالبوق في البلاد ونادوا بصوت مرتفع وقولوا: احتشدوا ولندخل المدن الحصينة، ارفعوا الراية داعين للجوء إلى صهيون ولوذوا بمأمن لا تتقاعسوا لأني جالب عليكم من الشمال دمارا وخرابا، قد برز أسد من أجمته وزحف مدمر الشعوب.... لذلك تمنطقوا بالمسوح ونوحوا وولولوا لأن غضب الرب المحتدم لم يرتد عنا). إرميا 4\5-8.

في هذه النبوءة لا نفهم مغزى طلب إرميا من الشعب بأن يدخل المدن الحصينة، ويلوذ بمأمن مادام غضب الرب قادماً لا محالة، والخراب والدمار آت مع كل شيء، وما طلب إرميا تحديداً، النواح والولولة أم التحصن واللجوء إلى مأمن من غضب الرب؟، وكيف يدعو الرب أبناء يهوذا إلى تأمين خلاص مادي لهم مادامت تلك المخلّصات لن تنفع؟ !، لعل رب بني إسرائيل في تلك النبوءة يستهزئ أولئك القوم كمن يقول: تحصنوا، تمترسوا، لن يفيدكم ما أنتم تتكلون عليه وتلجأون له.

لا مانع من غضب الرب، حتى الحصون التي تتكلون عليها

ناقشنا في صفحات سابقة فكرة الاتكال على الحصون عند بني إسرائيل، وقد أكد إرميا في أقواله التي نقلها عن رب بني إسرائيل أن الحصون لن تمنع الله من تحقيق وعده بتدمير ممالكهم ومدنهم وممتلكاتهم جميعاً، لما لحقهم من السخط الشديد والحنق العظيم، يتنبأ إرميا: (ها أنا أجلب عليكم يا ذرية إسرائيل أمة قديمة قوية من أرض نائية، تجهلون لغة أهلها ولا تفهمون ما يقولون جعبتها كقبر مفتوح، وكل رجالها جبابرة،

http://kotob.has.it

فيأكلون حصادكم وطعامكم، ويهلكون أبناءكم و بناتكم ويلتهمون مواشيكم وقطعانكم، ويأكلون كرومكم وأشجار تينكم، ويدمرون بالسيف مدنكم الحصينة التي عليها تتوكلون). إرميا 5\10- 17.

حصن موآب يلحق به الخزي والعار والرعب

ذكرنا لا حقاً أن موآب كانت على خلاف دائم مع العبرانيين، وكما تنبأ إشعيا لحصونها بالدمار هاهو إرميا يتنبأ لها أيضاً بذلك، وسيلحق الخزي بأسوارها: (هذا ما يعلنه الرب القدير إله إسرائيل (ويل لنبو لأنها أصبحت أطلالا، لحق العار بقريتايم وتم الاستيلاء عليها خزي الحصن وارتعب..... زال فخر موآب) إرميا 48/1- 2. (اهبطي من المجد واجلسي على الأرض الظمأى أيتها الساكنة في ديبون، لأن مدمر موآب قد زحف عليك وهدم حصونك..... أذيعوا في أرنون أن موآب قد أصبح خرابا). إرميا 48\18- 20، وفي مقطع آخر يقول إرميا: (لأن هذا ما يعلنه الرب: انظروا ها واحد يطير مسرعا كالنسر باسطا جناحيه ضد موآب فيستولي على المدن وتسقط الحصون، وتصبح في ذلك اليوم قلوب محاربي موآب كقلب امرأة في مخاضها، يهلك موآب ولا يبقى أمة). إرميا 48\40- 42.

إن الحصن في هذه النبوءة هو الذي يصاب بالخزي ويصيبه الرعب، وهو الذي تتعلق به أمجاد موآب، إن بني إسرائيل كانوا يظنون أن كل الأقوام التي كانت تحيط بهم مثلهم، يعلقون أمجادهم بالحصون، وإذا أصيبت حصونهم بالخزي تعرضوا هم له أيضاً، وزال فخرهم إلى الأبد، وتعدّ هذه النبوءة من أطول النبوءات في التوراة ومن أكثرها إظهاراً لتدمير حصون ومدن بأيدي رب بني إسرائيل.

إضرام النار في أسوار دمشق

تتحدث هذه النبوءة عن تدمير دمشق وحرق سورها وقصور ملكها بنهدد الآرامي، حيث كانت دمشق تعدّ من المدن الآرامية الداخلية، وقد تعرضت لهجوم بابلي على أيدي نبوخذ نصر في العام 605 ق. م، وهذه النبوءة تتحدث عن ذلك الهجوم: (خارت دمشق وأدبرت لتهرب، واستولى عليها الرعب وأدركها الكرب والألم كامرأة ماخض..... لذلك سيسقط شبابها في ساحاتها ويبيد جميع جنودها اليوم يقول الرب القدير، سأضرم النار في سور دمشق فتلتهم قصور بنهدد). إرميا 49\24- 27.

http://kotob.has.it

عقاب بابل بسبب سبي الإسرائيليين وتقويض أسوارها

تتحدث هذه النبوءة عن عقاب بابل على ما ارتكبته من خطأ كبير، وهو سبي اليهود على أيدي ملوكهم، ولهذا كانت بابل تشكل أكثر من عقدة نفسية في صدور بني إسرائيل، فهي كما يصفونها في التوراة أذلتهم وأذاقتهم الويلات، وبابل - العراق اليوم - لا تزال مثار حقد وكراهية عند اليهود والصهاينة، وقد خلصت كثير من الدراسات إلى أن الغزو الأمريكي للعراق لم يكن سوى استكمال لمسيرة تدمير بابل، إذ إن اليهود لم يتسن لهم الانتقام بعد السبي من بابل، بل لقد دمرت بابل من غيرهم، وهم الفرس، والنبوءة التي سننقلها استخدمت مؤخراً على لسان بعض جنرالات الجيش الأمريكي إبان احتلاله للعراق، وتعدّ هذه النبوءة أطول نبوءة إطلاقاً فهي إصحاحان من سفر إرميا .

يقول إرميا : (كل من يمر ببابل يصيبه الذعر ويصفر دهشة لما ابتليت به من نكبات، لأنها أثارت غضب الرب، اصطفوا على بابل من كل ناحية يا جميع موتري الأقواس، ارموا السهام ولا تبقوا منها سهما واحدا، لأنها قد أخطأت في حق الرب، أطلقوا هتاف الحرب عليها من كل جانب، فقد استسلمت وانهارت أسسها وتقوضت أسوارها لأن هذا هو انتقام الرب). إرميا 50\13-15.

ويقول إرميا أيضاً: (وهذا ما يعلنه الرب: ها أنا أثير على بابل وعلى المقيمين في ديار الكلدانيين ريحا مهلكة، وأبعث إلى بابل مذرين يذرونها، ويجعلون أرضها قفرا ويهاجمونها من كل جانب في يوم بليتها ليوتر الرامي قوسه وليتدجج بسلاحه لا تعفو عن شبابها بل أبيدوا كل جيشها إبادة، يتساقط القتلى في أيدي الكلدانيين والجرحى في شوارعها .....أيتها الساكنة إلى جوار المياه الغزيرة ذات الكنوز الوفيرة إن نهايتك قد أزفت وحان موعد اقتلاعك). إرميا 51\1- 13.

إعلان من الرب بهدم سور بابل

في آخر نبوءة بابل يتحدث إرميا عن إعلان من الرب بهدم سور بابل العريض، وقد ختمت هذه النبوءة بذلك الإعلان: (وهذا ما يعلنه الرب القدير: إن سور بابل العريض يقوض ويسوى بالأرض وبواباتها العالية تحترق بالنار ويذهب تعب الشعوب باطلا، ويكون مصير جهد الأمم للنار). إرميا 51\58.

http://kotob.has.it

في هذه النبوءة الطويلة هناك أكثر كلمات التوراة دموية وحقداً، وهذا ينم عن الكره الكبير لبابل ولشعبها، ولنلاحظ ذلك من هذا النص: (وشعب إسرائيل هو سبط ميراثه، واسمه الرب القدير، أنت فأس معركتي وآلة حربي، بك أمزق الأمم إربا وأحطم ممالك، بك أجعل الفَرس وفارسها أشلاء، وأهشم المركبة وراكبها، بك أحطم الرجل والمرأة، والشيخ والفتى، والشاب والعذراء، بك أسحق الراعي وقطيعه، والحارث وفدانه، والحكام والولاة). إرميا 51\19- 23.

وللاستزادة من تلك النبوءة العودة إلى سفر إرميا، الإصحاحين 50 - 51.

نبوءات حزقيال في هدم الأسوار

حزقيال هو أحد أنبياء بني إسرائيل في بداية السبي، وكان معاصراً لإرميا وأصغر منه سناً، وكان هذا (النبي) يتنبأ لليهود في السبي، بينما كان إرميا يتنبأ للبقية الباقية من اليهود في يهوذا، وقد عدّ حزقيال أول أنبياء السبي.

في سفر حزقيال الكثير من القصص الرمزية والأحاجي والنبوءات التي تتعلق بأورشليم، وببقية المدن المتاخمة لفلسطين كمدينة صور، وسنفرد لها بحثا وللنبوءات التي تعرضت لها.

مهاجمة الأمم لصور وهدم حصونها وأبراجها

يتكرر الحديث عن صور في نبوءات أنبياء بني إسرائيل حتى في أثناء السبي، وهذا يدل على أن لصور مكانةً مرموقةً ووجوداً متميزاً في مصور العالم القديم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، وكانت النبوءات بتدميرها كما توضح لنا لعدة أسباب، أولاً لأنها كنت مرتعاً لعبادات وثنية، انتقلت إلى الممالك اليهودية التي كانت تتبنى ديانة التوحيد ظاهرياً، وثانياً لأنها كانت مركز قوة اقتصادية وسياسية، لم يتسن لليهود أخذ دورها أو الوصول إلى رقيها ومركزيتها، أما في سفر حزقيال فإن تدمير صور كان لأنها هزأت وشمتت بأورشليم لوقوعها في السبي: (يا ابن آدم لأن صور قد شمتت بأورشليم وقالت: ها بوابة الشعوب قد انهارت وتحولت القوافل إلي، ها أنا أزدهر إذا حل بها الدمار لذلك يعلن السيد الرب: ها أنا أعاقبك يا صور). حزقيال 26\2.

إذاً لقد جاء عقاب صور رداً على شماتتها بما حل بأورشليم وبمحتليها الذين سبوا إلى بابل.

http://kotob.has.it

عقاب صور (رد الصاع صاعين)

في عقاب صور تتردد كلمة أسوار على نحو يثير الرغبة في معرفة ما كانت تشكله هذه الأسوار من عقدة عند اليهود، ربما لأنهم لم يستطيعوا أن يبنوا مثلها سخطوا عليها، ولأنها منعتهم دوماً من دخولها كرهوها، وأصبحوا يتمنون تدميرها، ليتغنوا بهذا التدمير، ويباركوا أي مدمر لتلك الحصون، حتى ولو كان الذي سبي اليهود على يديه: (ها أنا أعاقبك يا صور، فأجعل أمما كثيرة تهاجمك كما يهجم البحر بأمواجه فيهدمون أسوار صور وأبراجها وأكشط ترابها عنها وأحولها إلى صخرة جرداء... لأن هذا ما يعلنه السيد الرب: ها أنا آتي بملك الملوك نبوخذ ناصر ملك بابل من الشمال بخيل ومركبات وبفرسان وأقوام غفيرة فيبيد بالسيف قرى ريفك ويشيد حولك سور حصار ويبني عليك أبراجا ويقيم مترسة ويهاجمك بترس، ويقذف أسوارك بمجانق ويهدم أبراجك بعدة حربه، ولكثرة خيله يحجبك غبار حوافرها وتتزلزل أسوارك من صوت الفرسان والعربات والمركبات عند اقتحامه أبوابك كما تقتحم مدينة مثغورة، فيدوس بحوافر خيله كل شوارعك، ويقضي بالسيف على شعبك، فتتهاوى إلى الأرض أركان عزك، وينهبون ثروتك ويستولون على تجارتك ويهدمون أسوارك وبيوتك المبهجة ويطرحون حجارتك و خشبك وترابك إلى مياه البحر). حزقيال 26\3- 13.

من هذه النبوءة نستطيع أن نصل إلى نتيجة، هي أن ذكر الأسوار على نحو مكثف ومقحم في تلك النبوءة لم يكن سوى تعبير حقيقي عن كره تلك الأسوار، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يبرز النص التوراتي أن هناك كثيرين من المرتزقة انتسبوا إلى جيوش صور، تمترسوا على حصونها وأبراجها، وعلقوا أتراسهم عليها ما زاد في جمال صور الذي فقدته المدن اليهودية: (أقوام من فارس ولود وفوط انخرطوا في جيشك وكانوا من رجال حربك علقوا على أسوارك أتراسا وخوذا وخلعوا عليك بهاءك، أبناء أرواد مع جيشك قائمون على أسوارك المحيطة بك وتمنعت أبراجك برجال أبطال علقوا أتراسهم على أسوارك المحيطة بك وأكملوا جمالك). حزقيال 27\10-11.

ونلاحظ خلال هذا النص تكرار كلمة أسوار، وتمترس الرجال عليها، وهنا يبرز المغزى الحقيقي من كل ذلك، وهو إبراز عظمة صور وأسوارها، وتدمير هذه العظمة على نحو تام، حتى يتسنى لبني إسرائيل التغني بذلك الانهيار كما شاهدنا.

http://kotob.has.it

النبوءة وحلم الانتصار على صور، ومزاجية رب بني إسرائيل

(ولكن لم يغنم هو ولا جيشه شيئاً من صور رغم ما كابده من جهد للاستيلاء عليها).

دام حصار صور من جيش نبوخذ نصر كما تقول المصادر خمسة عشر عاماً كلفت نبوخذ نصر الكثير، ولم يأخذ شيئاً من صور الفاحشة الغنى بحسب الوصف التوراتي، بل لقد أراد غزو مصر لتعويضه من كل ما كابده من عناء في حصار صور: (يا ابن آدم إن نبوخذ نصر ملك بابل قد سخر جيشه أشد تسخير ضد صور فأصبحت كل رأس من رؤوس جنوده صلعاء، وكل كتف مجردة من الثياب، ولكن لم يغنم هو ولا جيشه شيئاً من صور رغم ما كابده من جهد للاستيلاء عليها لذلك هذا ما يعلنه السيد الرب: ها أنا أبذل ديار مصر لنبوخذ نصر ملك بابل فيستولي على ثروتها ويسلبها غنائمها وينهبها فتكون هذه أجرة لجيشه قد أعطيته مصر لقاء تعبه). حزقيال 29\18- 19.

في مطلع النبوءة نُخبّر عن تدمير سهل لصور، وجيوش جرارة ونهب للثروات والغنائم، وفي نهاية النبوءة لا يحقق شيئاً من ذلك، ثم ما تلبث النبوءة أن تتخذ مساراً آخر، يعبر عن مزاجية الرب في تحويل جيوش نبوخذ نصر إلى مصر مكافأة له ولجيشه على السيطرة على صور التي لم يغنم منها نبوخذ نصر شيئاً يذكر، إن الانتصار على صور وأسوارها وحصونها الشامخة وتدميرها كان حلماً رومانسياً، لطالما راود متنبئي بني إسرائيل، وكأن صور دائماً كانت حجر عثرة في طريق بني إسرائيل.

نبوءة تهديم السور الذي يمثله أنبياء إسرائيل الكذبة

في مستعرض نبوءات حزقيال تمر معنا إحدى النبوءات عن الأنبياء الكذبة الذين يكثرون بحسب النص التوراتي قبل السبي قليلاً، ويهددهم الله على لسان إشعيا وينبئه بمصير هؤلاء الأنبياء الذين يوصفون بالسور بحسب هذه النبوءة، تصف لنا هذه النبوءة كيف جمّل الأنبياء الكذبة صورة الحائط أو السور، لأنه تارة يوصف بالسور، وتارة بالحائط، الذي هو كذبهم والذي صدقه بنو إسرائيل، وطلّوه بالكلس، حتى لا يظهر كذبهم وادعاءاتهم، فيعدهم الله بتدمير هذا السور، وتدمير الذي يطلونه حتى يواروا فسادهم وكذبهم: (لأنهم حقاً أضلوا شعبي قائلين سيكون لكم سلام مع أنه ليس هناك سلام فكان شعبي يبني حائطا وهم يطلونه بماء الكلس، قل للطالين بماء الكلس إن الحائط يتداعى إذ ينهمر مطر جارف، وأنتن يا حجارة البرد تساقطن ولتعصف به ريح جائحة، فلا يلبث

http://kotob.has.it

السور أن ينهار أفلا تسألون آنئذ أين الطين الذي طينتم به؟ لذلك هذا ما يعلنه السيد الرب: ها أنا أجعل ريحا عاتية تخترق السور بفعل حنقي، ومطرا جارفا ينهمر في خضم غضبي، وحجارة برد تتساقط في أثناء سخطي لكي تهلك، فأهدم السور الذي طليتموه بماء الكلس وأسويه بالأرض فيتعرى أساسه وتتداعى المدينة وتفنون جميعا في وسطها فتدركون أني أنا الرب فأنفث غضبي بالسور وبمن يطلونه بماء الكلس وأقول لكم: قد تلاشى السور والذين يطلونه الذين هم أنبياء إسرائيل الأدعياء). حزقيال 13\10- 16.

أنبياء آخرون ونبوءات كثيرة

تدمير حصون بني إسرائيل في سفر هوشع

تتحدث التوراة دائماً عن عقابات إلهية جملةً تجيء نتيجة لأفعال بني إسرائيل، فقد أجمعت الأسفار التي تتحدث عن السبي أنه كان نتيجة للشر الذي فعله الإسرائيليون في عيني الرب من عبادة أصنام إلى شرب الخمر والزنا والاتكال على غير الرب، فها هي حصون بني إسرائيل تدمر لتلك النتيجة، يتنبأ هوشع: (لقد أخطأت يا إسرائيل منذ أيام جبعة ولم تكف عن ارتكاب الإثم ألم تدركهم الحرب في جبعة فأعاقبهم عندما أشاء إذ تتألب عليهم أمم وتصفّدهم بالأغلال من جراء إثمهم المتكاثر..... ازرعوا لأنفسكم بذار البر فتحصدوا بمقتضاه ثمار الرحمة.... لكنكم زرعتم الشر فحصدتم الإثم، وأكلتم ثمار الكذب لأنكم اتكلتم على مركباتكم وعلى كثرة محاربيكم الجبابرة، لذلك يدوي زئير المعركة بين شعبك وتدمر جميع حصونك كما دمر شلمان بيت أربئيل في يوم القتال إذ أصبحت الأم مع أولادها حطاما هذا ما يجري عليكم يا بيت إسرائيل عقابا لكم على إثمكم العظيم). هوشع 10\9-15.

جنود يتسلقون الأسوار ويثبون عليها في سفر يوئيل

يتنبأ يوئيل بدنو أجل إسرائيل على يد البابليين وبقرب يوم الرب الذي سيحقق فيه وعده بتدميرها وسبيها، فيصف يوئيل هذا الجيش المخيف الذي ترتعد الأرض أمامه، وترتجف السماء مقدمة لإقناع بني إسرائيل بالتوبة والعودة إلى الله، ويصف يوئيل جنود الجيش البابلي بكثير من الأوصاف، ليعطي مثالاً لجندي تتملكه القوة، وتعتريه الشجاعة والجبروت، فيتسلق هؤلاء الجنود الأسوار، ويثبون عليها من دون خوف أو فزع: (منظرهم كالخيول وكأفراس الحرب يركضون يثبون على رؤوس الجبال في جلبة كجلبة

http://kotob.has.it

المركبات..... تنتاب الرعدة منهم جميع الشعوب وتشحب الوجوه يندفعون كالجبابرة وكرجال الحرب يتسلقون الأسوار وكل منهم يزحف في طريقه لا يحيد عن سبيله لا يزاحم بعضهم بعضا بل يتقدم كل منهم في طريقه.... ينقضون على المدينة ويتواثبون فوق الأسوار يتسلقون البيوت ويتسللون من الكوى كاللص). يوئيل 2\4- 9 .

نبوءات تدمير حصون دمشق وغزة وأدوم وموآب وعمون ويهوذا والسامرة في سفر عاموس

يتألف سفر عاموس من مجموعة نبوءات عن ممالك عرفت بعدائها وحروبها المستمرة ضد الممالك اليهودية، وهذه النبوءات تتقاطع كثيراً مع نبوءات إشعيا وإرميا وحزقيال، إلا أنها مختصرة ومقتضبة، تشرح سبب تدمير حصونها ببضع كلمات.

النيران ستلتهم حصون بنهدد ملك دمشق

ستدمر أسوار دمشق، لأن أهلها قد داسوا جزءاً من محتلي فلسطين من العبرانيين في جلعاد بنوارج من حديد، ولهذا كان غضب الله محتوماً على دمشق: (هذا ما يقوله الرب من أجل معاصي دمشق الثلاث والأربع لن أرد عنها سخطي لأن أهلها قد داسوا شعبي في جلعاد بنوارج من حديد لذلك أرسل نارا على بيت حزئيل فتلتهم حصون دمشق وأحطم مزلاج دمشق وأستأصل أهل وادي أون.... الخ). عاموس 1\3- 5.

نار على أسوار غزة تلتهم الحصون

يعاقب الرب غزة، لأن أهلها نفوا شعباً عن آخره، ليسلموه إلى أدوم، وكانت غزة هي ومدن فلسطينية خمس محل تهديد دائم لممالك الاحتلال الإسرائيلي، وهذه المدن هي أشدود وعسقلان وعقرون وجت إضافة إلى غزة، ويبدو أن أهل غزة في إحدى حروبهم ضد المحتلين العبرانيين كانوا قد طردوهم من منطقة، ليسلموهم إلى الأدوميين الذين في الأردن حالياً فجاءت سَوْرة غضب الرب على غزة، وحكم بحرق أسوارها وحصونها: (هذا ما يقوله الرب: من أجل معاصي غزة الثلاث والأربع لن أرد عنها سخطي لأن أهلها نفوا شعبا عن آخره ليسلموه إلى أدوم لذلك سأرسل نارا على أسوار غزة تلتهم الحصون وأستأصل أهل أشدود .... الخ).عاموس 1\6-8.

http://kotob.has.it

النار ستلتهم حصون صور وأسوارها

عقاباً على تسليم صور شعباً من المحتلين العبرانيين لأدوم، ولأنها نقضت عهد الأخوة يغضب الرب، ويرسل عليها ناراً تلتهم الأسوار والحصون: (هذا ما يقوله الرب: من أجل معاصي صور الثلاث والأربع لن أرد عنها سخطي لأن أهلها سلموا شعبا بكامله إلى أدوم ونقضوا عهد الأخوة، لهذا أرسل عليهم نارا على أسوار صور فتلتهم حصونها). عاموس 1\9- 10.

حصون بصرة الأدومية تلتهمها نيران تيمان

تعاقب أدوم، لأنهم تعقبوا إخوتهم بالسيف، وظلوا حاقدين على الدوام على بني إسرائيل، لذلك حكم الرب بحرق تيمان إحدى مدن أدوم الشمالية، وحرق حصون بصرة بتلك النيران [1]: (هذا ما يقوله الرب: من أجل معاصي أدوم الثلاث والأربع لن أرد عنهم سخطي لأنهم تعقبوا أخوتهم بالسيف، وتغاضوا عن كل رحمة، وجعلوا غضبهم يتأجج ملتهما باستمرار، وظلوا حاقدين على الدوام، فأرسل نارا على تيمان فتلتهم حصون بصرة). عاموس 1\11- 12.

إضرام النار في سور ربة عاصمة عمون، فتلتهم حصونها

عقاباً على شق بطون الحوامل في جلعاد، بحسب زعم التوراة، يقرر غضب الرب بالتهام سور ربة: (هذا ما يقوله الرب: من أجل معاصي العمونيين الثلاث والأربع لن أرد عنها سخطي لأنهم شقوا بطون الحوامل في جلعاد ليوسعوا تخمهم، لهذا أضرم نارا في سور ربة فتلتهم حصونها في معترك جلبة يوم الحرب). عاموس 1\13- 14.

نار تلتهم موآب وحصون قريوت

انتقاماً لقتل أحد ملوك الآدوميين إخوة بني إسرائيل، وحرق عظامه يأتي انتقام الرب بمعاقبتهم، فيرسل ناراً على موآب، فتلتهم حصون قريوت[2]: (هذا ما يقوله الرب: من أجل معاصي موآب الثلاث والأربع لن أرد عنها سخطي لأن موآب أحرق عظام ملك أدوم حتى صارت كلسا لهذا إرسل عليهم نارا على موآب فتلتهم حصون قريوت). عاموس 2\1-2.

1- كان اليهود يعدون الأدوميين إخوتهم كونهم من ذرية عيسو بن اسحق، وهذا ما تنسبه التوراة إلى الأدوميين، وتصفهم التوراة في هذا الموضع بالحاقدين على الدوام كون اتهم عيسو بأنه حقد على يعقوب عندما باركه أبوه إسحق عن طريق الخديعة - بحسب ما تزعم التوراة.

2- بحسب قاموس الكتاب المقدس قريوت هي إحدى المدن الحصينة في موآب، ويظن أنها عار التي كانت عاصمة موآب.

http://kotob.has.it

خطيئة السامرة وعقابها بتحطيم الحصون

يعد الرب بإرسال عدو إلى السامرة لأن كثيرين لم يتصرفوا باستقامة وظلموا غيرهم: (أذيعوا في حصون أشدود وفي حصون ديار مصر وقولوا: احتشدوا على جبال السامرة واشهدوا ما في وسطها من جلبة وانظروا إلى المظلومين في داخلها فهؤلاء الذين يكنزون الجَوْرَ والنهب في قصورهم لا يعرفون التصرف باستقامة، يقول الرب لذلك يعلن الرب الإله: سيجتاح العدو البلاد ويحيل حصونكم حطاما وينهب قصوركم). عاموس 3\9-11.

ناحوم وتدمير حصون نينوى

يتألف سفر ناحوم من نبوءة واحدة، وهي تدمير مدينة نينوى التي كان ناحوم رسولاً إليها، وقد نعت ناحوم نينوى بكثير من الصفات السيئة، وتنبأ لها بأشد عقاب، حيث يطلب منها في مطلع النبوءة أن تحرس الحصن، وتمنّع أسوارها، لأن الرب سيعيد بهاء يعقوب وإسرائيل!: (قد زحف عليك المهاجم يا نينوى، فاحرسي الحصن وراقبي الطرق، ومنّعي أسوارك وجنّدي كل قوتك لأن الرب يعيد بهاء يعقوب ومجد إسرائيل). ناحوم 2\1 -2.

تبدأ نبوءة تدمير الحصون بذكر مثال لحضارات أعظم منك، سقطت ودمرت وسبيت كطيبة عاصمة الفراعنة ومقر قصورهم: (هل أنت أفضل من طيبة الجاثمة إلى جوار النيل المحاطة بالمياه المتمنّعة بالبحر وبأسوار من المياه.كوش ومصر كانتا قوتها اللا متناهية وفوط وليبيا من حلفائها ومع ذلك فقد وقعت أسيرة واقتيدت إلى السبي)

وبعد ذكر ذلك المثال تبدأ النبوءة بتدمير حصون نينوى وإسقاطها، كما تسقط حبة التين الناضج، وإحراقها واستئصالها بالسيف: (وتتساقط جميع حصونك كتساقط بواكير أثمار أشجار التين الناضجة في أفواه من يهزونها، انظري إلى جنودك مرتعبين كالنساء في وسطك، صارت أبواب أرضك مفتوحة امام أعدائك، وشرعن النار تلتهم مزاليجك، خزني ماءً تأهبي للحصار حصّني قلاعك دوسي أكوام الطين لتجهزي الطوب أصلحي قوالب الطين.هناك تلتهمك النار ويستأصلك السيف). ناحوم 3\12- 15.

القتال ضد المدن الحصينة بات وشيكاً

يتنبأ صفنيا بأن العدو البابلي أصبح قريباً من تخوم إسرائيل، وأن الرب أعلن يومه المخيف الذي يصرخ فيه الجبار مرعوباً، فهو يوم القتال ضد المدن الحصينة: (إن يوم

http://kotob.has.it

الرب العظيم قريب وشيك وسريع جدا دوي يوم الرب مخيف، فيه يصرخ الجبار مرتعبا، يوم غضب الرب هو ذلك اليوم، يوم ضيق وعذاب، يوم خراب ودمار، يوم ظلمة واكتئاب، يوم غيوم وقتام، يوم دوي بوق وصيحة قتال ضد المدن الحصينة والبروج الشامخة). صفنيا 1\14- 16.

زكريا ونبوءاته عن المدن المحيطة ببني إسرائيل

(ارجعوا إلى الحصن يا أسرى الرجاء فأنا أعلن اليوم أني أضاعف الأجر لقاء ما عانيتم من ويلات). زكريا 9\12.

سفر زكريا هو السفر قبل الأخير من التوراة، وفيه تختتم النبوءات التي تتعلق بالشعوب والمدن المتاخمة لبني إسرائيل عدا أدوم، وفيه أيضاً نبوءة بتخليص بني إسرائيل، ويضاعف لهم الأجر مقابل كل ما لحق بهم من ويلات وافتداء ربهم لهم وسيادة رب بني إسرائيل على العالم.

معاقبة كل المدن انتقاما لبني إسرائيل

يأتي قضاء الرب بالمعاقبة على مدن كثيرة، لها تاريخ صراع طويل ضد بني إسرائيل: (وحي قضاء الرب بعقاب أرض حدراخ[1] ودمشق لأن أعين الناس وسائر أسباط بني إسرائيل نحو الرب، وكذلك قضاء الرب على حماة المتاخمة لدمشق وعلى صور وصيدون المتصفتين بالحكمة، قد بنت صور حصنا لنفسها وأدخرت الفضة كالتراب والذهب كطين الشوارع، ولكن ها الرب يجردها من ممتلكاتها ويطرح عودتها إلى البحر وتلتهمها النيران، فتشهد مدينة أشقلون هذا فتفزع، وتتلوى غزة ألما تتوجع عقرون أيضاً لأن رجاءها قد تبدد ... ويستوطن الزنيم في أشدود، ويستأصل الرب كبرياء الفلسطينيين). زكريا 9\1- 6.

في نبوءة أخرى من نبوءات زكريا يعد هذا النبي المتنبئ اليهود بأن البهجة والسرور سيعودان إلى أورشليم، وسيعم السلام بين الأمم بعد أن يأتيها ملك، يستأصل المركبات والخيل، ويبيد أقواس القتال، إلا أن اللافت في هذه النبوءة هو طلب الله على لسان زكريا من اليهود الذين يسميهم أسرى الرجاء بأن يرجعوا إلى الحصن، فما الداعي للعودة إلى الحصن مادام السلام سيعم بين الأمم، يتنبأ زكريا بقوله: (ابتهجي جدا يا ابنة صهيون

1- بحسب قاموس الكتاب المقدس حدراخ هي مقاطعة في سورية قرب من دمشق.

http://kotob.has.it

واهتفي يا ابنة أورشليم لأن هوذا ملكك مقبل هو عادل ظافر...وهو عادل ظافر، ولكنه وديع راكب على ظهر أتان على جحش بن اتان، وأستأصل المركبات الحربية من أفرايم والخيل من أورشليم وتبيد أقواس القتال، ويشيع السلام بين الأمم ويمتد ملكه من البحر إلى البحر ومن نهر الفرات إلى أقاصي الأرض، أما أنتم فبفضل دم عهدي معكم أطلق أسراكم من الجب الذي لا ماء فيه، ارجعوا إلى الحصن يا أسرى الرجاء فأنا أعلن اليوم أني أضاعف الأجر لقاء ما عانيتم من ويلات). زكريا 9\9- 12.

إذاً ما المغزى من طلب عودة اليهود إلى الحصن؟، لولا أن الحصن من أهم ما كان يعول عليه في السلام والحرب، وإننا لا نجد أي مغزى آخر غير ذلك، فالنبوءة واضحة، والسلام كما يبدو سيعم، فلماذا العودة إلى الحصن؟، والإجابة عند كتبة التوراة تحديداً لأنهم أدرى بنفوس اليهود.

خلاصة

أين المدن المحصنة لبني إسرائيل وأسوارهم من النبوءات؟

امتلأت أسفار التوراة التي جاءت في مرحلة ما قبل السبي قليلاً وفي أثناءه بنبوءات كثيرة عن تدمير الحصون والأسوار، فلم تبق مدينة أو شعب إلا وتنبأت التوراة بمستقبل التدمير والتخريب له، ولاحظنا أن معظم هذه النبوءات قد أتت لشعوب كانت على عداء لبني إسرائيل، وهذا يطرح سؤالاً هاماً، هو لماذا كانت كل الشعوب التي تسكن في الوطن العربي قديماً على صراع ضد بني إسرائيل؟، ولماذا كل هذا الحقد الذي كان بنو إسرائيل يضمرونه لتلك الشعوب، حتى قبل احتلال فلسطين من هؤلاء البدو الرحل؟، أضف إلى ذلك لماذا دائماً الحصون هي أكثر ما يغيظ بني إسرائيل، لذلك يتنبؤون لها بالدمار والخراب، ويدعون الرب إلههم أن يحطمها، ويجعل البوم ينعب على حجارتها؟.

فرأينا ما سيحل بحصون صيدون وصور ومدن الفلسطينيين وبأسوار بابل ونينوى ودمشق عقاباً لها ولشعوبها على عدائهم لبني إسرائيل مع أن هذا الصراع كان سببه احتلال بني إسرائيل وغدرهم لتلك الشعوب، إن الحديث الدائم عن تدمير الحصون والأسوار قد ملئت به صفحات الأسفار الأخيرة من التوراة على عكس الأسفار السابقة لها، والتي ملئت بالحديث عن بناء الحصون، والملاحظ أن معظم الحصون التي جرى بناؤها على أيدي الإسرائيليين في الأسفار الأولى لم يجرِ الحديث نهائياً عن تدميرها مع

http://kotob.has.it

أن الجيوش الآشورية والبابلية زحفت نحو المدن التي استقر اليهود فيها وبنوا حصونها وأسوارها بحسب زعم التوراة، ولاحظنا في الفصل الأول كم بُني من مدن حصينة، إلا أن ذكرها لم يتطرق له كتبة التوراة في أثناء الزحف البابلي الآشوري، بل على العكس، فقد تحدثت النبوءات عن حصون الفلسطينيين والبابليين والمصريين والآراميين والوعد بتدميرها، ولعل هذا الأمر يؤكد أن بني إسرائيل لم يبنوا حصوناً عظيمة، إلا في مخيلتهم، وإذا كان ثمة مدن محصنة، فهي قرى وتجمعات ذات تحصينات بسيطة، تقيهم شر أنفسهم، لا شر الناس.

وأخيراً وليس آخراً لم يرد في مستعرض النبوءات سوى نبوءة واحدة عن إعادة بناء المدن الحصينة، وهي في سفر حزقيال وإليكم نصها: (وهذا ما يعلنه السيد الرب في اليوم الذي أطهركم فيه من كل آثامكم أسكنكم في المدن فتبنى الخرائب... فيقولون قد صارت هذه الأرض الجرداء كجنة عدن، وأصبحت المدن المهجورة المتهدمة مدنا محصنة آهلة فتردك الأمم التي ما برحت حولكم أني أنا الرب قد بنيت ما تهدم). حزقيال 36\ 33- 36.

وهذا يؤكد نتيجتين، إحداهما صحيحة حتماً، الأولى تقول: إنه في حال كان هناك حقاً مدنٌ حصينة بناها بنو إسرائيل في مرحلة ما بعد عبور النهر حتى السبي فإنها قد دمرت، وقد تحاشا ذكر تهديمها كتبة التوراة، حتى لا يرى مقدار ضعف تلك الحصون التي ضخّم وجودها ومناعتها هؤلاء الكتبة.

أما الثانية فتقول: إنه لا وجود أصلاً لتلك الحصون، لأنه لم يذكر أي تهديم لها على غرار حصون الأقوام الأخرى كصور ودمشق مثلاً، إلا في مناسبة واحدة، وهي المذكورة في سفر حزقيال، وهذا الكلام ينطبق على كل مدن الاحتلال الإسرائيلي المزعومة إلا القدس (أورشليم) التي سنأتي على ذكر حصونها وأسوارها في السطور القادمة.

أسوار أورشليم، العار لبني إسرائيل مادامت مهدومة

(فهيا نبني سور أورشليم، فلا نقاسي بعد من العار). نحميا 2\17.

لمحة عن القدس (أورشليم) في التوراة

تعترف التوراة بأن فلسطين بما فيها القدس كان يسكنها الكنعانيون واليبوسيون، ولم تعرف القدس مدينة مقدسة عند اليهود إلا في عصر داوود وسليمان، فالأسفار الخمسة الأولى في التوراة التي تسمى أسفار موسى ليس فيها أي ذكر للقدس إلا مرة

http://kotob.has.it

واحدة، وقد جاءت في مستعرض الحديث عن إبراهيم عليه السلام عندما التقى ملكي صادق اليبوسي إبراهيمَ وباركه: (وكذلك حمل إليه ملكي صادق ملك شاليم، الذي كان كاهنا للعلي خبزا وخمرا وباركه). التكوين 14\18.

وذكرت القدس في سفر يشوع في مستعرض الحديث عن الملوك الذين قهرهم يشوع وقتلهم، إلا أن سفر القضاة يتناقض مع هذا الحدث كما ذكرنا آنفاً، ولا يجري الاستيلاء على القدس إلا في عهد داوود بحسب زعم التوراة، وحينئذ أصبحت القدس (أورشليم) يعترف لها بمكانة عظيمة عند بني إسرائيل، ازدادت بعد فترة السبي، وهذا يوصلنا إلى نتيجة أن القدس لم تكن مدينة مقدسة، تتشوق وتتحرق إليها قلوب بني إسرائيل سوى في فترة متأخرة من الاحتلال اليهودي لفلسطين حتى السبي وفي أثناءه.

وكعادة بني إسرائيل في عبادة ما يعبده غيرهم وتقديس ما يقدسه الآخرون أصبحت أورشليم مدينة مقدسة، إلا أنها لم تكن مدينة السلام لبني إسرائيل مثلما كانت لغيرهم، بل مدينة الحرب ومدينة الدمار ومعبداً لإله الجنود والقوات، فصوّرها بنو إسرائيل حصن الله ولشعبه المختار، وأن أسوارها غاية الغايات ومنتهى الآمال في حمايتهم ووقايتهم من أي حدث طارئ ونصرتهم على أي عدو، يريد النيل من قاطنيها ومن بيوتهم وقصورهم، فنسجوا لأسوارها الأغاني والتسابيح، وتنبؤوا لها بنبوءات التدمير والبناء، وكتبوا لأبراجها وحجارتها أقوى التعاويذ، فتعلقت قلوبهم بأسوارها من دون الله، وتآخت أرواحهم مع أبراجها ومتاريسها، وقرروا مصيرهم بمصيرها، إلا أنهم لم يصونوها، وعاثوا في عرصاتها فساداً ووثنية، وخربوا أسوارها التي بنوها بأيديهم، حتى يبنوا أسوارها، أو حتى يهربوا خلالها هذه التي كانت لهم حصناً وسوراً يمنع أعتى العتاة عن المحتمين بها، فخانوها.

أولاً- نبوءات أسوار القدس قبل السبي وفي أثناءه

نبوءة عن نقب حصون أورشليم بأيدي آهليها

ينبئ إشعيا بني إسرائيل بأن غضب الرب سيصب على أورشليم، وسينثر فيها الرعب، فيفتح آهلوها في أسوارها فتحات، حتى يخرجوا من هذه المدينة، ليستجيروا بالجبال: (ابتعدوا عني لأبكي بمرارة لا تتكبدوا جهدا في تعزيتي من أجل دمار ابنة شعبي، لأن للسيد الرب القدير في أورشليم يوما يبث فيه الرعب والذلة والفوضى، فيه ينقب أهلها الأسوار ويستجيرون بالجبال). إشعيا 22\4- 5.

http://kotob.has.it

وقد تحققت هذه النبوءة حين حوصرت القدس من جيوش البابليين، وفتح الملك صدقيا وجنده وعدد من الشعب الإسرائيلي ثغرة في السور، حتى يتمكن من الهرب من أيدي البابليين، إلا أن الملك البابلي أمسك بهم جميعاً، وفي الإصحاح ذاته يتنبأ إشعيا بأن أهل أورشليم سيهدمون بيوتهم لاستكمال بناء السور، وقد ذكرنا هذه النبوءة في معرض حديثنا عن تخريب البيوت بأيدي بُناتها.

الويل لأورشليم

لقد ترك بنو إسرائيل الرب، وعبدوا الأصنام، وعاثوا فساداً في مدينة الرب أورشليم، لذلك سيأتي يوم للعقاب، فتحاصر مدينة الأوثان ورمز الفساد، وتحاصر بأبراج، وتقام عليها المتاريس: (ويل لأورشليم المدينة التي استقر فيها داوود، ها السنوات تتعاقب وأنتم ما زلتم تحتفلون بالأعياد - أعياد الوثنيين - ولكن سأحاصر أورشليم فيملأها الأنين و النوح فتكون في نظري كمذبح ملطخ بالدم سأنزل عليك وأحاصرك بأبراج وأقيم عليك المتاريس، عندئذ تنخفضين، وتتكلمين من الأرض ومن التراب تصدر عنك تمتمة كلام). إشعيا 29\1-4.

تستكمل النبوءة بأن هذا الغضب مؤقت، وأن رب بني إسرائيل المزاجي جداً سيدمر كل من يحاصر حصونها، ويصبح كالحلم: (ثم فجأة وفي لحظة يفتقدك الرب القدير فيأتي رعد وزلزال وضجيج عظيم مع زوبعة وعاصفة ولهيب نار آكلة وتصبح كل الشعوب التي تحارب أورشليم وتحاصر حصونها كالحلم أو كرؤيا الليل). إشعيا 29\5-7.

بناء الأسوار بالحجارة الكريمة

إن هذه النبوءة لم تفصح عن صاحبها، ولمن موجهة؟، أهي لمملكة يهوذا على نحو عام، أم للقدس تحديداً وعلى أي حال فيهوذا كانت عاصمتها أورشليم، وليس ثمة خلاف كبير بينها وبين المملكة التي كانت داخلها، والنص يعبر عن القدس، كما سنرى أكثر من أي مكان آخر، لأن تلك الصفات وصفت في مكان آخر وكانت حول القدس، وفي هذه النبوءة يعد الله أورشليم أو يهوذا بأنه سيعوضها عن كل ما عانته، وسيبنيها هي وحصونها بعد أن اقتلعتها العاصفة، غضب الرب، بالإثمد والحجارة الكريمة: (أيتها المنكوبة وغير المتعزية، التي اقتلعتها العاصفة، ها أنا أبني بالأثمد حجارتك، وأرسي أساساتك بالياقوت، وكل أسوارك من حجارة كريمة). إشعيا 54\11-12.

http://kotob.has.it

أسوار أورشليم يبنيها الغرباء، ويخدمها الملوك والأسوار خلاص والبوابات تسابيح

يعود المجد إلى أورشليم وصهيون مدينة داوود، فتكون ملاذاً للجميع، وكل الذين احتقروها ينحنون عند قدميها، يعمر الغرباء العبيد سورها، ويخدمها الملوك، هذه عظمة الرب في تمجيد أورشليم وصهيون مدينة داوود: (قومي استضيئي فإن نورك قد جاء ومجد الرب أشرق عليك..... يعمّر الغرباء أسوارك ويخدمك ملوكهم لأني في غضبي عاقبتك وفي رضاي رحمتك... ويقبل إليك أبناء مضايقيك خاضعين وكل الذين احتقروك ينحنون عند قدميك.... وعوضا عن النحاس أجلب لك الذهب، وبدل الحديد آتي لك بالفضة وعوض الخشب نحاسا وبدل الحجارة حديدا... وأجعل ولاتك مصدر سلام ومسخريك يعاملونك بالعدل، ولا يسمع بظلم في أرضك، ولا بدمار أو خراب داخل تخومك وتدعين أسوارك خلاصا وبواباتك تسابيح). إشعيا 60\1- 18.

الابتهال على أسوار أورشليم

يستكمل رب بني إسرائيل وعوده بتمجيد أورشليم في أعين البشر ومفخرة للأرض، فهاهو الرب يقيم على أسوار أورشليم حراساً ليبتهلوا إليه في الليل والنهار، ويدعوهم إلى عدم الاستكانة، حتى يجري الرب وعده ببنائها، ويعلنها مجداً وفخراً للأرض: (على أسوارك يا أورشليم أقمت حراسا يبتهلون نهارا وليلا، يا ذاكري الرب لا تكفوا ولا تدعوه يستكين حتى يعيد تأسيس أورشليم ويجعلها مفخرة الأرض). إشعيا 62\6- 7.

حزقيال ونبوءاته عن أسوار أورشليم

إن سفر حزقيال يتميز برمزية كبيرة في نبوءاته، حيث كانت هذه النبوءات تأتيه على صورة أحلام مرمزة، تفسّر لاحقاً، وقد تنبأ حزقيال بمصير أورشليم، وهو في السبي، وقد أتاه مصيرها على صورة حلم، ويصف رب حزقيال أورشليم بعدة صفات كالطفل اليتيم الذي لا يأبه له أحد والعاهرة الزانية التي عاشرت الجميع، والمدينة السافكة الدماء والرجسة....وغيرها.

تمثيل حصار أورشليم

ينبئ الرب حزقيال بأن أورشليم ستحاصر، وستسقط بأيدي البابليين، وسيسبى أهلها، ويشرح له كيفية الحصار بتمثيل درامي: (أما أنت يا بن آدم فخذ لنفسك لبنة

http://kotob.has.it

وابسطها أمامك وارسم عليها مدينة أورشليم وأقم عليها حصارا وانصب عليها متراسا وطوقها بالجيوش وأحطها من كل جانب بالمجانيق، ثم خذ لنفسك صاجا من حديد وأجعله سورا من حديد بينك وبين المدينة وثبت وجهك عليها فتصبح محاصرة وأنت تحاصرها فتكون هذه علامة لشعب إسرائيل - المسبيين -). حزقيال 4\1- 3.

موت المتمنعين بحصون أورشليم بالوباء

تردد نبوءات حزقيال نتائج الموبقات التي قام بها بنو إسرائيل، حيث يأتي العقاب على نحو دائم على صورة قتل وتدمير، وهاهم المتمنعون في حصون أورشليم ومغاورها يموتون بوباء غامض من الرب نتيجة لكل ما اقترفوه: (قل لهم هذا ما يعلنه السيد الرب، حي أنا، إن الذين يقيمون بالخرائب يقتلون بالسيف، والذين يسكنون في العراء أبذلتهم قوتا للوحوش، والمتمنعون في الحصون والمغاور يموتون بالوباء فأجعل الأرض أطلالا مقفرة وتبطل كبرياء عزتها). حزقيال 33\27-28.

نبوءة عاموس عن تدمير حصون أورشليم

نار تلتهم حصون أورشليم

بسبب رفض يهوذا شريعة الرب وعدم إطاعتهم فرائضه يرسل الرب ناراً على يهوذا، فتلتهم حصون أورشليم عقاباً لهم: (هذا ما يقوله الرب: من أجل معاصي يهوذا الثلاث والأربع لن أرد عنها سخطي لأنهم رفضوا شريعة الرب ولم يطيعوا فرائضه، فأضلتهم الأكاذيب التي غوى وراءها آباؤهم لهذا أرسل نارا على يهوذا فتلتهم حصون أورشليم). عاموس 2\4- 5.

الرب سور نار لأورشليم في سفر زكريا

يبشر ملاكان في هذه النبوءة زكريا بإعادة نهضة أورشليم بناءً وشعباً وإلهاً، ويطلب الرب منها الترنم والابتهاج لهذه العودة الميمونة، حيث يتعهد الرب لأورشليم بأنه سيكون لها سوراً من نار، وتعدّ هذه النبوءة آخر نبوءة تتحدث عن أسوار القدس في التوراة: (ثم رفعت عيني وإذا بي أرى رجلا بيده حبل قياس فسألته إلى أين أنت ذاهب؟ فقال: لأمسح أرض أورشليم فأرى مقدار طولها وعرضها ثم خرج الملاك الذي كلمني للقاء ملاك آخر أقبل إليه فقال له أسرع وقل لهذا الشاب: ستكون أورشليم كسهل مكشوف آهلة بالناس

http://kotob.has.it

والبهائم المطمئنين فيها لأني سأكون لها سورا محيطا من نار يقول الرب: ومجدا في داخلها). زكريا 2\15 .

في هذه النبوءة يتحول الإلهي إلى البشري بدءاً من تحول الملكين إلى رجلين والبدء بقياس المدينة، وكأن الرب لا يعرف مقاييسها، ولعل الشيء المفاجئ في هذه النبوءة هو ذكر القدس مدينة مكشوفة للوهلة الأولى، وبسبب عودة المجد والعناية الإلهية لها نشعر أن عقدة السور زالت من النص التوراتي، إلا أن استبدال الحصون النارية بالحجرية الإلهية جعل أورشليم بحسب تلك النبوءة حصينة أكثر من ذي قبل.

ثانياً- محبة الله لأسوار أورشليم

(انظروا ها أنا نقشتك يا صهيون على كفي وأسوارك لا تبرح من أمامي). إشعيا 49\16.

بعد غضب الرب دائماً يأتي الرضا والتأييد لبني إسرائيل، هكذا تحدثنا التوراة، دائماً وهكذا تفصح عن العلاقة بين رب بني إسرائيل وشعبه (المختار)، علاقة بشرية أكثر منها علاقة بين الرب وعبيده، تدمر كل الشعوب، وتخرب حصونها وأسوارها إلى الأبد، أما بنو إسرائيل فيكون لهم ذلك عقاباً مؤقتاً، لأن الرب لا يريد أن يزعج هؤلاء القوم كثيراً، فغضبه عليهم رحمة لهم، ورحمته لهم إغداق بالعطايا والتقدمات، لا يلبث أن يصب جام غضبه عليهم، حتى يندم على فعلته، ويعود فيقوي شكيمتهم، ويبذل لهم ما يطلبونه، هكذا صورت دائماً التوراة العلاقة بين رب بني إسرئيل وشعبه الذي اختير وفضل على البشر بحسب زعم كتبة التوراة.

إن رمزية العلاقة بين الرب وأورشليم تعود بنا إلى الأسفار الأولى التي لم تأت على ذكر أورشليم وصهيون ومحبة الله لها ولأسوارها، لنرى أن هذا الحب المفاجئ لم يكن له سوى أبعاد سياسية، فكما تطلعت شعوب العالم القديم إلى القدس أرض سلام مقدسة، أراد اليهود أن يكون لهم على مسرح العالم القديم مكان، ولم يكن هناك مكان أفضل من القدس، حتى يتحدث التاريخ عن وجود مزعوم لهم فيها، مزعوم لأن التاريخ والآثار لم تثبت ولم تؤيد أي وجود لهم ولهيكلهم الذي بنوه في مخيلتهم على أرضها، هي أسباب سياسية محضة، جعلت كل هذا الحب من رب بني إسرائيل يهبط على القدس هبوط نيزك من علٍ على أرض خلاء.

http://kotob.has.it

صهيون على كف الرب منقوشة، وأسوارها من نظره لا تبرح

بعد كل ما ألم بصهيون من متاعب ظن سكانها أن ربهم نسيهم وأهملهم، فيسمعهم الله، وهم يقولون ذلك، فيأتي رده رومانسياً عاطفياً ليؤكد متانة العلاقة بين الرب وصهيون، وأي علاقة تلك!: (لكن أهل صهيون قالوا: لقد أهملنا الرب ونسينا، هل تنسى المرأة رضيعها ولا ترحم ابن أحشائها؟ حتى هؤلاء ينسين، أما أنا فلا أنساكم، انظروا ها أنا قد نقشتك يا صهيون على كفي، وأسوارك لا تبرح من أمامي، أسرع إليك بناؤوك، وفارقك هادموك ومخربوك، ارفعي عينيك وتلفتي حولك وانظري فقد اجتمع أبناؤك وتوافدوا إليك). إشعيا 49\14- 18.

لماذا يتفرس الرب بالأسوار، ولا تبرح من أمامه؟، هل لأنها منتهى آمال أهل صهيون، أم لأن مجد صهيون مرتبط بتلك الأسوار لا بغيرها، إن هذه الكلمات صادرة عن رب بني إسرائيل، لا شعبه، وفيها يؤيد الرب أقوال شعبه وأنبيائه بأن أسوار أورشليم مجدها وعزها ومدعاة فخرها.

ثالثاً- في بيت الله وأسواره يبذل الرب عطاياه

يعود الرب ليسترضي بني إسرائيل، ويكفّر عن خطاياه التي ارتكبها بحقهم، فهكذا عودتنا النصوص التوراتية الرب؛ يندم ويكفّر عن أفعاله، ففي أحد النصوص يعد الرب كل الخصيان والغرباء بخير وعطاء وتخليد منه، إلا أن هذا العطاء والكرم لا يمنح إلا داخل بيت الله وأسواره: (لا يقل ابن الغريب المنضم إلى الرب: إن الرب يفصلني عن شعبه ولا يقولن الخصي أنا شجرة يابسة.لأن هذا ما يقوله الرب للخصيان الذين يحافظون على سبوتي ويختارون ما يسرني ويتشبثون بعهدي أهبهم داخل بيتي وأسواري نصيبا واسما أفضل من البنين والبنات، أعطيهم اسما مخلدا لا ينقرض). إشعيا 56\3- 5.

إن هذا الذي يتحدث النص التوراتي عنه أنه رب ليس سوى ملك أرضي، لا علاقة له بربوبية أو إلوهية، لأنه يتحدث عن سبوت، واختيار بشري له يسره، ثم إن الرب يمنح المرء أينما يكن، و لا يحصر عطاياه في بيت أو داخل أسوار.

رابعاً- أسوار أورشليم في مراثي إرميا

(لتجرِ الدموع يا أسوار ابنة صهيون كالنهر ليلاً ونهاراً)

يتفرد أحد أسفار التوراة بمراث للقدس ولأسوارها وسكانها، وهذا السفر مؤلفه إرميا الذي كتبه بعد سقوط القدس (أورشليم) قليلاً، وقد أطلق على هذا السفر اسم

http://kotob.has.it

مراثي إرميا، وفيه ينتحب إرميا كثيراً على ما جرى في القدس التي نالت عقابها من الرب نتيجة لخطاياها الكثيرة، وينقل إرميا في كتابه «المراثي» ما شاهده في القدس بأسلوب أدبي حزين، لا يخلو من التباكي على مجد القدس الذي زال: يتحول الرب إلى عدو لبني إسرائيل الموجودين في القدس، ويصب جام غضبه على تلك المدينة، فهدم جميع قصورها، ودمر حصونها، وأكثر النوح والعويل فيها: (كيف خيم الرب بغضبه على ابنة صهيون وطرح من السماء إلى الأرض جلال إسرائيل.... وسكب سخطه كنارٍ على خيمة ابنة صهيون... وأصبح الرب كعدو فقوض إسرائيل وهدم جميع قصورها ودمر حصونها وأكثر النوح والعويل في ابنة صهيون... كره الرب مذبحه وتبرأ من مقدسه وسلم أسوار قصورها إلى يد الأعداء... عزم الرب أن يقوض سور ابنة صهيون، مد خيط القياس ولم يرد يده عن سحقها، فاستبكى المترسة والسور فسقطا معا وغاصت في الأرض بواباتها، دمر وحطم مزاليجها). مراثي إرميا 2\1- 9 .

بكاء أسوار ابنة صهيون

بعد ما حل بأورشليم - ابنة صهيون - من خراب ودمار، وبعد تنفيذ قضاء الله يطلب إرميا بأسلوب حزين من الأسوار أن تبكي على مدينتها، ومن المدينة أن تنتحب، وأن تبتهل لله من أجل أطفالها المغشي عليهم من الجوع: (نفذ الرب قضاءه وحقق وعيده الذي حكم عليه منذ الحقب السالفة، هدم ولم يرأف فأشمت بك الخصم، وعظم قوة عدوّك، استغاثت قلوبهم بالرب لتجر الدموع يا أسوار ابنة صهيون كالنهر ليل ونهارا لا تستكيني ولا تكف عيناك عن البكاء، قومي وانتحبي في الربع الأول من الليل.... اسكبي كالماء قلبك في محضر الرب، ارفعي يديك من أجل نفوس أطفالك المغشي عليهم من الجوع عند ناصية كل شارع). مراثي إرميا 2\17- 19.

أسوار (أورشليم) بعد النبوءات

محاولات بناء المدينة والسور والهيكل المزعوم

يبدأ بعض بني إسرائيل بعد انقضاء سبعين سنة من سبيهم بالعودة إلى فلسطين بأمر من الملك الفارسي كورش الذي يحرك قلبه بأمر رب بني إسرائيل، ليبني هيكلاً لهذا الرب في أورشليم، حيث يأمر شعب الرب، بني إسرائيل بحسب زعم التوراة، بالعودة إلى المكان الذي سبوا منه، ويبنون هناك الهيكل المزعوم.

http://kotob.has.it

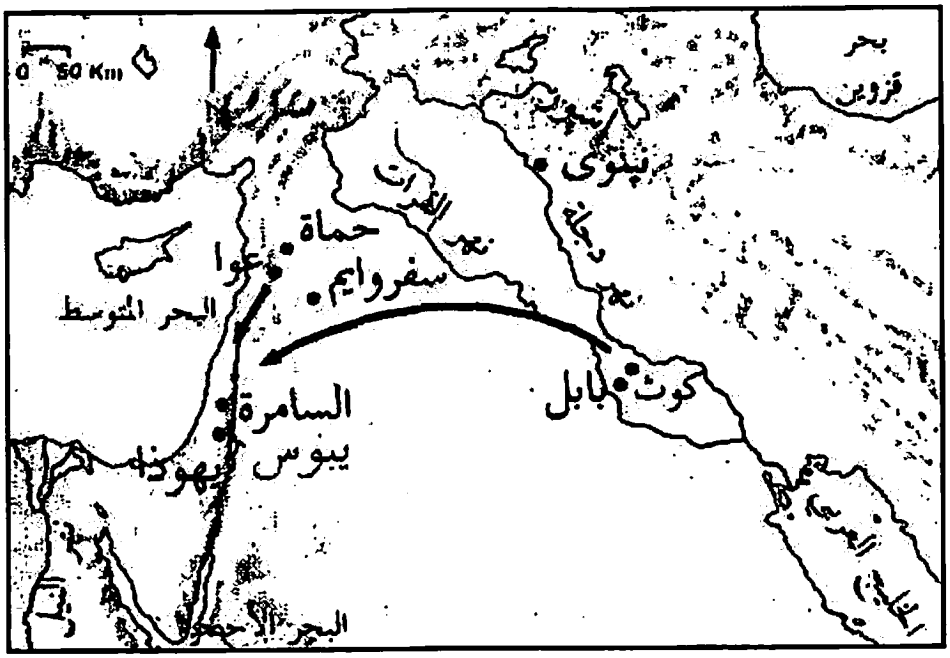

توطين بعض الأقوام في فلسطين إبان السبي

تتوالى الأحداث، ويعود من السبي اثنان وأربعون ألفاً من المسبيين، ويشرعون في بناء الهيكل، في هذه الأثناء يموت الملك كورش، ويأتي من بعده خلفاؤه، وأهمهم كان داريوس وأرتحششتا الذي يرفع إليه ساكنو فلسطين من الإفرستكيك والطرفليين والأفرسيين والأركويين والبابليين والشوشنيين والدهويين والعيلاميين [1] رسالة باللغة الآرامية يقولون فيها: (من عبيدك الرعايا المقيمين في عبر نهر الفرات، ليعلم الملك أن اليهود الذين وفدوا إلينا من عندك جاؤوا إلى أورشليم وانهمكوا في بناء المدينة المتمردة الشريرة، وقد استكملوا بناء أسوارها ورمموا أسسها، فليحط الملك علما أنه إذا تم بناء هذه المدينة واستكملت أسوارها فإن أهلها لن يؤدوا جزية ولا خراجا ولا خفارة مما يضير خزينة قصر الملك، ومن حيث أننا نقتات من خير الملك فلا يليق بنا أن نرى ما يصيب الملك من ضرر ونسكت عنه لذلك أرسلنا نبلغك لكي تنقب في سجلات تواريخ آبائك فتتبين أن هذه المدينة كانت مدينة متمردة أضرت بالملوك والبلاد وعصت منذ الأيام القديمة لذلك حل بها الخراب، ونحن نحذر الملك إنه إذا أعيد بناء هذه المدينة واستكملت أسوارها فإنك تفقد كل ما تملك عليه في عبر نهر الفرات). عزرا 4\11- 16.

1- الأقوام التي وطّنها البابليين في فلسطين إبان السبي.

http://kotob.has.it

لم يبن اليهود أي هيكل، بل شرعوا ببناء المدينة والسور

إذا صح كلام التوراة فاليهود عندما رجعوا لم يشرعوا ببناء هيكل لهم، والرسالة تؤكد ذلك، إذ لا وجود لبناء أي هيكل في نص الرسالة التي بعثت للملك، بل بعد عودة المسبيين مباشرة بدأ اليهود بتصليح أساسات المدينة وإعادة بناء أسوارها، وإذا كان اليهود حقاً بدؤوا ببناء هيكل لهم فلماذا تجنبت الرسالة ذكره مع أن بناء الهيكل كان مرسوماً ملكياً من قبل الملك كورش.

وغالب الرأي يقول إن اليهود عندما عادوا لم يشرعوا ببناء أي هيكل بل سارعوا إلى بناء المدينة وترميم أسوارها، وفي هذا مخالفة لأوامر الملك، وهذه هي الحجة التي استند إليها باعثو الرسالة، حتى يوقفوا البناء، ودليل ذلك ذكر تمرد هذه المدينة وعصيانها، فالقدس كما سبق أن ذكرنا مدينة حصينة بطبيعتها من دون أسوار، ويحلو للمقيم فيها بسبب موقعها الحصين التمرد، لأنه واثق في حصانتها، فكيف إذا بنوا أسواراً تحيط بها؟، فتخوفُ باعثي الرسالة كان في مكانه، ولم يبدأ اليهود ببناء أي هيكل لهم بعد العودة، بل فكروا قبل كل شيء في الأسوار، وهذا ما يؤكده سفر نحميا الذي سنأتي على ذكره في السطور القادمة.

توقف البناء في المدينة

بعد أن تصل الرسالة إلى الملك ارتحششتا، وتقرأ عليه باللغة الآرامية، وتترجم، يأمر بالبحث عن تاريخ المدينة، فوجد أنها دائمة الثورة على الملوك، ومهدٌ للتمرد والعصيان، فيصدر أوامره بالتوقف عن البناء: (والآن أصدروا امراً إلى هؤلاء بالكف عن بناء هذه المدينة حتى يصدر أمر مني وحذار أن تتراخوا في تنفيذ هذا الأمر إذ لماذا يزداد الأذى، فيسبب أضرارا تلحق خسارة بمصالح الملوك). عزرا 4\21- 22.

وما إن يصدر هذا المرسوم الملكي حتى يعود حاملو الرسالة إلى أورشليم مسرعين، ومنعوا اليهود بالقوة من متابعة البناء.

إعادة البناء

تثبت نصوص التوراة من حيث لم يدر كتبتها أن الهيكل لم يكن في سلم أولويات اليهود الذين عادوا من السبي، بل السور أولاً، فمن ناحية يؤكد مبغضو اليهود وأعداؤهم أن بناء السور هو حجر الزاوية، بينما يؤكد اليهود أنهم يبنون الهيكل، ولم يكن في نيتهم

http://kotob.has.it

بناء المدينة والأسوار أو ترميمها، وحديث أعداء اليهود لا تبرحه عبارة بناء أسوار، بينما حديث اليهود يتجنب ذلك نهائياً، ويؤكد بناء هيكل، ولنلاحظ هذه المحاورة التي تدور بين أعداء اليهود وبناة الهيكل المزعوم العائدين من السبي: (في ذلك الحين تنبأ النبيان حجي وزكريا بن عدّو لليهود المقيمين في أورشليم ويهوذا باسم الرب إله إسرائيل المهيمن عليهم، فقام زربّابل بن شالتيئيل ويشوع بن يوصادق وشرعا في استكمال بناء هيكل الله الذي في أورشليم بمعونة نبي الله، فجاءهم تتناي والي عبر النهر وشتريوزناي ورفقاؤهما وسألوهم: (من أمركم ببناء هذا الهيكل واستكمال السور، ثم طلبوا قائمة بأسماء الرجال المساهمين في بناء الهيكل، ولكن كانت عين إله قادة اليهود ترعاهم، فلم يوقفوهم عن العمل حتى يتم رفع الأمر إلى داريوس ويتلقون رده عليها). عزرا 5\1- 5.

نلاحظ من هذه المحاورة البسيطة أن اليهود أخذوا يبنون أسوار أورشليم ويرمموها، بينما اليهود لا يأتون على ذكر الأسوار أبداً بل يؤكدون أن شغلهم الشاغل هو بناء هيكل الرب المزعوم، وفي رسالة أخرى يبعثها تتناي إلى داريوس تؤكد أن ذكر بناء الهيكل كان إقحاما للأحداث، فتتناي في مستعرض رسالته يقول: إن اليهود يبنون هيكلاً ضخماً بحجارة عظيمة، ثم لا يتحدث عن بناء السور، إلا على نحو عابر من دون ذكر تفاصيل بنائه مع أن السور هو الأهم، وهو الحدث الذي يجب الاحتجاج عليه مادامت هذه المدينة عرفت بتمردها، وبذلك يكون السور هو محرضاً التمرد، ولنلاحظ إقحام ذكر بناء الهيكل المزعوم في الرسالة التي بعث بها تتناي إلى الملك داريوس:

(نود أن نحيطكم علما بأننا ذهبنا إلى بلاد يهوذا حيث معبد الإله العظيم فوجدنا أن الهيكل يبنى بحجارة عظيمة وجدرانه تدعم بالخشب والعمل يسير بأقصى سرعة ويتم إنجازه على أيديهم بنجاح باهر وقد سألنا هؤلاء القادة من أمركم بإعادة بناء هذا البيت واستكمال هذه الأسوار وطلبنا قائمة بأسمائهم فدونا أسماء قادتهم حتى نطلعك عليها، وقد أجابونا قائلين نحن عبيد إله السماء والأرض ونعيد بناء الهيكل الذي تم إنشاؤه على يد ملك إسرائيلي عظيم، ولكن بعد أن أثار آباؤنا غضب إله السماء أسلمهم ليد نبوخذ نصر الكلداني الذي هدم الهيكل وسبى الشعب إلى بابل، غير انه في السنة الأولى لتولي كورش ملك بابل أصدر أمرا ببناء هيكل الله هذا.....فالآن إن راق لدى الملك فليبحث في سجلات المملكة في بابل ليرى حقاً قد صدر مرسوم من كورش الملك بإعادة بناء هيكل الله هذا في أورشليم). عزرا 5\8 -17.

http://kotob.has.it

نلاحظ من هذه الرسالة أن اليهود لم يأتوا على ذكر الأسوار في مستعرض حوارهم مع تتاي مع أن سؤاله كان ذا شقين، الأول عن بناء الهيكل، والثاني عن استكمال الأسوار. وعود على بدء نقول: إن كثيراً من الشبهات تدور حول هذه الأحداث، أولها المرسوم الملكي الذي يصدره كورش ببناء هيكل الله في أورشليم حيث يجبرنا النص، على أن نقول إن كورش إما تهوّد، وإما غرر به، كما أوحت النصوص التوراتية بأن أستير الجارية اليهودية في قصر الملك غررت به، ليعود المسبيون، ويأمر ببناء هيكل الله، إضافة إلى ذلك كان دين كورش الزرادشتية واتخاذه ديناً آخر، وأمره ببناء معبد لإله غير أهورامازدا سيؤلب عليه المؤسسة الدينية التي كانت تسيطر على جميع مؤسسات الدولة الفارسية، ثم ما سر محبة كورش لليهود وربهم؟، ومحبة اليهود لكورش مع أنه وثني، وكل الحروب المزعومة التي شنها اليهود كانت ضد الوثنين، وإذا كان كورش حقاً قد أمر ببناء هيكل الله إله أورشليم، فلماذا تتحدث رسائل الملوك عن أسوار تبنى وترمم؟، وهذا هو الأهم في معرض حديثنا.

وبناء عليه نقول: إن اليهود لم يشرعوا ببناء أي هيكل، والدلائل الأثرية تؤكد ذلك، فلم تُكتشف أحجار كبيرة، كما وصفت في الرسالة التي أقحم فيها موضوع الهيكل، ثم إن اليهود، كما تتحدث التوراة نفسها، أخذوا بعد السبي مباشرة بعبادة آلهة البابليين كمردوخ مثلاً لا حصراً، وما زالوا عليها حتى عودة بعضهم، فربهم لم يكن موجوداً في ضمائرهم التي زعمت التوراة أنها تريد أن تعيد أمجاد الرب ببناء هيكل له، وأخيرا لم تستكمل الأسوار ولم يعد بناؤها، كما اتفق عدد من المؤرخين، على ذلك الأمر مع أن النص التوراتي يزعم أن اليهود أتموا بناء الهيكل والأسوار بعد البحث في وثائق المملكة، والعثور على مرسوم الملك كورش.

نحميا وعار بني إسرائيل في انهدام أسوار أورشليم

الشقاء والعار العظيم لأن أسوار أورشليم منهدمة وأبوابها محروقة

يشكل سفر نحميا الحلقة الأهم في مسيرة بناء الأسوار والاتكال عليها، ومدى تعلق اليهود بها تعلقاً أبدياً، وسفر نحميا هو آخر الأسفار التاريخية في العهد القديم، وهو يسجل تاريخ عودة الجماعة الثالثة من المسبيين إلى أورشليم، وكان ذلك في زمن الملك أرتحششتا وبناء الأسوار، وعودة الشعب إلى الإيمان.

في السنة العشرين من حكم الملك الفارسي أرتحششتا بحسب التوراة، يأتي إلى نحميا وهو في العاصمة شوشن بعض أقربائه الذين عادوا من السبي، ويسألهم عن اليهود

http://kotob.has.it

العائدين فيجيبونه بأنهم يعانون شقاء وعاراً عظيمين، فسور أورشليم مهدم وأبوابها محروقة، وعند سماع تلك الأنباء يبكي نحميا، وينوح أياماً ويبدأ بطلب مغفرة من الرب، وخلاص من كل ذلك العناء: (في السنة العشرين من حكم أرتحششتا بينما كنت في العاصمة شوشن أقبل إلي حناني أحد أقربائي برفقة بعض رجال قادمين من يهوذا فسألتهم عن اليهود الناجين العائدين من السبي وعن أورشليم فقالوا لي: إن الناجين الذين بقوا من السبي، ممن رجعوا إلى هناك يقاسون من شقاء عظيم وعار.فسور أورشليم منهدم وأبوابها محروقة بالنار، فلما سمعت هذه الأخبار جلست وبكيت ونحت أياما وصمت وصليت أمام إله السماء....الخ). نحميا 1\1- 4.

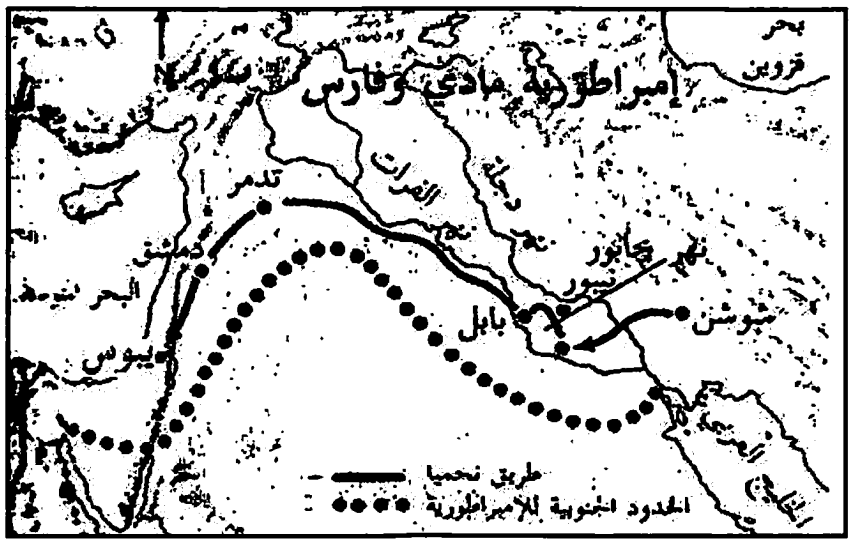

طريق عودة نحميا

تؤكد التوراة خلال هذا النص وغيره دوماً أن العار والمجد والشقاء والنعيم مرتبطة جميعها كثيراً بالأسوار عند اليهود، ففي إجابة قريب نحميا نسي اليهود ما كابدوه من ذلة في أثناء السبي وبعده وما عانوه من تشتت وتشرذم بسبب أعمالهم الخبيثة، وتذكروا أسوار أورشليم وما لحق بالشعب من مصاب عظيم بسبب انهدامها وحرق بواباتها، وبعض مفسري التوراة يقولون إن العار كان بسبب بقاء اليهود من دون أي شيء يحميهم من أي غزو طارئ، إلا أن إطلاق كلمة عار وشقاء عظيمين بسبب تهدم أسوار أورشليم أمر مبالغ فيه جداً، فمقومات الحضارة والمدنية التي لم يعرفها اليهود إلا أسواراً وقرى محصنة لم تقم على مثل ما قامت عليه عندهم، فمجد البابليين كان في آدابهم وآثارهم

http://kotob.has.it

البديعة وقوانينهم، ولم يكن أسواراً و قرى ومدناً حصينة، وكذلك الفراعنة وكل الحضارات التي كانت قائمة آنئذ.

عودة نحميا لأورشليم، وتفقد الأسوار في أول خطوة له بعد العودة

يسأل نحميا الملك الفارسي أن يتركه يعود إلى الأرض التي دفن فيها آباؤه، ليبني الهيكل ويرد على المدينة عافيتها، فيوافق، ويسأل عن موعد عودة نحميا، يسأل نحميا الملك أن يعطيه رسائل لملوك ما بعد النهر، حتى يتركوه يمر إلى يهوذا، إضافة إلى آساف المسؤول عن غابات الملك، ليعطيه أخشاباً يصنع منها دعائم بوابات القلعة المجاورة للهيكل المزعوم وسور المدينة والدار التي سيقيم فيها نحميا، ويوافق الملك على مطالب نحميا، ويبدأ رحلته إلى يهوذا.

يصل نحميا أورشليم، وما إن يصل وبعد ثلاثة أيام من وصوله حتى يتسلل ليلاً ليعاين سور المدينة وأبوابه المحترقة: (وبعد أن وصلت أورشليم مكثت هناك ثلاثة أيام، ثم قمت برفقة نفر قليل من الرجال، من غير أن أطلع أحدا عمّا أثقل قلبي لأصنعه في أورشليم ولم يكن معي بهيمة سوى البهيمة التي أمتطيها، فتسللت ليلا من باب الوادي نحو عين التنين حتى وصلت إلى بوابة الدمن، وشرعت أتفرس في أسوار أورشليم وأبوابها المحترقة..... ثم تابعت صعودي ليلا بمحاذاة الوادي ورحت أتأمل في السور، ثم عدت راجعا عبر باب الوادي ولم يعرف الولاة وسواهم من اليهود والكهنة والأشراف وباقي العمال إلى أين ذهبت ولا ما أنا مزمع فعله). نحميا 2\11- 16.

بحسب ما يبدو من النص إن الأمر المزمع عليه نحميا كان إعادة بناء مجد يهوذا ببناء أسوار أورشليم، فهي كانت غايته وسبب عودته، فلم يشغله بعد الوصول بهنيهة سوى أسوار أورشليم، فخرج يعاينها، ويرسم مستقبلها الآتي.

عود على بدء: بناء الأسوار وعدم مقاساة العار

يصمم نحميا على إعادة بناء السور، ويوعز إلى رفقائه بذلك، حتى لا يكون بعدُ عارٌ ولا شقاء ولا ضنك: (ثم قلت لهم: أنتم تشهدون ما نحن عليه من ضنك فأورشليم خربة وأبوابها محترقة فهيا نبني سور أورشليم فلا نقاسي بعدُ من العار، وأطلعتهم عما رعاني به إلهي من عناية صالحة، وعلى حديث الملك الذي خاطبني به فقالوا: لنقم السور وتضافروا جميعا للقيام بالعمل الصالح). نحميا 2\17- 18.

http://kotob.has.it

ربط نحميا في هذا المقطع بناء السور أيضاً بإزالة أسباب العار والضنك الذين جلبهما عليهم هدمه، فصمم على بنائه هو ورفاقه، حتى لا يكون بعد عار.

بناء السور عصيان لأوامر الملك

مما يؤكد أيضاً أن اليهود لم يبنوا أو يفكروا في بناء الهيكل، وأصروا على بناء السور إحدى المحاورات التي تدور بين اليهود والسكان المقيمين غير اليهود إثر معرفة هؤلاء السكان أن اليهود عزموا على بناء السور، وشرعوا بترميمه، فإذا كان اليهودُ قد أعطو حقاً مرسوماً من الملك الفارسي ببناء الهيكل فإنه لم يعطهم أي موافقة على تجديد الأسوار أو بناء ما تهدم منها، ونص المحاورة واضح، ففي أثنائها يقول السكان غير اليهود لبناة الأسوار: أتتمردون على الملك؟، وهذا دليل واضح على أن بناء السور كان فيه مخالفة لأوامر الملك الذي اقتصر مرسومه على بناء معبد لليهود: (وعندما عرف سنبلّط الحوروني وطوبيا العبد العموني وجشم العربي بما ننوي عمله سخروا بنا واحتقرونا قائلين: أي أمر أنتم عازمون عليه أتتمردون على الملك، عندئذ أجبتهم: إله السماء يكلل عملنا بالنجاح ونحن عبيده نقوم ونبني، وأما انتم فلا نصيب لكم ولا حق ولا ذكر في أورشليم). نحميا 2\19- 20.

وفي رسالة من رسائل سنبلط الحوروني إلى نحميا في أثناء عمله في السور يؤكد ما عزم اليهود على عمله، وهو بناء السور أولاً، والتمرد على الملك الفارسي ثانياً، لأنه كما قلنا، هذه المدينة مغرية للتمرد، وهاكم نص الرسالة: (قد ذاع بين الأمم، وجشم يؤكد صحة الخبر أنك أنت واليهود عازمون على التمرد لهذا قمت ببناء السور لتعلن نفسك عليهم ملكا). نحميا 6\6.

إتمام بناء السور وسخرية العرب والعمونيين والأشدوديين من اليهود

تزعم التوراة أن اليهود شرعوا ببناء السور على قلب واحد، وقد قسم العمل على جميع اليهود وأسباطهم الذين في القدس، حيث عزي إلى كل واحد من الأسباط اليهودية بناء أجزاء من السور أو ترميمها، وفي أثناء هذه العملية يلتقي باليهود عربٌ وعمونيون وأشدوديون، ويسخرون منهم، فيقول طوبيا العموني ساخراً منهم: (إن ما يبنونه إذا صعد عليه ثعلب فإنه يهدم حجارة سورهم). نحميا 4\3.

http://kotob.has.it

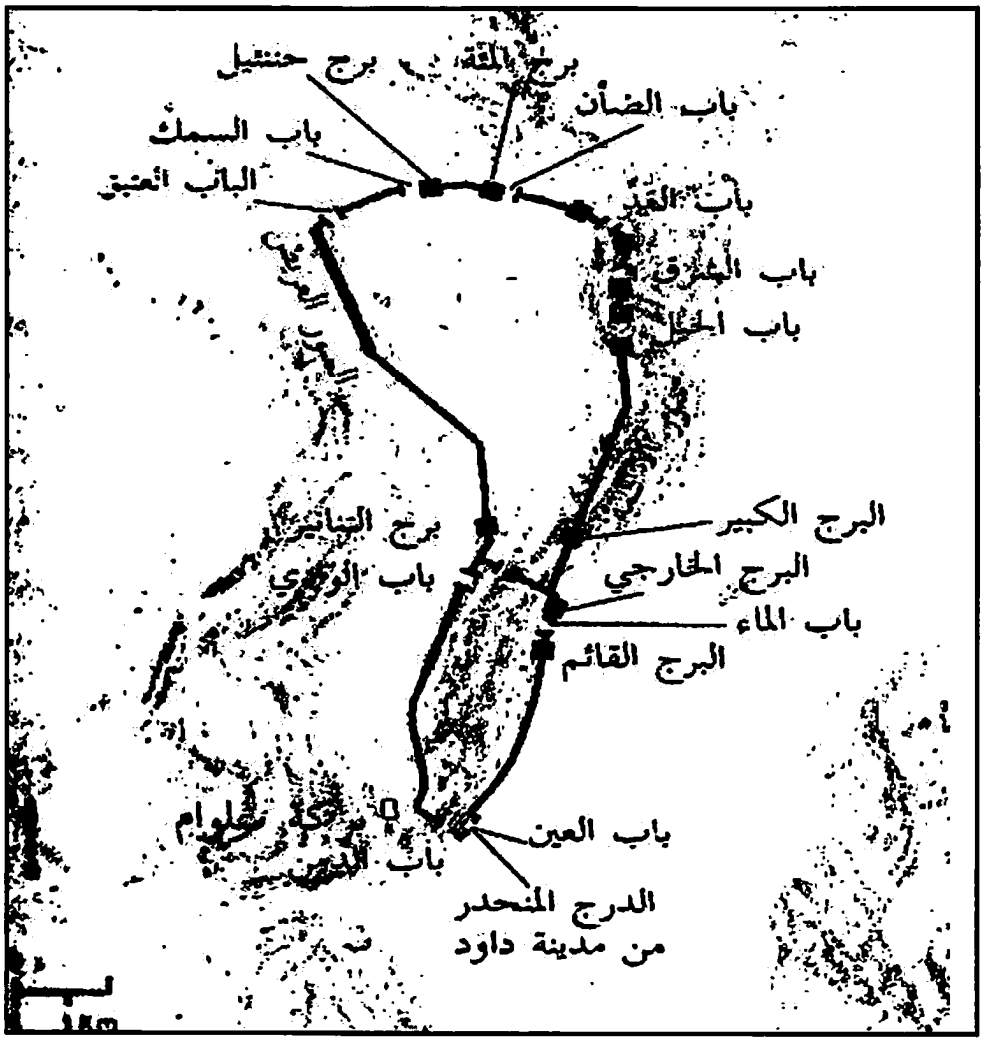

إعادة بناء أسوار المدينة في زمن نحميا بحسب التفسير التطبيقي للكتاب المقدس

إلا أن اليهود، ومع كل السخريات بحسب زعم التوراة، يصرون على بناء السور وترميمه، فيعقد العرب والعمونيون والأشدوديون العزم على مهاجمة أورشليم، يعلم اليهود بتلك المؤامرة، فينشرون نصف الشعب حراساً على الأسوار والنصف الآخر يبني الأسوار، وهكذا حتى جرى البناء على أكمل وجه بحسب زعم التوراة في الخامس والعشرين من أيلول بعد اثنين وخمسين يوماً من البناء. نحميا 5 - 6.

وذلك قبل بناء الهيكل المزعوم الذي أتى بالمرحلة الثانية بعد بناء الأسوار على عكس ما يذهب إليه عزرا في سفره.

http://kotob.has.it

تدشين سور أورشليم وتراتيل الحمد لبنائه

إن بناء السور بحسب النص التوراتي كان له من البهجة والسرور ما لا يفاجئ، ولأن اليهود تعلقت قلوبهم بالأسوار، وربطوا مجدهم وعارهم بها كان لابد لحدث إتمام بناء السور من إقامة أعراس وأفراح كبيرة، كيف لا وقد أزالوا أسباب الضنك والشقاء والعار، وتحدثنا التوراة عن تدشين السور، كأنه حدث أرخ لأمجاد بني إسرائيل المزعومة، وأعاد هيبتهم مع كل الصعاب.

إن حلقة تدشين سور القدس المزعومة هي آخر حلقات علاقة اليهود بالأسوار في التوراة، وعندها تقريباً تكتمل معالم هذه العلاقة الحميمة التي توارثوها جيلاً بعد جيل وملامحها، وحافظوا على العلاقة بها، لأنها كانت لديهم معياراً أساسياً للوصول إلى سدة المجد الذي لم يعرفوه يوماً، ولم يدركوا حتى اليوم أن المجد والفخر ليسا حجرين، عند أول هزة من الأرض تذروهما الرياح.

تقول التوراة في وصفها لحفل تدشين سور القدس: (وعند تدشين سور أورشليم استدعوا اللاويين من جميع مواطنهم إلى أورشليم لكي يدشنوا بفرح وبحمد وترنيم بالصنوج والرباب والعيدان، فاحتشد المرنمون قادمين من الضواحي المحيطة بأورشليم ومن ضياع النطوفاتي ومن بيت الجلجال ومن حقول جبع وعزموت لأن المرتلين بنوا لأنفسهم ضياعا حول أورشليم وتقدس الكهنة واللاويّون وطهروا الشعب والأبواب والسور، وأصعدت رؤساء يهوذا على السور، وأقمت أيضاً فرقتين من المرتلين بالحمد .....وذبحوا في ذلك اليوم قرابين كثيرة وفرحوا لأن الله ملأهم بغبطة عظيمة، وابتهج الأولاد والنساء أيضاً حتى ترددت أصداء فرح أورشليم عن بعد). نحميا 12\27 -43.

نعم لقد أدرك اليهود أن الأسوار هي غايتهم المرجوة، وهي شماعة الأمال التي شاع وجودها في نفوس بني إسرائيل منذ الخروج وحتى اليوم، فاستندوا إليها، ونسجوا حولها الأساطير والملاحم، وتنبؤوا لها، ورددوا بفرح هدمها وبنائها وأنشدوا لها أناشيد، وصفوا ربهم بها، ووصفوا الإنسان بها، رهنوا لها بقاءهم وزوالهم.

لقد جاء هذا الفصل الذي وصلنا إلى نهايته ليسلط الضوء على نبوءات أنبياء بني إسرائيل عن الأسوار، وعلاقة اليهود بها منذ ما قبل السبي وحتى الرجوع الأخير للمسبيين، وشاهدنا خلال صفحاته أن اليهود وأنبياءهم استطاعوا وبكل جدارة لا نظير لها أن يثبتوا

http://kotob.has.it

من سطور التوراة أن الحصون والأسوار محض عز وذل للأمم، فصور وبابل ودمشق وأدوم وأخيراً القدس كان لها أكثر القصص خيالية وأسطورية في كتاب التوراة، هذا الكتاب الذي يدين اليهود قبل غيرهم بدمويتهم وعنصريتهم، ويؤكد ذلهم وضعفهم واستكانتهم وخيانتهم وعارهم، كل ذلك كان من نتيجة البحث عن علاقة هؤلاء القوم بالأسوار التي ما زالوا يبنونها، وسيبقون يبنونها، حتى يأتي الوعد الحق بإزالتها هي وبُناتها.

وإذا كانت التوراة قد تنبأت، فالقرآن ما زال يتنبأ، وهو الذي أعطانا مفاتيح نفوس اليهود، حتى نتمكن من تجريد ثياب الخداع، وإثبات أن هؤلاء القوم يعيشون على بناء الأسوار، ويقتاتون شرفهم وعزهم منها، إلا أنهم لم يعرفوا شيئاً واحداً، وهو أن أحجار الأسوار تلك هي التي ستسممهم وستفنيهم وتدمرهم، أو تسبيهم إلى غير رجعة نحو سبي آخر تحتضنه مياه بحر أو نيران ثورة.

http://kotob.has.it

الفصل الثالث

اليهود في الجزيرة العربية
وقصة أخرى لعلاقة اليهود
بالحصون والأسوار

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

لمحة عن تاريخ اليهود في الجزيرة العربية

اختلف كثير من المؤرخين في أصل يهود الجزيرة العربية، وظهر كثير من النظريات في التاريخ القديم والمعاصر عن بدايات ظهورهم في تلك البقعة من الأرض، ولدى كثير من المؤرخين العرب والغربيين دلائل كثيرة، تارة تربطهم باليهود الذين تسربوا من فلسطين ومن بابل إبان السبي، وتارة تقول إنهم من أصل المنطقة، وما زالت هذه المسألة مثار جدل كبير حتى يومنا هذا.

نظريات الوجود اليهودي في الجزيرة العربية

أولاً- يهود الجزيرة العربية غرباء عنها

بعض المصادر العربية ككتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون يرى أن اليهود سكنوا الجزيرة العربية بعد موت موسى عليه السلام، فبنو قريظة وبنو النضير هما الكاهنان من ولد كوهن بن هارون عليه السلام، كانوا بنواحي يثرب بعد موت موسى عليه السلام، كما يجمع على ذلك كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني.

ويقول عدد من المؤرخين إن اليهودية دخلت إلى الجزيرة العربية نتيجة لهجرة يهودية من فلسطين إلى الجزيرة العربية في الفترة التي بين خراب الهيكل المزعوم في عام 70 للميلاد وإخراج هدريان لليهود من فلسطين في عام 132 م.

وهناك رأي آخر يذهب إلى أن اليهود هاجروا إلى الجزيرة العربية منذ عهد النبي موسى عليه السلام حين أرسل جيشاً إلى الحجاز لمقاتلة العماليق، فاستقر ذلك الجيش في يثرب بعد فتكه بالعماليق[1].

وهناك رأي ثالث يرد وجود اليهود إلى زمن داوود، حين هاجر مع سبط يهوذا إلى خيبر، وتملك هناك ثم عاد إلى فلسطين.

وهناك رأي أخير يقول إن الجزيرة العربية هي الموطن الأصلي لليهود، وهذا ما يزعمه المستر برنز مؤلف كتاب المدينة الغربية وعدد من الكتاب اليهود، فيقول المستر

1- ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، د أحمد سوسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، ص210 .

http://kotob.has.it

برنز: (إن أكثر الباحثين يتفقون على أن الجزيرة العربية هي موطن اليهود الأصلي [1])، بينما يقول الكاتب اليهودي ولفنسون في كتابه «تاريخ اللغات السامية» ص5: (إن الهجرة الإسرائيلية صدرت من الجزيرة العربية، وفتحت بلاد فلسطين، وكان هذا الفتح سببا لتقلبات اجتماعية ودينية كثيرة كبيرة الأثر في التاريخ العام [2]) .

إضافة إلى ذلك يعود بعض المؤرخين إلى أقوال التوراة والتلمود في أن هناك صلة قربى بين اليهود والعرب، أساسها إبراهيم عليه السلام، وإثبات وشائج القربى هذه بين العرب ذوي الأنساب المعروفة واليهود ذوي الأنساب المشكوك كثيراً بصحتها يترك مجالاً لليهود، ليقولوا عن أنفسهم إنهم ذوو نسب وبحسب وأصل واضح، ولترغيب عرب الجزيرة العربية كما يظن الدكتور جواد علي بالديانة اليهودية.

وهناك مراجع عربية تقول: إن اليهود انتشروا في بقاع الأرض، ومن ضمنها بلاد العرب في اليمن والحجاز بعد أن شردهم الرومان وطردوهم من فلسطين [3].

إن هذه النظريات على نحو عام لا تستند إلى أساس علمي واضح ومقنع في آن واحد، وكما سنلاحظ لاحقاً أن حجج من يقولون إن يهود الجزيرة العربية عربٌ متهودون ولا علاقة لهم أصلاً بيهود فلسطين ولا بيهود مصر هي حجج علمية مقنعة، تستند إلى اللغة والتاريخ والعادات والتقاليد والعرف الديني الذي يختلف فيه يهود الجزيرة العربية مع غيرهم من اليهود الذين كانوا ينتشرون هنا وهناك.

يهود الجزيرة العربية عرب متهودون

1- يرى عدد من المستشرقين ووفقاً لدراسة مقارنة بين أسماء يهود الجزيرة العربية ويهود فلسطين القادمين من مصر، والذين انتشروا في كثير من البلدان إبان السبي البابلي، أن يهود الجزيرة العربية عربٌ متهودون، تهودوا بتأثير الدعاة اليهود [4]، حيث يرى المستشرق نولدكه أنه ليس بين أسماء البطون اليهودية الأحد عشر التي كانت في الحجاز في أيام ظهور الإسلام اسم يظهر عليه الملامح اليهودية غير اسم واحد هو

---

1 - E.M.Burns op cit. p. 98

2- نقلاً عن كتاب ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، د أحمد سوسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، ص 210.

3- مصطفى الخالدي، عمر فروخ، التبشير والاستعمار، ط 5، ص 76.

4- ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، د أحمد سوسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 2، ص 216.

http://kotob.has.it

زعورا[1]، بينما يرى أوليري احتمال كون بني قينقاع من أصل عربي متهود، أو من بني أدوم[2] نسل عيسو بن إسحاق.

2- ويرى عدد من المؤرخين العرب كاليعقوبي أن لا وجود لطوائف يهودية أصلية، أي يهود هاجروا من فلسطين في الجزيرة العربية قبل عصر الإسلام، ويؤكد أن القبائل اليهودية هناك كانت من أصل عربي، إذ يقول عن بني النضير إنهم فخذ من جذام، إلا أنهم تهودوا، ونزلوا بجبل يقال له النضير، فسموا به، ويقول عن بني قريظة إنهم أيضاً فخذ من جذام، وهم إخوة ليهود النضير ويرى أن تهودهم كان في أيام عادياء بن السموأل، ثم نزلوا بجبل يقال له بني قريظة فسموا به [3]، كما يذكر اليعقوبي أن بني الحارث بن كعب وقوماً من غسان وقوماً من جذام قد تهودوا[4]، وقد ورد عن المستطرف قوله إن الدين اليهودي انتشر في قبائل من العرب في نمير وبني كنانة وبني الحارث بن كعب وكندة[5].

3- يثبت بعض الباحثين أن يهود الجزيرة العربية كانوا عرباً أقحاحاً ولم يكونوا من خارج الجزيرة، وذلك في دراسة لعاداتهم وتقاليدهم التي لم تكن تختلف في شيء عن باقي العرب، خاصة تلك التي تتعلق بتزويج عربيات من غرباء وبالعكس، فالعصبية القبلية كانت على الدوام تحول بين زواج الغرباء، فاليهود العرب يتزوجون من عربيات مثلهم، والعكس صحيح.

4- ويذهب بعض المؤرخين اليهود إلى أن يهود الجزيرة العربية كانوا في معزل وانفصال تام عن بقية أبناء دينهم خارج الجزيرة.ويؤيد ذلك الأمر قلة ذكر يهود جزيرة العرب في المصادر اليهودية، وذلك دليلاً على انعدام الصلة بينهم وبين اليهود خارج الجزيرة.

5- لم يلتزم يهود الجزيرة بتعاليم التلمود، لأن بعضهم أخذ باليهودية قبل أن يستكمل التلمود، وقد وجد هؤلاء اليهود بعد طردهم من الجزيرة العربية في حركة القرّائين التي تناهض التلمود متنفساً لهم، يعبر عن رفضهم للتلمود، وأخذ الدين اليهودي

1- د.حواد علي تاريخ العرب قبل الإسلام، 6: 21، نقلا عن ماركوليوت ونلليز.

2 -P.173ff.oleary ،Arabia befor Muhammad. London.1997.

3- د أحمد سوسة، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، عن تاريخ اليعقوبي، طبعة النجف، ج1، ص40- 42.

4- ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق عن تاريخ اليعقوبي، ص 227 .

5- المستطرف للأبشيهي، ج 2، ص 114.

http://kotob.has.it

كما عرفوه منذ البداية من دون شروح وتعاليم تضاف إليه، وهذا أيضاً يؤيد أن يهود الجزيرة العربية لم يكونوا يهوداً هاجروا أو قدموا إلى الأرض العربية في الحجاز واليمن.

ويتضح مما سقناه في حجج كلا الطرفين أن اليهود الذين كانوا في الجزيرة العربية متهودون، وهم من أصل المنطقة، وما ربط بعض اليهود على نحو عام بالجزيرة العربية إلا محاولة مشبوهة للقول إن اليهود أقرباء العرب، وأولاد عمومتهم، والحقيقة غير ذلك تماماً كما وضحنا في السطور القليلة الآنفة الذكر.

الديانة اليهودية صبغت الأقوام بطابعها

ويطرح سؤال بالغ الأهمية في مجرى حديثنا، وهو لماذا لم يختلف كثير من متهودي الجزيرة العربية عن يهود فلسطين الذين خرجوا من مصر واحتلوا فلسطين في كثير من المفاهيم وفي جميع المستويات؟، فما عرف عن يهود فلسطين من مظاهر سلبية وجدت أيضاً عند العرب المتهودة كالغدر والخيانة والربا والنفاق وغير ذلك من كل مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

وقد كان اليهود في الجزيرة العربية طرفاً في كثير من الصراعات، وأشهرها تلك التي كانت بين قبيلتي الأوس والخزرج، حيث كان يهود بني قينقاع يدعمون الأوس، ويهود بني قريظة وبني النضير يدعمون قبيلة الخزرج، وكان هذا الدعم مادياً وعسكرياً، وقد أدار اليهود هذا الصراع حتى يتمكنوا من إضعاف القبائل العربية غير اليهودية، وتتسنى السيطرة لليهود على معظم المناطق الشمالية من الحجاز، أضف إلى ذلك كان للمتهودة العرب دور هام في الحياة الاقتصادية في الجزيرة العربية، حتى إن المصادر التاريخية تذكر أن أبا سفيان كان يقترض منهم، وقد شكل اليهود في مرحلة ما قبل الدعوة قوة اقتصادية هائلة، فسيطروا على سوق الذهب والتمور والأخشاب، أما في الحياة السياسية فقد قام اليهود بدور هام فيها، فكان التجمع اليهودي في شمال الجزيرة العربية، أي في المدينة المنورة يثرب وضواحيها يشكل قوة سياسية، نافست في كثير من الأحيان القوة السياسية في الجنوب والتي كانت قريش تمثلها.

يخطئ كثير من الباحثين بقوله، إن المتهودة العرب لم يختلفوا عن العرب من سكان الجزيرة في مجموعة العادات والتقاليد، وهذا الكلام مردود على أصحابه، لأن متهودة العرب كانوا قد صبغوا بالديانة اليهودية المحرفة، وكانوا دائماً يديرون صراعات،

http://kotob.has.it

ويؤججونها هنا وهناك، ويحقدون على غير المتهودين حقداً لم نره في كثير من الأحيان في أقوام وديانات أخرى، إضافة إلى إدارتهم للمؤسسات الربوية في الحجاز، ويدل على ذلك في ذلك العصر ما قاله أحد أحبار اليهود الذين أعلنوا إسلامهم، وهو الحصين بن سلام. حين بدأ يحدث الرسول الكريم محمد ﷺ عن اليهود بقوله: حين كذبه قومه بعد أن كان الصادق عندهم: (ألم أخبرك يا رسول الله أنهم قوم بهت أهل غدر وكذب وفجور)[1].

اليهود والبعثة الإسلامية، محاربة التوحيد والتحالف مع الأوثان

مع أن الديانة الإسلامية ديانة توحيدية كالديانة اليهودية إلا أن كثيراً من متهودة العرب تحالفوا مع المشركين وعبدة الأوثان ضد أصحاب الدين الإسلامي، وقد لاحظنا في الفصل الأول أن حروب اليهود كانت تحت شعار القضاء على الوثنية، إلا أن متهودة العرب إبان البعثة الإسلامية تحالفوا مع عبدة الأوثان ضد التوحيد، وحاولوا مراراً وتكراراً الغدر بالنبي محمد ﷺ وأصحابه.

كانت المؤسسة الدينية اليهودية بقيادة الأحبار والكهنة في الحجاز تتداول الحديث عن قرب بعث نبي عربي لله يدعو للتوحيد، وقد استغلت المؤسسة الدينية هذه التكهنات أو النبوءات في إضعاف روح العروبة وتفتيت ما يمكن تفتيته من وحدة بين المجتمعات العربية، حتى لا يكتب لدعوة هذا النبي النجاح، وقد كان اليهود يقولون للعرب إذا إصابهم من العرب مكروه إنه اقترب زمان نبي يبعث الآن، نقتلكم معه قتل عاد وإرم [2]، وهذه الأقوال كانت تدفع العرب إلى الخوف من هذا النبي والبدء بتجهيز مقاومته والدفاع عن أنفسهم أمام هذا التصور الذي خلّقه اليهود في عقول العرب.

بعد هجرة النبي محمد ﷺ إلى المدينة المنورة يثرب آمن به جماعة من اليهود فيها، منهم عبد الله بن سلام ومخيريق، وقد أخذ التيار اليهودي الذي أعلن إسلامه يتعاظم، وأخذ معه أيضاً التيار المعادي لمحمد ﷺ وأتباعه يكبر ويزداد شراسة، وقد تجلى ذلك بادئ الأمر بإنشاء تنظيم يهودي من بني النضير، يختص بملاحقة النبي وأصحابه، ثم التشهير به وإثارة الفتن، وقد تمثل ذلك في أساليب عدد من عتاة اليهود أمثال حيي بن أحطب، وسلام بن مشكم، وكنانة بن الربيع، وكعب بن الأشرف وغيرهم كثيرين[3].

1- السيرة النبوية لابن هشام، دار ابن كثير، ج 1- 2، ص 517.

2- سيرة ابن هشام بإسناد حسن، ج 1، ص231 .

3- المرجع السابق، ص 18.

http://kotob.has.it

بعد معركة بدر برز الدين الإسلامي قوة لا يستهان بها، خصوصاً في عاصمة الإسلام ذلك الوقت يثرب، وإثر هذه المعركة كشر يهود المدينة وحولها عن أنيابهم، وشعروا أول مرة أنهم مهددون، ومصالحهم على شفى حفرة، فأعلن الرفض اليهودي للإسلام، وجاء في البداية من يهود بني النضير ويهود ثعلبة، ثم قينقاع وبني قريظة وبني زريق، وشرعوا بتجنيد أموالهم لمقاتلة المسلمين، وعقدوا أحلافاً ومعاهدات مع بعض القبائل غير اليهودية، حتى تقوى شكيمتهم أكثر من قبل، خصوصاً أن الأمور بدأت تفلت من أيديهم بعد ترك عدد من الأحبار الديانة اليهودية وإعلانهم اتّباع محمد ﷺ وصحبه.

بقيت الأمور على ذلك المنوال في عداء اليهود للمسلمين والتشهير بهم والتضييق عليهم والغدر بهم، حتى آن أوان الصدام بين المسلمين واليهود الذين هزموا في كل مواطنهم ومدنهم وحصونهم، وأخذوا يتوزعون حول الحجاز وفي بعض ضواحي المدن الحجازية، حتى طردوا من جزيرة العرب على يد الصحابي الجليل عمر بن الخطاب ﷺ، ومنذ ذلك الحين أعلنت الجزيرة العربية منطقة خالية من الوجود اليهودي.

الحصون اليهودية في الجزيرة العربية، لماذا بنيت؟، ومتى؟

انتشرت على الرقعة الحجازية قبائل وتجمعات بشرية كثيرة، كان من ضمنها التجمعات اليهودية التي كانت قريبة من المدن الرئيسة أو فيها، وقد عرفت هذه التجمعات اليهودية، كما أجمعت كتب التاريخ، بشدة تحصيناتها وكثرتها، أضف إلى ذلك أجمعت المصادر التاريخية أيضاً على أن اليهود انفردوا من دون غيرهم ببناء القرى المحصنة، ونجد أن هناك عدداً من المدن ذات الأهمية السياسية والاقتصادية كمكة مثلاً لا حصراً، والتي كانت أهم مركز في الجزيرة العربية لم تكن مدينة محصنة والمدينة المنورة يثرب أيضاً، إضافة إلى ذلك لم تعرف التجمعات البشرية في الحجاز والقبائل المنتشرة فيها أي نماذج للتحصينات، مع أن عدداً من تلك القبائل كانت على مستوى من الرقي الاقتصادي والسياسي مجتمعين، ما يجعلها تخشى على وجودها.

وكلنا على دراية أن ظاهرة الغزو بين القبائل كانت منتشرة قبل الدعوة الإسلامية في الجزيرة العربية، ما يستوجب القيام ببناء حصون أو أبراج، تحمي حياض القبيلة، وتذود عنها من أي طارئ، إلا أن القبائل، إلا ما ندر منها كمدينة الطائف، لم تقم ببناء أي من ذلك، فلماذا انفرد اليهود ببناء الحصون الضخمة المنيعة والبيوت المحصنة والصياصي

http://kotob.has.it

والجدر؟ مع أن المصادر تفيد أن القبائل اليهودية كانت على علاقات وطيدة بمختلف القبائل بسبب سيطرتهم على أسواق المال والمؤسسات الربوية، فلم يتعرض اليهود لأي غزو من أي طرف.

وللإجابة عن هذا السؤال يجب علينا أولاً أن نعرف الفترة التي بنيت فيها تلك الحصون، لأن التحديد الزمني لتاريخ البناء بالغ الأهمية، لأنه يشرح الأوضاع التي كانت سائدة إبان عمليات البناء، وهناك رأيان في تاريخ بناء حصون يهود الجزيرة العربية، وكل منهما لا يوضح سبب بناء هذه الحصون:

الأول- الرأي الأول يذهب إليه من يروا أن يهود الجزيرة العربية هم من فلول يهود فلسطين الذين هربوا منها بعد تصميم القائد الروماني هادريان على اجتثاثهم من فلسطين، وبدأ هذا التصميم بتدمير معابدهم وحصونهم وحرق كتبهم، ثم طردهم منها في عام 135م، حيث بدأت طلائع من فلول اليهود تتوجه إلى أرض الحجاز، وتحديداً في مدينة يثرب وما يليها من الشمال، فأخذوا يوزعون تجمعاتهم، واتخذوا في هذه التجمعات الحصون والمستعمرات والبساتين وأسواق التجارة وغير ذلك[1]، وإذا صح هذا الكلام فهناك عدة أسباب لبناء اليهود الحصون منها:

1- خوف اليهود من التعرض لغزو جديد وخروج جديد بعد أن واجهوا مجموعة من الحروب أثرت في نفسيتهم، وجعلتهم يخشون أقرب الناس ولا يثقون فيهم، وكل ذلك كان بسبب ما كانوا يثيرونه من فتن وما يقومون به من غدر وخيانة.

2- تمكين المقيمين اليهود الجدد من وجودهم على هذه الأرض الجديدة التي حلوا فيها هرباً من هدريان، وهذه الحصون هي التي ستزيد تشبثهم في أماكنهم بسبب تصورهم أنها صمام الأمان، وهذا يوصلنا إلى السبب الثالث لبناء اليهود للحصون.

3- تعلق اليهود بالحصون بسبب الإرث التوراتي الذي كان يصور الحصون والأسوار كأنها الرهان الوحيد في البقاء والزوال، وأنها جالبة العار أو الفخار في آن واحد.

أما الرأي الثاني فأصحابه يرون أن يهود الجزيرة عربٌ تهودوا بفعل مبشرين يهود، قدموا من مختلف الأقاصي، وقد انتشر هذا التبشير إبان انتشار المسيحية، حيث أخذ

1- التاريخ اليهودي العام، دار الجيل، بيروت، ط 3، 1991م، صابر طعمة، ج2، ص 16.

http://kotob.has.it

المبشرون اليهود والمسيحيون يتنافسون في تهويد أو تنصير القبائل العربية [1]، فتنصر كثير من القبائل، وتهود عدد منها بفعل الأحبار اليهود، وقد حدث ذلك قبل البعثة الإسلامية قرنين من الزمن، ويذكر عدد من المصادر من دون تحديد تاريخ دقيق عن بناء الحصون اليهودية في أرض الحجاز أن اليهود زادوا في تحصيناتهم بعد بعثة النبي ﷺ في إشارة إلى أن هذه الحصون بنيت قبل البعثة النبوية، وبناء عليه نقول: إن بناء حصون المتهودة العرب جاء لعدة أسباب أهمها :

1- العمل على ما جاء به الإرث التوراتي من حض على بناء الحصون والأسوار والاتكال عليها في كل مظاهر سير الحياة العسكرية والسياسية والاجتماعية.

2- إذا صح ما قيل عن معرفة الكهانة الدينية اليهودية بقرب بعث نبي عربي في أرض الحجاز فإن اليهود قد عملوا على زيادة التحصينات حيطة وحذرا من هذا النبي ودعوته ومتبعيه، فبنوا الحصون والأسوار والصياصي.

3- أوضاع الجزيرة العربية قبل البعثة النبوية وما كان يدور على أرضها من أحداث كالصراعات القبلية وكثرة أعمال النهب والسلب، وهذا السبب باطل لما ذكرنا آنفاً من إن اليهود تميزوا بعلاقات جيدة بالقبائل العربية، إلا أن عدم وثوق اليهود الدائم بغيرهم بسبب أعمالهم المشينة كان يدفعهم للانزواء والتقوقع داخل الحصون والأسوار.

الحصون والأسوار

القرآن الكريم، وحصون بني إسرائيل

ذكرت الحصون بمعناها الصريح مرة واحدة، وذكرت القرى المحصنة مرة واحدة، وذكرت الجدر أيضاً مرة واحدة، وجميع هذه المعاني أتت في سورة الحشر، وقد وردت كلمة الصياصي - الحصون - في سورة الأحزاب، وجميع هذه الكلمات أتت في أهل الكتاب (اليهود) الذين كفروا والذين نافقوا، أما باقي الكلمات التي استخدم فيها جذر حصن أو التحصين فجاءت جميعها في النساء المحصنات، ولا نرى في القرآن الكريم استخداما لكلمة الحصن أو التحصين أو المحصنة أو الحصون إلا فيما ذكرنا آنفاً.

1- ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، د. أحمد سوسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، ص225.

http://kotob.has.it

حصون اليهود في الجزيرة العربية

حصون بني النضير

وقد ورد ذكرها في سورة الحشر بقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ (الحشر، الآية1).

وقد سمى بعض المسلمين سورة الحشر بسورة بني النضير، لأنها نزلت في حقهم، تخبر المسلمين من قبل ومن بعد ما حدث في تلك الغزوة.

وقد ورد ذكر هذه الحصون في خضم كلام المنافق عبد الله بن أبي سلول لبني النضير، حين قال: (اثبتوا وتمنعوا فإنا لن نسلمكم، وإن قوتلتم قاتلنا معكم وإن أخرجتم خرجنا معكم، ولا تخرجوا فإن معي من العرب ومن انضوى إلى قومي ألفين، فأقيموا، فهم يدخلون معكم حصونكم، ويموتون عن آخرهم قبل أن يصلوا إليكم [1].

حصون بني قريظة

وهي الصياصي، وردت في القرآن الكريم في سورة الأحزاب بقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾ (الأحزاب، الآية 26).

وقد أخرج المنذر عن ابن عباس ﷺ: (من صياصيهم) حصونهم[2]، وجاء في القاموس المحيط أن الصياصي ومفردها صيصة هي الحصن، وكل ما امتنع به [3]، وقد أجمع المفسرون على أن المقصودين في تلك الآية هم بنو قريظة.

حصون خيبر

وهي من أعظم تجمعات اليهود في الجزيرة العربية وأكثرها حصانة، وهي بين المدينة المنورة يثرب ومنطقة تيماء الملاصقة لأقصى حدود الشمال، وكان في خيبر سبعة

1- تاريخ الطبري، ج2، ص553.

2- الدر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي، الجزء الخامس، ص 368 .

3- قاموس المحيط للفيروز أبادي، دار الجيل، ج 2، ص 319 .

http://kotob.has.it

حصون عظيمة ومنيعة، وأسماؤها هي: حصن ناعم، حصن الصعب المسمى حصن النطاط، وحصن قلعة زبير، وهذه الحصون في منطقة النطاة، وحصن أبي النزار، وهو في منطقة الشق، وحصن القموص في منطقة الكتيبة، وحصن الوطيح، وحصن السلالم في منطقتي الوطيح والسلالم، وقد عدّت خيبر آخر معاقل اليهود الكبيرة والحصينة في الجزيرة العربية، حيث أخرجهم الرسول الكريم ﷺ منها في السنة السابعة للهجرة بحسب قول ابن إسحاق أو السنة السادسة للهجرة بحسب الإمامين الزهري ومالك.

الحرب على اليهود وحصونهم

غزوة بني النضير أو إجلاؤهم

﴿ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾

يذهب الرسول الكريم ﷺ إلى بني النضير، يستعينهم بدية رجلين قتلا من بني عامر، وكان يهود بني النضير قد وافقوا رسول الله ﷺ على أن يعينوه، إلا أنهم اتفقوا فيما بينهم على قتله وهو بديارهم، وكان الرسول الكريم ﷺ جالساً بجوار أحد جدران منازل بني النضير فطلع رجل إلى أعلى البيت وأراد أن يرمي صخرة، ليقتل بها الرسول الكريم، وكان اسم ذلك الرجل عمرو بن جحاش بن كعب.

يأتي الرسول الكريم خبر من الوحي بأن يغادر بني النضير من فوره، فقام الرسول ﷺ، وعاد إلى المدينة، فيخبر أصحابه بما أضمر له اليهود من قتل وغدر، وأمرهم بأن يجهزوا أنفسهم لمحاربة بني النضير، فأرسل الرسول الكريم الصحابي محمد بن مسلمة إليهم ينذرهم برسالة من الرسول الكريم هذا نصها: (إن رسول الله أرسلني إليكم أن أخرجوا من بلادي، لقد نقضتم العهد الذي جعلت لكم مما هممتم به من الغدر، وقد أجلتكم عشراً، فمن رئي بعد منكم فقد ضربت عنقه).[1]

إلا أن بني النضير لم يأخذوا كلام رسول الله، ولم يعملوا به، فيقول ابن إسحاق (ثم سار الرسول ﷺ بالناس، حتى نزل بهم...، فتحصنوا منه في الحصون، فأمر الرسول الكريم ﷺ بقطع النخيل والتحريق فيها). السيرة النبوية لابن هشام ج 3 - 4 ص191.

1- تاريخ الطبري، ج2، ص 552.

http://kotob.has.it

وكان عبد الله بن أبي سلول وبعض المنافقين قد أخذ يحرض بني النضير بعدم الاستسلام للجيش المسلم، وكان يقول لهم: أن تمنعوا واثبتوا، إن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم أخرجنا معكم.

مع أن بني النضير كانوا قد تحصنوا في حصونهم، وكمنوا بها، إلا أن الله تعالى قذف في قلوبهم الرعب، فتركوا تلك الحصون التي ظنوا أنها مانعتهم من الله ورسوله، وخرجوا من حصونهم آمنين، كما جرى الاتفاق مع الرسول الكريم ﷺ، وكان يقضي هذا الاتفاق بخروج بني النضير من حصونهم وديارهم آمنين على أنفسهم، وعلى كل ما يخرجونه معهم، فأخذوا يخربون بيوتهم بأيديهم، فينزعون الخشب من دورهم، ويحملونه على دوابهم، ويدمرون الجدران، حتى لا يستفيد منها المسلمون، وقد جرى إجلاء بني النضير عن آخرهم، وتقول المصادر إن معظم الذين أجلوا من بني النضير ذهبوا إلى خيبر وأذرعات الشام، درعا حالياً[1].

غزوة بني قريظة وصياصيهم

﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾ (الأحزاب، الآية26).

سبب هذه الغزوة غدر اليهود ونقضهم للعهود كما في العادة، فيهود بني قريظة الذين كانوا في الجنوب الشرقي من المدينة المنورة يثرب خانوا عهداً مع رسول الله إبان غزوة الأحزاب، وكان المسلمون بهذا العهد يظنون أن ظهرهم قد أصبح محمياً بسبب اتفاقيتهم مع يهود بني قريظة، فبعد أن أعلن الأحزاب حربهم على الرسول ﷺ انضم يهود بني قريظة لهم، فقاموا بدعم الأحزاب دعماً لوجستياً، وأمدوهم بعشرين بعيراً كانت محملة تمراً وشعيراً وتيناً لتقويهم على البقاء، إلا أن المسلمين قد غنموا هذه الجمال [2].

تنتهي غزوة الأحزاب، الخندق بنصر من الله، وينسحب الأحزاب، فيعود الرسول ﷺ إلى المدينة، وما إن يضع السلاح حتى يأتيه جبريل قائلاً له: (قد وضعت السلاح، والله ما

1- السيرة الحلبية، ج 2، ص 565.

2- السير النبوية للدكتورعلي الصلابي عن السيرة الحلبية، ج 2، ص 338.

http://kotob.has.it

وضعناه، أي الملائكة، فاخرج إليهم، قال: فإلى أين وأشار إلى بني قريظة، فخرج النبي ﷺ إليهم).[1]

يتقدم جبريل عليه السلام المسلمين، ويذهب إلى حصون بني قريظة ليزلزلها، وذلك فيما يروى عن رسول الله ﷺ، حين يسأل أصحابه الذين بالصورين قبل الوصول إلى قريظة: هل مر بكم أحد؟، فقالوا نعم يا رسول الله، قد مر دحية بن خليفة الكلبي على بغلة بيضاء عليها رحالة، عليها قطيفة ديباج، فقال رسول الله ﷺ: ذلك جبريل بعث إلى بني قريظة، يزلزل بهم حصونهم، ويقذف الرعب في قلوبهم [2].

يضرب المسلمون الحصار على بني قريظة خمساً وعشرين ليلة وهم لا يزالون في صياصيهم، فاشتد عليهم الحصار، وعظم البلاء عليهم، فأرادوا الاستسلام والنزول على أن يحكّم الرسول ﷺ فيهم معاذ بن جبل، فحكم معاذ بأن يقتل كل من قاتل وحمل السلاح، وأن تسبى الذراري، وتقسم أموالهم على المسلمين، فنزل اليهود على حكم معاذ، وقد خلت المدينة تماماً بعد جلاء بني قريظة عنهم من الوجود اليهودي.

نزلت آية بحق بني قريظة وإخراجهم من حصونهم، الصياصي مع أنها كانت منيعة، إلا أن الله تعالى يقذف في قلوبهم الرعب، فيخرجون منها باتفاق يقضي بجلائهم.

حصون خيبر المنيعة تتقهقر أمام المسلمين

تعدّ خيبر آخر معاقل اليهود في الديار الحجازية، وفيها اجتمع اليهود المجليون من بني النضير وبني قريظة، وكانت خيبر تتميز بحصون منيعة وكبيرة وكثيرة الحراسة، أضف إلى ذلك أنه بعد انتصارات المسلمين وهزيمة اليهود في أكثر من موقع حشد اليهود لحصونهم الكثير، وزادوا عليها، وشددوا الحراسة فيها، وزادوا مؤنهم وعتادهم، وجمعوا لفيفاً من قبائل اليهود التي في الجزيرة العربية، وأخذوا يجهّزون أنفسهم للانقضاض على المسلمين، وقد عرف المسلمون بأمر اليهود ذلك بعد عودتهم إلى المدينة بعد صلح الحديبية الذي أمن المسلمون فيه من غدر قريش.

1- صحيح البخاري، كتاب المغازي باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم، رقم الحديث 3612.

2- تاريخ الطبري، ج 2، ص416 .

http://kotob.has.it

يقرر النبي ﷺ الخروج إلى خيبر على رأس جيش كبير، قوامه بحسب عدد من المؤرخين ألف وستمئة مقاتل، بينهم مئتا فارس، يصل النبي ﷺ وجيشه إلى خيبر ليلاً، فيطلب النبي الكريم من صحبه أن يناموا ويرتاحوا، ويعدوا أنفسهم لصباح المعركة، عند ذلك لم يكن يعرف أهل خيبر أن المسلمين على مشارف حصونهم لظنهم أن النبي لن يقوم بهجوم على مدينتهم الحصينة، فهو عاد من مكة تواً.

في الصباح يخرج فلاحو خيبر إلى بساتينهم، فيرى الرسول بأيديهم المساحي[1] والمكاتل،[2] فلما رأوا جيش المسلمين قالوا، محمد والله، محمد والخميس،[3] فلما رآهم الرسول الكريم وهم على تلك الشاكلة قال: الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين[4].

بدأ اليهود بالهرب إلى حصونهم وحاصرهم المسلمون، وكان أول ما سقط من حصونهم حصنا ناعم والصعب فحصن قلعة الزبير، ثم حصن أبي النزار، ثم حصن القموص المنيع، وبعد ذلك حصنا الوطيح والسلالم، وقد واجه المسلمون صعوبة كبيرة في فتح بعض الحصون، ومنها حصن القموص وحصن الوطيح والسلالم، حيث حاصرهم المسلمون في هذه الحصون الثلاثة أربعة عشر يوماً وحصن ناعم الذي استغرق فتحه عشرة أيام، وحصن الصعب الذي استغرق فتحه ثلاثة أيام، قتل من اليهود في معارك خيبر ثلاثة وتسعون رجلاً، وسبيت النساء والذراري، أما من المسلمين فقد قتل فيما يروى عن ابن إسحاق عشرون رجلاً وخمسة عشر كما يذكر الواقدي.

سارع اليهود بعد تساقط حصونهم إلى عقد الصلح مع المسلمين، ووافق رسول الله ﷺ عليه، وأبقى الفلاحين على الأراضي الزراعية المليئة بالنخل، على أن يكون لليهود نصفها وللمسلمين النصف الآخر، على أن للمسلمين الحق بإخراجهم منها متى أرادوا[5]، وقد أخرج اليهود في زمن عمر بن الخطاب ﷺ من الجزيرة العربية نهائياً بعد أن أعادوا الكرة في غدرهم وإثارة الفتن.

1- جمع ومفرده مسحاة والمسحاة المجرفة من الحديد.

2- جمع مكتل، وهو المقطف الكبير.

3- أي الجيش.

4- صحيح البخاري كتاب المغازي، ح 3669، ص 375.

5- السيرة النبوية لابن شهبة، ج 2، ص 419 .

http://kotob.has.it

القرآن والتوراة وحصون اليهود

الاتكال على الحصون

يتطابق ما جاء في القرآن والتوراة في اتكال اليهود على الحصون والوثوق بها إلى الظن أنها ستمنعهم حتى من الله، فكما خبر رب بني إسرائيل أن حصونهم التي يثقون بها ويتكلون عليها ستتهدم وتنقض: (وتحاصركم في جميع مدنكم حتى تتهدم أسواركم الشامخة الحصينة التي وثقتم بمناعتها في كل مدنكم، فتحاصركم في جميع مدنكم، في كل أرضكم). التثنية 28\52.

يخبرنا القرآن الكريم بأن اليهود يتكلون على حصونهم ويثقون بها، فحصون بني النضير التي ظن اليهود أنها ستمنعهم حتى من الله لم تنفعهم شيئاً، ولم تقيهم من الله جل وعلا ولا من المسلمين: ﴿ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾، والنص القرآني جاء ليؤكد ما ذهب إليه النص التوراتي أن اليهود أولعوا بالحصون، وظنوا بها الظنون ووثقوا بها.

وقذف في قلوبهم الرعب

إن السلاح الذي واجه الله به اليهود في غزوة بني النضير وغزوة بني قريظة كان الرعب في قلوبهم، وقد عبر أحدهم عن هذا السلاح بأنه جند من جنود الله، وهذا السلاح استخدم داخل الحصون وقبل وصول جيش المسلمين، فجعل اليهود يخافون ويرتعبون قبل المواجهة الحقيقية، وهذا هو السبب الرئيس في نصر المسلمين عليهم، إن كان في بني النضير أو بني قريظة، والقرآن حين يقول: ﴿ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ﴾، ويقول أيضاً: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾، يجمع عدد من المفسرين في قولهم عن حديث الرعب في القرآن على أن الرعب هو الذي أتى اليهود سلاحاً من عند الله بعد أن كان اليهود قد تثبتوا وتشجعوا بالحصون التي يمتلكونها، والرعب إن أصاب قوماً شجعاناً أخار قواهم عن آخرها وهكذا حدث مع يهود بني النضير وبني قريظة، ويقول الرسول ﷺ في صحيح البخاري ومسلم: (نصرت بالرعب من مسيرة شهر).

ويتطابق أيضاً ما جاء في القرآن والتوراة، حيث أن الرعب هو الذي سلم اليهود لأعدائهم ونصرهم عليهم، ولم تفد الحصون اليهود في معظم الغزوات والأحداث مع

http://kotob.has.it

حديث التوراة الدائم عنها أنها خير السبل للبقاء والصمود، وتذكر التوراة ذلك بالموارية في أثناء حصار (أورشليم) من نبوخذ نصر، عندما فتح صدقيا وجنده وعدد من الشعب ثغرة في السور ليهربوا منها .سفر الملوك الثاني 25/ 4.

فمع أن أسوار أورشليم التوراتية عظيمة ومنيعة لم يتوان ملكها وجنده في التفكير في الهرب، والحدث القرآني والتوراتي يتوافقان في أن الحصون لم تنفع اليهود في غزوة بني النضير بحسب الحدث القرآني أو في حصار أورشليم من نبوخذ نصر بحسب الحدث التوراتي، والنصر في كلتا الحالتين لم يكن بسبب هدم الحصون الدرع الأول للمدينتين أورشليم بحسب وصف التوراة وحصون بني النضير بحسب وصف القرآن.

يخربون بيوتهم بأيدهم

يتطابق ما جاء في القرآن والتوراة بتخريب اليهود بيوتهم بأيديهم، فلدى الحدث القرآني ورد ذلك في الحديث عن غزوة بني النضير أيضاً حين نزل اليهود على شروط الجيش المسلم بالجلاء عن المدينة وإخراج ما يشاؤون منها إلا الحلقة وهي السلاح [1]، فكان اليهود ينظرون على منازلهم، فينزعون منها الخشب وما استحسن منها، فيحملونه على إبلهم، وقيل أيضاً إنهم كانوا يقلعون العمد، وينقضون السقوف، ويثقبون الجدران، لئلا يسكنها المؤمنون حسداً وبغضاً، قال ابن عباس ﷺ: كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها لتتسع لهم المقاتل، وجعل أعداء الله ينقبون دورهم من أدبارها، فيخرجون إلى التي بعدها، فيتحصنون فيها ويكسرون ما يليهم ويرمون بالتي خرج منها أصحاب الرسول ﷺ [2].

أما النص التوراتي فيخبرنا بأن اليهود خربوا بيوتهم لبناء حصونهم: (هذا ما يعلنه الرب إله إسرائيل عن بيوت هذه المدينة وعن قصور ملوك يهوذا التي تم هدمها ليقام منها سور دفاع ضد متاريس الحصار والمجانيق في القتال الناشب مع الكلدانيين). إرميا 33\4 .

والقرآن الكريم والتوراة يتفقان على أن اليهود يخربون بيوتهم بأيديهم على اختلاف العلة والسبب الذي يؤدي إلى ذلك التخريب المتعمد، والنص التوراتي جاء واضحاً مؤكداً

1- تاريخ الطبري عن ابن إسحاق، ج 2، ص 407.

2- تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، تأليف الشيخ محمد علي طه الدرة، المجلد الرابع عشر، ج 27 -28، سورة الحشر، ص 420.

http://kotob.has.it

أن اليهود على استعداد أن يخربوا بيوتهم، ويبقوا على حصونهم، وأن يخربوا حصونهم التي يثقون بها مقابل النجاة بحياتهم، لأن الحصون التي بنوها للدفاع أصبحت وبالاً عليهم، تحرمهم من الهرب، حيث لم يتركوا فيها أي فتحات، أما النص القرآني فيؤكد على أن اليهود يغلب عليهم طابع الحقد والبغض، لذلك يدمرون ما بنوه حتى لا يتسنى لأحد بعدهم الاستفادة منه.

إن القرآن الكريم لم يتحدث عن تخريب البيوت اليهودية بأيدي أصحابها فقط في حادثة بني النضير فأسلاف اليهود اليوم أيضاً يدمرون بيوتهم بأيديهم، كما حدث في غزة حين انسحاب اليهود منها، فهم لم يتركوا حائطاً على حائط في غزة، ولم يترددوا لحظة في تدمير تلك البيوت، إن حصون اليهود اليوم لم تمنع طلاب الحياة من الشهداء من إرهاب ذلك العدو وبث الرعب فيه، فانسحبوا وخربوا بيوتهم بأيدهم وبأيدي المسلمين، وذلك مثلما حدث مع الرسول الكريم وأصحابه في إجلاء بني النضير.

النبوءة القرآنية والنبوءة التوراتية

﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ﴾

يعد القرآن الكريم مصدر نبوءات وأخبار مستقبلية، لا شك في حدوثها، وقد أتت هذه النبوءات على عدة أنماط ومناسبات، منها ما حدث، ومنها ما يحدث الآن، ومنها ما لم يحدث، وكان لليهود نصيب من هذه النبوءات، توزعت بين حيواتهم وأعمالهم ومصيرهم ومآل أعمالهم.

والقرى المحصنة والجدر جاءت بها نبوءة صريحة وواضحة أكدها الماضي، ويؤكدها الحاضر، وسيؤكدها المستقبل، وهي أن اليهود لا يقاتلون المسلمين بحسب الخطاب القرآني، إلا في القرى الحصينة المنيعة أو من وراء جدران كجدار الفصل العنصري الذي يبنيه اليهود في فلسطين اليوم.....: ﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ﴾ ، والنبوءة القرآنية في هذه الآية ذات شقين، الشق الأول القتال في قرى محصنة، والشق الثاني القتال من وراء الجدر، وسندرس هذين الشقين في ضوء نبوءة تحققت ولا تزال، ونبوءة لم تتحقق وتتحقق الآن:

http://kotob.has.it

﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ ﴾ جاءت هذه الآية الكريمة في سورة الحشر في مستعرض الحديث عن اليهود، وكانت قرى اليهود وتجمعاتهم آنئذ تتحوطها الحصون، ولم يدمر النبي ﷺ حصون اليهود إلا في خيبر، ولم ينشب قتال بين المسلمين واليهود إلا فيها أيضاً كما لاحظنا، وكانت خيبر يومئذ قرية محصنة منيعة اجتمع فيها اليهود، وحشدوا فيها حشودهم، بعد أن دخلها بنو النضير وبنو قريظة بعد إجلائهما عن أماكن وجودهم، ثم إن الملاحظ من حروب النبي ﷺ ضد اليهود أنه لم يقاتلهم ويحاصرهم إلا في أماكن وجودهم على عكس قريش وعدد من القبائل التي كانت على عداوة للمسلمين.

إن هذا يجرنا إلى تفسير هذه النبوءة وفق الآتي:

- القرى المحصنة التي تحدث عنها القرآن الكريم لم تكن خيبر وحدها، ولم يحدث قتال بين المسلمين واليهود إلا في خيبر، فلماذا الحديث عن مجموعة قرى محصنة، يقاتل اليهود فيها، ومنها المسلمون، إن هذه القرى المحصنة لن تكون في عصر النبي وحده، وإنما في عصور لاحقة أيضاً.

- إن القتال بين المؤمنين واليهود لن يكون سوى في القرى المحصنة، وكما ذكرنا سابقاً فإن النبي ﷺ لم يحارب اليهود أو يحاصرهم إلا في قراهم، وهذا تأكيد للنبوءة التي حصرت قتال اليهود بأداة الحصر (إلا) بأنه سيكون في القرى المحصنة، وقد جاءت سورة الحشر قبل أن يحدث القتال في خيبر التي قاتل فيها اليهودُ المسلمين في حصونهم ومنها، وهذا أيضاً لإخبار النبي ﷺ بأن اليهود الباقين لن يقاتلوا المسلمين إلا في قريتهم المحصنة خيبر.

- لم يحدث بعد قتال النبي ﷺ اليهود في خيبر أي قتال بين المسلمين واليهود حتى احتلال فلسطين في عام 1948 وحتى اليوم، وينبئ الله المسلمين بأن المعارك المستقبلية بين المسلمين واليهود ستكون في قرى محصنة، والقتال اليوم بين المسلمين واليهود في فلسطين يديره اليهود من قراهم أو دباباتهم، ويديره الفلسطينيون في مدن اليهود الحصينة، حيث يأتيهم الله من حيث لم يحتسبوا، بأن يقذف في قلوبهم الرعب بعد كل عملية استشهادية، وتفيد المصادر الإعلامية اليهودية أن أخطار العملية ليست فيما تذهبه من أشخاص، بل فيما تثيره من رعب بين اليهود، إذ يبلغ عدد المصابين والقتلى رعباً من حوادث سيارات وما شابه ذلك أكثر مما تخلفه أي عملية استشهادية.

http://kotob.has.it

وأخيراً إن هذا الشق من النبوءة قد تحقق في قتال اليهود في خيبر، وهو ما يزال قيد التحقيق، فاليهود اليوم يتمترسون في مواقع حصينة ومدنهم وقراهم كذلك، ولن يقاتلوا المؤمنين إلا فيها أو منها، أو من وراء جدر.

إذاً لم يقاتل النبي ﷺ اليهود إلا في قريتهم الحصينة خيبر، ولم تذكر كتب السير ولا التاريخ أن اليهود قاتلوا المسلمين من وراء جدر، ولم يذكر أي من المصادر التاريخية عن معركة خيبر أن اليهود تمترسوا وقاتلوا من وراء الجدر، فالقتال كان على الحصون وحولها، أضف إلى ذلك أنه في الأيام الغابرة كان القتال يدور وجهاً لوجه وهذا لا يصح في حالة من وراء جدر، بل في حالة الحصون أو الأسوار وعبارة «من وراء» تفيد عدم القتال وجهاً لوجه، إذ لا وجود لقتال في تلك الأيام مادام طرف من الأطراف خلف جدار، والقول إن القتال من وراء جدر قد حدث فهذا أمر غير صحيح، قد يكون القتال الذي يدور بين اليهود أو غيرهم مع أي طرف هو قتال خلال جدر، وليس من وراء جدر، فقد كان في غالب الأسوار فتحات للنبالة، وهذا القتال هو خلال، وليس من وراء.

إلى ماذا يوصلنا ذلك؟

إن حديث القرآن الكريم عن قتال لليهود من وراء جدر هو نبوءة تتحقق اليوم ونراها حاضرة أمامنا، فاليهود اليوم يبنون جداراً طويلاً وكبيراً حتى يتسنى لهم القتال من ورائه، وهذا يؤكد لنا عجز اليهود عن القتال وجهاً لوجه اليوم، فهم قد تكبدوا خسائر كبيرة نتيجة تلك المواجهة، أضف إلى ذلك أن الجدار الفاصل الذي يبنى اليوم هو درع جديده للمدن المحصنة التي يسكنون فيها، وسيتسنى لليهود ببناء هذا الجدار القتال من دون خسائر فعلية، كما يظنون فهم وراء الجدار وسيبدؤون بضرب المسلمين من ورائه عبر صواريخهم ودباباتهم، وهذا هو القتال الذي حدثنا عنه القرآن الكريم الذي سيحدث مستقبلاً، هذا إن لم يكن يحدث في وقتنا الحالي.

جدر لا جدار؟

لا يتحدث القرآن الكريم عن جدار واحد، وإنما مجموعة جدر، فأين هي هذه الجدر؟:

يظن بعضهم أن الجدار الفاصل الذي يبنيه اليهود اليوم هو مجرد حاجز إسمنتي، أو مجرد جدار ذي ارتفاع عال وسماكة كبيرة، وهذا ظن خاطئ، لأن الجدار الإسمنتي مزود

http://kotob.has.it

بجدر من ورائه ومن أمامه، وتفيد المصادر الإسرائيلية أن مجمل عرض الجدر 50 متراً، يصل إلى بعض المناطق 100 متر، ويقل عن ذلك في عدد من المناطق بسبب الطبيعة الطبوغرافية والجغرافية لكل منطقة، ولنلاحظ هذه الجدر في السطور الآتية:

من الناحية الشرقية من الجدار خندق، ثم ست لفّات من الأسلاك الشائكة مرتبة على شكل هرم، ومن الناحية الغربية أسلاك شائكة فقط.

سياج إنذار في الوسط مع جهاز حساس، ينبه في حال حصول غارة أو اقتحام للحاجز. ممر يتيح لقوات جيش الاحتلال الإسرائيلي القيام بدوريات حراسة من على جانبي سياج الإنذار.

مقطع مستو مغطى بالرمال ومواز لسياج الإنذار من أجل التقصي. مجموعة من أجهزة الإنذار المثبتة على طول الحاجز من أجل الإنذار عن محاولات التسلل.

كانت هذه الجدر تبنى في المراحل الأولى من البناء، وقد وضعت خطة إسرائيلية لبناء حاجز ثانٍ إضافي يمتد بضعة كيلو مترات على الشرق يشار إليه باسم حاجز العمق بمحاذاة بعض مقاطع الجدار الفاصل، خاصة تلك التي تحاذي الخط الأخضر قرب مدينة طول كرم، وقد وصفت منظمة بتسليم الصهيونية حاجز العمق بأنه خندق عميق تحيطه الأسلاك الشائكة [1]، وتزود الحكومة الصهيونية بعض المناطق التي تحاذي الجدار بألغام فردية لقتل أي متسلل من الأراضي الفلسطينية، إضافة إلى الأسلاك الشائكة المكهربة [2].

إن الجدار الفاصل بحسب ما يتبين لنا هو مجموعة جدر، وليس مجرد خرسانة إسمنتية، والآية القرآنية الكريمة لم تنبئنا عن جدار واحد، بل عن مجموعة جدر، وهذه الجدر هي التي نراها تبنى اليوم، وستبنى في المستقبل تحقيقاً لتلك النبوءة.

أين تعاليم التوراة ونبوءاتها من الجدار الفاصل؟

كما لاحظنا في الفصلين الأول والثاني لا تتوانى التوراة عن ذكر الجدار والأسوار والحصون في أي مناسبة، فأين الجدار الفاصل الذي يبنى اليوم من تعاليم التوراة ونبوءاته؟.

1- حاجز الفصل والقانون الإنساني الدولي، برنامج جامعة هارفرد لدراسة السياسات والنزاعات الإنسانية، مبادرة دراسة القانون الدولي، تقرير موجز، ص 2 – 3.

2- الجدار الفاصل، إصدار ممثلية منظمة التحرير الفلسطينية في الجمهورية العربية السورية، دراسة مصغرة، ص2 .

http://kotob.has.it

كثيرة هي نبوءات التوراة عن الحصون والأسوار، خصوصاً في التدمير لا في البناء، وقد تركنا القارئ في الفصل الأول والثاني، ليحكم خلال الحدث التوراتي ونبوءاته وتعاليمه على علاقة الجدار الفاصل بالتوراة، وكيف سوّق اليهود في مسيرة حياتهم للجدر والحصون والأسوار، وبنوا عليها، ومنها حلمهم الاستعماري والاجتماعي والسياسي في تحقيق المآرب والأهداف. إضافة إلى ذلك لم تترك التوراة ولا حتى القرآن الكريم مكاناً للشك في أن الجدار الفاصل الذي يبنى اليوم هو حلم قديم أمل اليهود تحقيقه.

هل يبني اليهود الجدار الفاصل تلبية لأمر إلهي

يرفض كثير من الباحثين الربط بين الجدار الفاصل وتعاليم التوراة ونبوءاته، وهذا الرفض يأتي من عدم قراءة النص التوراتي قراءة متبصرة حكيمة، فالتوراة لم تكن كما يصفها عدد من المفكرين مجرد كتاب تاريخي، يروي مجموعة أحداث في وقت ما، فهو المرجعية اليهودية الأولى والأخيرة في كل شيء، خصوصاً تلك التي تتعلق بمصير اليهود، وهو إلى جانب ذلك يحدثنا بكل تفصيل عن معالم النفسية الإسرائيلية منذ بدايتها.

وتعاليم التوراة لم تكن بمعزل عن الإخلاص لها، وتنفيذها على أكمل وجه من المؤمنين بالتوراة والمعتقدين أن التوراة وخصوصاً أسفارها الأولى هي من عند الله رب بني إسرائيل وأن ما يرتكبه اليهود اليوم ليس سوى تنفيذ لوصايا يهوه، فارتكاب المجازر وقتل الأطفال والنساء ما هو إلا تنفيذ لتعاليم الحرب التوراتية الدموية في طرحها، والعنصرية في تصورها، وذلك ينطبق على الجدار الفاصل، وقد مر معنا في الفصل الأول أحد تعاليم التوراة الذي يقول: (إذا حاصرت مدينة أياما كثيرة محاربا إياها لكي تأخذها فلا تتلف شجرها بوضع فأس عليه، إنك منه تأكل.فلا تقطعه.لأنه هل شجرة الحقل إنسان حتى يذهب قدامك في الحصار.وأما الشجر الذي تعرف أنه ليس شجرا يؤكل منه فإياه تتلف وتقطع، وتبني حصنا على المدينة التي تعمل معك حربا حتى تسقط). 20- 19- 20.

ويردد كثير من الباحثين اليهود والأمريكان أن الجدار لم يبنَ بحجة الأمن، ويظن بعضهم أن منظور الجدار المستقبلي ما زال غير واضح وأنه ليس من الواقعية أو المنطق عدّ بناء الجدار جاء ردّ فعل على الهجمات الفلسطينية [1]، إضافة إلى ذلك فإن اليهود لم يستطيعوا

1- في مواجهة الجدار، إسرائيل، الفلسطينيون وتأثير النظام العازل الإسرائيلي الجديد على عملية التسوية، انتوني كورديسمان، مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية - واشنطن - ترجمة أكرم ألفي، ص1.

http://kotob.has.it

أن يمنعوا الهجمات الاستشهادية بذلك الجدار، والترسانة اليهودية وخصوصاً الحواجز الإلكترونية كفيلة وحدها بعدم التسلل، إلا أنها أيضاً لم تنفع، ويعلق أحد الكتاب الإسرائيليين في تأكيده أن بناء هذا الجدار تأكيد للسيادة، وليس لصد الهجمات الفلسطينية بقوله: (إن الجدار الخرساني الذي تحاول إسرائيل وضعه بينها وبين البؤس الفلسطيني يفهم حتماً أنه جدار حديدي وحشي من السيادة)[1]، فإذاً لماذا يبني اليهود الجدار؟.

هناك مجموعة أسباب لبناء الجدار الفاصل، فالأسباب السياسية التي تتعلق بحدود إسرائيل القديمة والأسباب الاجتماعية والديموغرافية والتاريخية كلها مجتمعة تشكل أسباباً لبناء الجدار، إلا أن هناك سبباً لم يتطرق إليه أحد، ربما لأنه أحد الأسباب غير المعلنة، وهو بناء الجدار تلبية لوصية إلهية من رب بني إسرائيل، وإذا عدنا إلى النص التوراتي الذي بين أيدينا وسنجد أن بناء السور أو الحصن على المدينة سيؤدي إلى مشكلات معقدة اجتماعية وسياسية وجغرافية وديموغرافية، وهذه مشكلات هي نتيجة لذلك الحصار الذي سيبنى على المدينة التي استعصت على اليهود، وهو أسلوب غير مسبوق في فلسفة الهجوم و الاحتلال، وقد اختلط على بعض من باحثينا التفريق بين الأسباب والأهداف في بناء الجدار، فالسبب هو الأمر الإلهي والهدف هو تغيير كل المصورات السياسية والجغرافية والاجتماعية وحتى التاريخية منها .

إن هذا الكلام يؤدي بنا إلى نتيجة هامة، هي أن الفكرة الأساسية لم تكن بدافع أمني أو سياسي، بل تلبية لأحد تعاليم رب الجنود، وما يؤكد هذا الكلام هو محاولة اليهود بناء جدار فاصل حتى قبل الانتفاضة، وذلك استكمالاً لمشرع غيتو جديد صنعته التوراة ولم تزل، ويعلق أحد الكتاب الإسرائيليين في تأكيده أن بناء هذا الجدار تأكيد للسيادة بقوله: (إن الجدار الخرساني الذي تحاول إسرائيل وضعه بينها وبين البؤس الفلسطيني يفهم حتماً أنه جدار حديدي وحشي من السيادة).

خلاصة

إن القرآن الكريم والتوراة أعطيا إشارات مهمة تدفع إلى التأكيد أن هذا الصراع مستمر حتى يأذن الله، وأن اليهود سيبقون في حل من كل المواثيق الإنسانية والمبادئ الأخلاقية، ماداموا يظنون أنهم فوق البشر، ويحق لهم التسلط عليهم بقتلهم أو نفيهم أو

1-جدار فصل، إسم رهيب، آري شابيط، هآرتس 7 /8 /2003 م.

http://kotob.has.it

عزلهم، والقرآن الكريم الذي قص وما يزال يقص حكاية بني إسرائيل الأوائل وأسلافهم المفترضين اليهود حبانا بما لم تحبونا إياه كتب التاريخ والمصادر، ولمح إلى المستقبل الذي لا يعلم خبره إلا هو جل وعلا، فيقول تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾، وذلك في إشارة إلى أن كلامه في القرآن الكريم مفاتيح عبور إلى معرفة نتائج شر بني إسرائيل وغيرهم من احتلال وتسلط وتدمير وقتل.

الجدار الفاصل الجدار الأخير

على مر التاريخ بنى اليهود الحصون والأسوار والجدر، وربطوا وجودهم فيها ومصيرهم بمصيرها، وما من مرة زالت فيها حصون بني إسرائيل إلا وأزيلوا معها أو سبوا، ويتفق القرآن الكريم والتوراة على ذلك، ولكن أين وإلى أين هذه المرة سيزول اليهود أسلاف بني إسرائيل المفترضين؟، هل ثمة سبي جديد أم خروج آخر أم إفناء عن آخرهم؟، وهل ثمة جدران أخرى غير التي بنوها أو يبنونها الآن؟، وهل يتحقق ما قاله أحد البروفيسورات الصهاينة عن الجدار بقوله: إذا سقط السور سقطت إسرائيل.

لقد علا اليهود علواً كبيراً، وطغوا طغياناً يشابه طغيان عاد وثمود، إن لم نقل أكثر، وهذا العلو لا بد أن مآله إلى سوء وتدمير، كما حدث مع كل الطغاة، وإن هذا العلو في مراحله الأخيرة كما يجمع عدد من الباحثين في علوم القرآن والتاريخ، واليهود اليوم يريدون بكل ما أوتوا من القوة وبإصرار لم يشهده التاريخ إتمام بناء هذا الجدار بالسرعة الممكنة، حتى تكتمل ملامح هذا الاحتلال وصورة هذا العلو، وحتى تقترب النهاية التي يسرعون إليها، وهم لا يشعرون، وهي تدمير حصونهم وجدرهم الأخيرة في البناء، والأخيرة في الانقضاض، حتى يتحقق وعد الله بإخراجهم من أرض الإسراء والمعراج بقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴾ (الإسراء، الآية 7).

http://kotob.has.it

الفصل الرابع

الجدار الفاصل

خلاصة التاريخ الديني و النفسي

والاجتماعي والسياسي لبني إسرائيل

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

يعد الجدار الفاصل في سياق التاريخ الإسرائيلي اليهودي العام خلاصة آلاف من السنين عاش فيها اليهود مجموعة أوضاع دينية ونفسية واجتماعية، كان أحد نتائجها اليوم بناء جدار، يتمم هذا التاريخ عن آخره ويرسمه بالصورة الواضحة المعالم من دون أي تشويه، وهذا الجدار الذي يبنيه اليهود بكل عزيمة وسرعة لم تكن فكرة بنائه إبداعاً لعقلية يهودية تحيا في القرن الحادي والعشرين، وإنما هو امتداد تاريخ خطه الخروج من مصر واحتلال أرض كنعان، ورسمه السبي والعودة منه، وانتهى من رسمه شارون اليوم.

إن الجدار الفاصل هو استحقاق ديني ونفسي واجتماعي للتاريخ الإسرائيلي اليهودي، وهذا الاستحقاق سيكمله اليهود، ويأخذونه على أكمل وجه، ومع كل المحاولات الدولية ومنظماتها ومقاومة هذا الحدث إلا أن المضي قدماً في هذا المشروع لن تعرقله منظمة دولية ولا مقاومة عربية، لأن تاريخ هؤلاء القوم لن يكتبه ويرسم ملامحه الأخيرة سوى الجدار الفاصل الذي سيصبح برأينا مفخرة يهود اليوم ومجدهم.

الجدار الفاصل خلاصة التاريخ الديني ليهود اليوم

بنى اليهود في الحدث التوراتي مئات الحصون، إن لم نقل الآلاف، وهذه الحصون في العقلية الدينية اليهودية تشكل إرثاً عقائدياً لا تنازل فيه أو عنه، إذ إن التوراة التي قصت حكايات الحصون والأسوار هي المصدر الوحيد الذي يبني عليه اليهود رؤاهم وتصوراتهم للحاضر والمستقبل، وليس هناك من شك في ذلك، لأن المراقب لسير حياة اليهود علمانيين أو متدينين يلاحظ أن التوراة بتعاليمها وحكاياتها مرجع أساسي، ومصدر لا غيره من المصادر يفضل العودة إليه والتبصر فيه وتقليده.

وقد رأينا في الفصلين الأول والثاني كيف تحدثت التوراة عن الحصون والأسوار جزءاً لا يتجزأ من التاريخ الإسرائيلي القديم، وشاهدنا أيضاً أنها كانت على الدوام جزءاً من صلب الحياة العسكرية والاجتماعية والدينية لبني إسرائيل، فكيف يتخلى اليهود عنها ويتركونها؟، وهي جزء من تكوين حيواتهم؟، فعلياً لم يتخل اليهود يوماً عن الجدران أو الأسوار قيد أنملة، لا في القرون القديمة ولا الوسطى ولا الحديثة، وظلت على الدوام هاجساً يراود اليهود، ولا يفارقهم أينما حلوا وأقاموا.

كيف يصبح الجدار غاية دينية

إن العقيدة اليهودية عقيدة غير تبشيرية كباقي العقائد، وهي تحصر في قوانينها الدينية أن اليهودي من كانت أمه يهودية حصراً وهذا يجعل أصحاب هذه الديانة مهما

http://kotob.has.it

تناسلوا أو تكاثروا قلة في وسط هذا الحشد من العقائد مع أن المتهودين اليوم والصهاينة يسيطرون على العالم، وهذا الأمر دعا اليهود إلى الخشية من كل الأقوام التي كانوا يسكنونها عبر الزمن، وقصة الغيتو التي سنأتي على ذكرها تشرح ذلك بكل تفصيل، إن تطوير أسوار الغيتو إلى جدار فاصل هو حماية - كما يظنون - لهذه الديانة، وليس لأصحابها فالمهم دوماً لهم بقاء هذه الديانة بمعزل عن أي ضرر.

ولعل بروز التيار الإسلامي تياراً مقاوماً صلباً لا يهادن في فلسطين دعا أخيراً اليهود إلى استكمال أسوار الغيتو، ولكن بطريقة متطورة أكثر، فهذا التيار هو الذي تحمل أعباء المقاومة في الانتفاضة الفلسطينية الأخيرة بعد أن كانت طوال سنوات مقاومة علمانية، فأمام هذا السيل الجارف من هؤلاء المقاومين المبشرين بوعد النصر ارتأى اليهود في حرص منهم على عدم المساس بعقيدتهم استكمال مشروع الجدار.

ولعل من نافلة القول الحديث عن مقارنة بين الصراع الديني المسيحي اليهودي في أوروبا في القرون الوسطى وبداية القرون الحديثة والصراع الذي اتضحت معالمه الدينية بين اليهود والمسلمين على أرض فلسطين، فالصراع الأول استدعى إنشاء الغيتوات وأسوارها، وفي الصراع الثاني استكملت مشاريع الغيتو الجديد ببناء الجدار الفاصل.

وفي مقاربة أكثر تروي على الدوام قصص التوراة رغبة أنبياء بني إسرائيل واليهود في التقوقع داخل حصونهم، حتى لا يختلط اليهود بغيرهم من الأقوام، ويعبدوا آلهتها، ويؤمنوا بمعتقدها، كما حصل في كل الأحداث التوراتية، لهذا كان الحديث التوراتي دائماً يشدد على عدم الاختلاط بالأقوام الأخرى، ليس خوفاً من اندساس أعراق جديدة بين صفوف اليهود، وإنما حفاظاً على المجتمع الديني اليهودي ونقائه العقدي، فمثلا الزواج من الغريبات كان من أكثر الآثام التي قام بها عدد من اليهود فأغضبت الرب، ولهذا كان أول شروط التوبة ورضا الرب هو التخلص من كل الأجناس الغريبة واعتزالها، خصوصاً النساء الغريبات، ومثل ذلك ما نراه في سفر نحميا.

ويشبه عدد من المتشددين اليهود اليوم الحركات اليهودية التي تدّعي السلام، وتشارك الفلسطينيين شيئاً من معاناتهم برفض السياسات الصهيونية بأنهم وثنيو العصور القديمة الذين ذهبوا لعبادة أصنام الفلسطينيين والكنعانيين، ولهذا يجب أن يبقى اليهود اليوم متقوقعين داخل أسوارهم، ولا يتسنى لهم الاختلاط بهم، حتى لا يناصروهم، ولو تسنى لليهود عزل الفلسطينيين مع الذين داخل ما يسمى الخط الأخطر

http://kotob.has.it

وعزل اليهود أيضاً لسارعوا إلى ذلك أيضاً، ومن هنا نقول إن الجدار الفاصل لم يكن إنشاؤه لمنع الفلسطينيين من الهجوم على مواقع صهيونية، كما روج له فقط، وإنما أيضاً لعدم انفلات اليهود والخروج خارج مستعمراتهم وبقائهم ضمن منظومة عقدية واحدة، وهذا ما لم تفصح عنه الإدارة الدينية أو العسكرية الصهيونية لعامة اليهود.

ربما لا يقنع هذا الكلام كثيرين بسبب عدة أحوال موضوعية تحيط ببناء الجدار الفاصل، ولكن الفصل بين صحة هذا الكلام ومغالطته سيثبته المستقبل أكثر، وسيكشف عنه جلياً، فالمؤسسة الدينية الإسرائيلية التي تسيطر على مجريات الأمور في الكيان الصهيوني دفعت الجمهور اليهودي كي يعلن تذمره منها، ولا تستطيع هذه المؤسسة بعد أن لم شمل اليهود أن تفرط في عقيدة هذا الشعب في تركه كقطيع غنم من دون راع من الممكن أن يسيطر عليه أي شخص أو قبيلة.

إضافة إلى ذلك ففلسفة السلام المزعوم لا توافق العقلية اليهودية، حتى وإن تحقق، فهذا الجدار لن يكون في مرحلة السلام التي لن تأتي سوى صمام أمان جديد لعدم الاختلاط بين فلسفتين متناحرتين، فلسفة التحرير التي يقودها تيار عقدي أثبت شرعية حقوقه وفلسفة الاستعمار والاغتصاب التي يقودها تيار عقدي، أثبت دمويته وتعطشه للسفك الدائم، فالجدار الفاصل من هنا تظنه المؤسسة الدينية والمؤسسة العسكرية صمام أمان ديني لمرحلتي السلام والحرب مع أن اليهود في إعلامهم المضلل يتحاشون الحديث عن أي بعد ديني لبناء هذا الجدار.

ويمكن القول هنا إن بناء الجدار لم يكن سوى استمرار لمنهجية دينية ومسلكية لملوك بني إسرائيل وأنبيائهم الذين وردوا في خضم الحدث التوراتي، ومن الأسفار الأولى في التوراة حتى الأسفار الأخيرة فيه إلى أحداث ما بعد التوراة امتداداً إلى اليوم أيقن اليهود أن الأساس لاستمرار بقائهم هو اللجوء إلى التوراة وحصونه وأسواره المزعومة وغيتواته، فمجمل التعاليم والتسابيح والنبوءات وحكايات الانتصارات والهزائم تصر على أن يكون الملجأ الوحيد هو الحصن أو الأسوار والغيتوات، ولهذا تنفذ المؤسسة الدينية والعسكرية تعاليم التوراة العسكرية تحديداً بحذافيرها، مع أن تحذيرات كثيرة وصلت من أنبياء بني إسرائيل في عدم الوثوق بالحصون والاتكال عليها، ومن عدد من أقوال بروفسورات ومتديني الكيان الصهيوني نلاحظ أن الجدار الفاصل تعلق مصيره بمصير وجود الكيان الصهيوني، وأصبح بقاؤه يشكل حجر أساس في بقاء هذا الكيان، يقول البروفيسور أمنون سوفير المختص بعلم السكان: (إذا سقط السور سقطت إسرائيل) [1]

1- مجلة المجاهد، العدد 366، ص 115.

http://kotob.has.it

البعد النفسي (السيكولوجي) لبناء الجدار الفاصل

عاش اليهود مع الجدر والحصون منذ الوجود الأول لهم واستعبادهم في مصر، ولم تكن فكرة بناء الحصون والأسوار معزولة عن تراث سيكولوجي عاناه اليهود، وما زالوا يعانونه، وقد تحولت هذه الفكرة إلى مرض نفسي كالرهاب مثلاً، هذا المرض هو التعلق بالحصون والأسوار وبنائها في جميع الحالات وكل المواقف، ولا بد لرصد هذا المرض من العودة إلى الجذور التاريخية له، لأن تحول الفكرة إلى هاجس لا يفارق صاحبه يجن به يجعلها فكرة غريبة تثير استهجان العقلاء، إن لم يعرف سببها الأول وأصولها في الحقب الزمنية المتأخرة.

وقد ظهرت دراسات نفسية كثيرة عن بناء الجدار الفاصل، وكثير من هذه الدراسات ردته نفسياً إلى حقبة زمنية متقدمة، أي إلى فترة ظهور الغيتو في أوروبا والمشرق العربي إلا أن التاريخ النفسي لبني إسرائيل يجب سبره منذ البدايات، لأن تاريخهم ليس متقطعاً، وليس باستطاعة المرء أو الباحث مناقشة فترة زمنية محددة بمعزل عن الفترات التي سبقتها، فلا بد حتماً من العودة إلى الجذور، حتى تتكامل هذه الدراسات النفسية لبني إسرائيل.

بنو إسرائيل عبيد الفراعنة لبناء الحصون

تحدثنا التوراة عن فترة الوجود الإسرائيلي في مصر بأنها كانت فترة قاسية جداً عانى فيها بنو إسرائيل الأمرّين من تسخير واستعباد وقتل، وتذكر التوراة في معرض حديثها عن تسخير بني إسرائيل واستعبادهم أن الفرعون سخرهم لبناء مدينتي فيثوم ورعمسيس: (فعهدوا بهم على مشرفين عتاة ليسخروهم بالأعمال الشاقة فبنوا مدينتي فيثوم ورعمسيس لتكونا مخازن لفرعون...فتفاقم عنف استعباد المصريين لبني إسرائيل وأتعسوا حياتهم بالأعمال الشاقة في الطين واللبن كادحين في الحقول). الخروج 1-11- 14.

إن هذا النص يطرح عدة تساؤلات، أهمها ما مدينتا فيثوم ورعمسيس؟، وهل حقاً بنيتا لتكونا مخازن لفرعون؟، وما طبيعة الأعمال الشاقة التي أسندت لبني إسرائيل، وما علاقة الطين واللبن بالحقول؟، وهل لكل ذلك علاقة بالحصون؟.

ونبدأ بالسؤال الأخير: إن هذا النص له علاقة مباشرة بالحصون، فمدينتا فيثوم ورعمسيس كانتا مبنيتين، وكان عمل اليهود فيهما فقط للتحصين، وهذا ما أخبرتنا به الآثار في برديانها يقول الأستاذ غطاس عبد الملك خشبة في كتابه «رحلة بني إسرائيل إلى

http://kotob.has.it

مصر الفرعونية والخروج» ص 235: قالت لنا الآثارات القديمة: إن الملك رمسيس الثاني وابنه منفتاح الأول قد أجبرا الإيبرو أي العبرانيين بتحصين الإقليمين المتصلين ببعضهما جنوبي بركة المنزلة لحماية الطريق الفرعوني الكبير من جهة الشرق المار من تانيس رمسيس إلى ميجدول، ويضيف قائلاً: إن هذه الحصون كانت ولا تزال موجودة إلى أيام اليونان بعد خروج الإسرائيليين من مصر عشرة قرون، إلا أنها كانت قد تهدمت وقد نسب المؤرخون بناءها من جهة ميجدول إلى الملك سيزوستريس.... وقيل إنه كان هناك أسوار مانعة، لكي لا يدخل الأعداء القادمون من آسيا عن طريق فلسطين، وما يؤيد ذلك بردية حرر عليها رسالة محفوظة في المتحف البريطاني[1].

إذاً سخر اليهود في عهد منفتاح لبناء حصون مدينتي فيثوم ورعمسيس، وهذا ما يفسر قول التوراة إن الفراعنة أتعسوا حياة بني إسرائيل في الأعمال الشاقة في الطين واللبن، إذ إن الأعمال الشاقة في الطين واللبن ستكون حتما لبناء حصون أو قلاع، أو ما شابه ذلك، ولا علاقة للطين واللبن بالحقول كما ربطتهما التوراة بالكدح في الحقول.

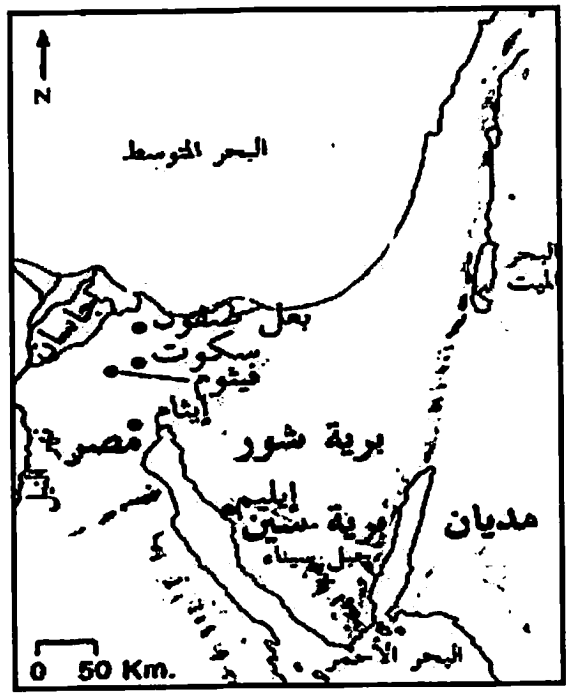

الأماكن التي بنو فيها بني إسرائيل الحصون في أثناء وجودهم في مصر

1- رحلة بني إسرائيل إلى مصر الفرعونية والخروج، غطاس عبد الملك خشبة، ص 235.

http://kotob.has.it

ترك هذا التسخير كما نظن أثراً نفسياً في بني إسرائيل، لم يزل مع الزمن، بل إن الحدث التوراتي يروي لنا أن بني إسرائيل أيام الملك سليمان قد سخروا آلافاً من العبيد لبناء الحصون والأسوار: (أما خدمة التسخير التي فرضها سليمان، فكانت بداعي بناء هيكل الرب، وقصر سليمان، والقلعة، وسور أورشليم، وحاصور ومجدو وجازر). الملوك الأول 9\15.

وذكر هذا التسخير يفسر لنا الأثر النفسي الذي أعقب استعباد بني إسرائيل من الفرعون في بناء الحصون، أضف إلى ذلك أن حدث تسخير بني إسرائيل من الفرعون أمر مثبت أثرياً وتاريخياً، أما حدث تسخير آلاف من أعداء بني إسرائيل لبناء الحصون والأسوار والمدن أمر رفضه التاريخ والآثار مجتمعين، والحديث عن هذا التسخير لم يكن سوى كذبة، حتى يتسنى للحدث التوراتي ولكتبته مشاهدة الانتقام للتسخير الأول، والقول إن اليهود سخّروا فترة وسخّروا شعوباً لهم لفترات.

لقد كبرت هذه العقدة مع الزمن، فبناء الحصون المنيعة الفرعونية على يد الإسرائيليين جعلتهم يظنون أنهم قادرون على بناء الحصون المنيعة حتى من الله، وقد زعمت التوراة أنه بعد احتلال فلسطين أكثر بنو إسرائيل من بناء الحصون، وساووها بالرب الذي يعبدونه، وهاهم اليوم يبنونها انتقاماً من التاريخ الأول للتسخير وظناً منهم أنها ستكون كحصون الفرعون المنيعة التي بنوها.

وقد وصل عدد من الباحثين الأمريكان واليهود إلى تكبير هذه العقدة، عقدة التسخير للبناء، حتى إنهم تبنوا نظرية أن العبيد اليهود هم الذين بنوا الأهرامات في مصر ومن هؤلاء: العالمة هولي وود، إلا أن هذه النظرية عارية عن الصحة، إذ إن بناء الأهرامات يعود إلى أكثر من ألف سنة من الوجود العبري في مصر[1]، ولعل إطلاق هذه النظرية من العالمة هولي وود جاء ليرفد التوراة بأن اليهود في فترة وجودهم في مصر كانوا عبيداً ليس إلا، وهذا ما يريد تدويله عدد من الباحثين، ليؤكدوا أن اليهود شعب قاسى ما قاساه، ويجب أن يعوض من كل ذلك، أما فيما يتعلق باليهود فتبني هذه النظرية يترتب عليه عامل نفسي مهم، وهو أن خدمة التسخير آن أوان الانتقام منها، ولهذا يسخّر اليهود اليوم عمالاً مصريين وآخرين أردنيين وآسيويين لبناء جدارهم الفاصل.

1- الشعب المختار، الأسطورة التي شكلت انجلترا وأمريكا، كليفورد لونجلي، ترجمة د. قاسم عبده قاسم، ج 2، ص 41، ط1، مكتبة الشروق الدولية.

http://kotob.has.it

الجدار الفاصل والعقد الجنسية

الجدار شولميت عشيقة سليمان التوراتي

قد يستهجن القارئ من هذه الفقرة، لأنها تربط بين أمرين منفصلين من حيث الظاهركل الانفصال، ولأن إيجاد رابطة بين الجدار الفاصل والجنس حسبما يبدو ظاهرياً أمر متعسر.

إلا أن سفر نشيد الإنشاد الذي هو محاورة شعرية بين سليمان التوراتي وإحدى عشيقاته وتدعى شولميت، يربط بين السور والجنس، والجسد والسور، والأبراج المتوضعة على السور ونهدي المحبوبة، كما مر معنا سابقاً، ويعد هذا الوصف نقلة نوعية في الحوار الغزلي الذي سبق أن أسلفنا، يجب أن يتخلله حوار رومانسي بعيد كل البعد عن الإطار العسكري الذي سينغص مجريات تلك المحاورة، ولذلك لا يعد غريباً ذكر عبارة «رب الجنود» في إطار هذه المحاورة التي كانت تستلزم ذكر إله الحب، وليس رب الجنود.

(لو كانت سورا لبنينا عليه صرحا من فضة، ولو كانت بابا لدعمناه بألواح من أرز، أنا كسور ونهداي كبرجين، حينئذ صرت في عينيه كاملة). نشيد الإنشاد 8\10.

بهذه الكلمات تخاطب شولميت عشيقها سليمان، بتوصيف غريب يصر على وضع الجدار كحلقة وصل جسدية جنسية محضة.

وقد خصص فرويد في كتابه «تفسير الأحلام» سفر نشيد الإنشاد ليستشهد به في تفسير الأعمدة والعمدان المتوجة من حيث هي رموز معمارية للجسم ولأعضاء التناسل والفتحات قائلاً: (إني أعرف مرضى ظلوا مبقين على الرموز المعمارية للجسم وأعضاء التناسل، فالأعمدة والعمدان المتوجة تعني عندهم السيقان كما في نشيد الإنشاد، وكل باب يدل على فتحة من فتحات الجسم ثقب[1]).

إن الجدار الفاصل يذكر اليهود دوماً بشولميت عشيقة سليمان وأختها وجسدهما، وهذا ما يؤدي بنا إلى القول إن لبناء الجدار أيضاً سبباً جنسياً يتشارك والأسباب النفسية الأخرى في البنية النفسية الكلية لبناء الجدار الفاصل، وليس عجيباً أن تكون

1- الجذور التوراتية للمذهب الفرويدي، دراسة جديدة لمذهب فرويد في أصوله لنزيه الحسن، ص 409 - 410- دار الحلبي للطباعة والتجليد، ط1، 1988م.

http://kotob.has.it

هناك دوافع جنسية، تختلط ببنائه فكما اختلطت الحرب بسفر نشيد الإنشاد بالعشق والجنس اختلط الجنس بالجدار الفاصل المتخيل كأنه شوليت وأختها.

جدار معنوي قبل الجدار المادي

لقد جبلت النفسية الإسرائيلية عبر قرون من الزمن بخليط من العقد النفسية والدينية والعرقية لتخرج لنا هذا النموذج النفسي الذي نراه اليوم، وهذا النموذج النفسي على مر السنين بنى هيكليته على نظرية شعب الله المختار، التي جعلت من الدين اليهودي عرقا أو قومية يعلو متّبعوه على كل البشر، وقد عززت هذه النظرية الأسطورية الشعور بالعزلة والانفصال عند اليهود، وترتب على ذلك وهو حديثنا، خلق جدار معنوي، يحول بين النفس اليهودية وغيرها.

وقد ساهم الغيتو الأوروبي والحارة اليهودية العربية في تكوين شخصية يهودية خائفة على الدوام، تخشى الخروج من أسوار الغيتو، فحاول عدد من المفكرين اليهود الذي آمنوا بما تنادي به حركة التنوير الأوروبية في أواخر القرن التاسع عشر أن يقنعوا اليهود بالخروج من أسوار الغيتو والاختلاط (بالغوييم) الغرباء، ومشاركتهم الحياة السياسية والاجتماعية، إلا أن هذه المحاولات فشلت، وأدى ذلك إلى خلق حالة من الصراع النفسي، طرفاها الخروج من أسوار الغيتو والبقاء فيه، فأدى هذا الصراع إلى خلق حالة من الاكتئاب الدائم في الشخصية اليهودية.

بعد احتلال فلسطين حاول المفكرون وقادة اليهود توفير أكبر قدر من الأمان لليهود الأوروبيين في الأماكن التي هاجروا إليها في محاولة منهم لتخليص اليهود من عقدة الغيتو، إلا أن ذلك أيضاً لم ينجح، ففي دراسة نفسية عن يهود أوروبا نتبين أن عقدة الغيتو نتجت عنها عقد أخرى أسوأ من العقدة الأصلية وهذه العقد هي :

1- العدوانية.

2- الانطوائية والتمركز حول الذات.

3- التشاؤم من المستقبل والتشكك في الآخرين.

4- الجمود: تعد صفة الجمود التي يتصف بها الإشكنازيم ذات صلة وثيقة بالتوتر النفسي، والقلق والميل إلى العدوان والانطوائية والسلطوية، وجميعها صفات يتصف بها الإشكنازيم في الكيان الصهيوني.

http://kotob.has.it

5- مرض الذهان الاكتئابي الذي يصيب الإشكنازيم ضعفي ما يصاب به السفرديم، فضلاً على حالات الانتحار لدى يهود الإشكنازيم الذين يعانون الاكتئاب، ومقدار هذه الحالات إلى اليهود الشرقيين تبلغ خمسة أضعاف[1].

6- الخوف الدائم من الغوييم، ويصور هذا الخوف في مقولة الخبير الاستراتيجي الصهيوني مارتن فان كريفيلد: (ينبغي أن يكون الفصل تاما بيننا وبينهم...، لن نقيم سياجاً يكون بمنزلة طرفة، إنني أتحدث عن سور حجري كسور برلين أو عن سور أكبر، إن كان ذلك ممكناً، حيث يكون شديد الارتفاع إلى حد تعجز الطيور عن اجتيازه [2].

إضافة إلى ذلك فعدد من المصادر العربية والصهيونية تقول إن عقدة الغيتو لا تزال أكبر عقد الإسرائيليين وأكثرها وجوداً، وقد ازداد عدد من يعانون هذه العقدة إبان الانتفاضة الفلسطينية الأخيرة، ويستدل على ذلك من موقع الجمعية النفسية الإسرائيلية (عيران) على الإنترنت، حيث تقول: إن هناك ارتفاعاً ملحوظاً في عدد طلاب الاستشارة النفسية حيث بلغت أعداد المراجعين في العام 2002 - 2003 م 99 ألف شخص بزيادة تقدر بنحو عشرة آلاف شخص عن العام الذي سبقه، وقد توجه إلى هذه الجمعية نحو 3990 شخص في سنة واحدة، أعربوا عن رغبتهم في الانتحار، وتقول هذه الجمعية أيضاً إن على رأس المشكلات النفسية يأتي الاكتئاب ويبلغ مقداره 14 ٪ والشعور بالعزلة ومقداره 10 ٪ [3].

ويعلق البروفيسور دان بار أون رئيس قسم السلوك في جامعة بن غوريون على هذا الجدار بقوله: (سورنا قد يفشل في أداء دوره الأولي، المطلوب توفير الأمن، وقد يبعدنا من الناحية السيكولوجية عن الحاجة للمنافسة والمواجهة للحفاظ عن موقعنا الحالي...، قد يكون هذا السور حجر الزاوية لغيتو كبير ينشأ هنا ...، غيتو لا يمكن الخروج منه إلا في اتجاه واحد فقط غرباً نحو البحر [4]).

ويلخص هذا الكلام الخوف المستمر من العودة إلى الغيتو الذي أثر في النفسية الإسرائيلية كثيراً على مدى مئات من السنين، ولهذا تحاول اليوم حكومة الكيان

1- البعد السيكولوجي في الجدار العازل، دراسة موجزة، د ليلى أبو المجد، دراسة في الشخصية الإسرائيلية، الإشكنازيم، د. قدري حنفي 1975م.

2- مجلة المجاهد، العدد 370، جدار الفصل العنصري العودة إلى أسوار الغيتو، مرشد إبراهيم، ص 98.

3- البعد السيكولوجي في الجدار العازل، دراسة موجزة، د ليلى أبو المجد، أستاذة الدراسات العبرية بآداب عين شمس، ص2 .

4- مجلة المجاهد، العدد 370، جدار الفصل العنصري العودة إلى أسوار الغيتول، مرشد إبراهيم، ص103.

http://kotob.has.it

الصهيوني تخفيف الأثر النفسي الذي سيخلفه بناء الجدار في الشخصية الإسرائيلية بمحاولة إظهار الجدار بمظهر حسن من الداخل، وليس كمسخ هندسي مفروض على التلال، كما وصفه أحد الصهاينة [1]، ولهذا جندت الحكومة الصهيونية عددا من الفنانين الصهاينة لإنشاء رسوم على الجدار، طبيعية وهندسية وبشرية، حتى يتسنى للقاطنين والمارين بجوار الجدار رؤيته في مظهر حسن، لا يعكر صفو نفسية الشخصية اليهودية.

لقد بني عند اليهود قبل أن يشرع في بناء الجدار الفاصل جدار معنوي آخر، هو كل محصلتهم النفسية عبر السنين، والتي كان من نتائجها الحب الشديد للعزلة والتقوقع، ولعل ذلك المقدار الكبير من الإسرائيليين المؤيدين لبناء الجدار يفصح جلياً عن رغبة معظم اليهود في العودة إلى غيتو، ولكنه غيتو كبير، إن 80 ٪ من المحتلين الصهاينة يؤيدون بشدة إقامة الجدار الفاصل[2]، وهذا المقدار ليس مفاجئاً إذا أيقنا أن اليهود يعانون مرضاً نفسياً وعقدة نفسية كبيرة اسمها التقوقع وراء الأسوار والجدران.

الجدار الفاصل خلاصة التاريخ الاجتماعي

إن التاريخ الاجتماعي لليهود يرتبط أشد الارتباط بالتاريخ النفسي لهم، فالعقدة النفسية التي تحدثنا عنها آنفاً هي أساس التكوين الاجتماعي وعقده لليهود، فالآثار النفسية هي مولد حقيقي للهيئة الاجتماعية، وهي اللبنة الأساسية في البناء الاجتماعي الذي يكون منه وفيه الكيان الصهيوني اليوم.

لقد عاش بنو إسرائيل في كنف المصريين عيشة ذل واحتقار، وفي مجتمع يتطلع إليه المصريون على أنهم أعداء يجب أن يسخّروا ويستعبدوا وكفى، وبعد الخروج واحتلال أرض فلسطين أخذ بنو إسرائيل يكونون تجمعات بشرية ذات مفهوم عقدي واجتماعي واحد، فأخذوا على عاتقهم كما تروي التوراة تحت ذريعة مهاجمة الوثنية بالتمدد، فآثروا على أنفسهم أن يرتكبوا المجازر، ويزرعوا الفتن، أينما حلوا وأقاموا، إلا أن التطورات التي حدثت بعد ذلك أجبرت اليهود أنفسهم على الاختلاط في المجتمعات الأخرى، وتبني مجموعة عقائدها وعاداتها وتقاليدها، ما أغضب أنبيائهم وربهم عليه.

1- ميرون بنفستي، جدار فصل: اسم رهيب، آري شابيط، هآرتس 7 8 2003م.

2 - مقياس السلام لشهر تموز 2003م، 80 ٪ من اليهود في إسرائيل يؤيدون إقامة سور فاصل، بقلم إفرايم يعر وتمر هيرمان، هآرتس، 5\8\2003م.

http://kotob.has.it

وقد عاش اليهود في ظل تلك المجتمعات كما تروي التوراة كباقي الأفراد الذين يكوّنون هذه المجتمعات، وقد ترتب على ذلك بروز صراعات بين اليهود أنفسهم، فمنهم يتحالف مع الفلسطينيين، ومنهم مع الكنعانيين، حتى إن داوود ذاته التجأ إلى الكنعانيين في جت هرباً من شاؤول، وتروي لنا التوراة أن زواج الغريبات وعبادة أصنام الغرباء أصبح شيئاً معروفاً في الحياة الاجتماعية لبني إسرائيل، وهذا إن دل فإنه يدل على أن عدداً من اليهود ذابوا، وانصهروا في بوتقة أقوام أخرى، وتزوجوا منهم وزوجوهم.

إبان السبي عاش اليهود في بلاد الرافدين، كما تخبرنا التوراة عيشة ليست سيئة، فقد كان يمر عليهم فترات يرتفع فيها اليهود إلى أعلى المناصب، وفترات أخرى يتدنون ويصبحون مبغوضين متهمين بنشوب الفتن، هذا ولم يكن باستطاعة اليهود التحرر من السبي من دون معونة طرف خارجي، غرروا به، ليسمح لهم بالعودة إلى أرض الميعاد المزعومة، ويعود اليهود على ثلاثة دفعات، ليجدوا أن عدداً من الفلسطينيين والكنعانيين قويت شكيمتهم، ليأخذوا بإعادة التشكيل الاجتماعي، وكانت أول خطوة هي بناء أسوار القدس والتخلص من النساء الغريبات، حتى يأمنوا على مجتمعهم من الانفتاح مرة أخرى.

ينتهي الحدث التوراتي عند هذا الحد، ليأتي بعده الحدث الإنجيلي الذي يصور الكهنة اليهود بأنهم ذوو سلطة كبيرة مع أن الرومان حجّموا هذه السلطة، وجعلوها مجرد ممثلة لطائفة من الطوائف، وقد كان القادة من الكتبة والفريسيين بجانب الرومان في قصورهم خدماً ووشاة، كما تفصح مقاطع العهد الجديد، الأناجيل بينما كان باقي الشعب يخضع للإرهاب والخوف والفزع، ويضيق بأسلوب الحياة المفروضة عليه، وكان هناك معظم اليهود في مدينة القدس التي أصبحت مرتعاً للربا والتدنيس بعد أن كانت مدينة مقدسة لبني إسرائيل بحسب زعم التوراة، وقد رفض الكهنة اليهود الاعتراف بنبوة المسيح عليه السلام، فسلّموه عبر أحد تلامذته إلى الرومان، ليصلبوه بحسب الرواية الإنجيلية.

بدايات الغيتو اليهودي

يطرد اليهود بعد ذلك وفي عام 135 م من الأراضي الفلسطينية، وتدمر معابدهم، وتحرق كتبهم، لينتشروا في الدول المحيطة بفلسطين، ويبدو أن الغيتو اليهودي أصبح بعد تلك المرحلة في طور التشكيل معنوياً ومادياً، إذا إن اليهود لم يشكلوا أي مجتمع مستقل حتى احتلال فلسطين في العام 1948م، أما تجمعات الغيتو في الجزيرة العربية على يد بني قريظة وبني النضير ويهود خيبر فلم تكن سوى غيتوات متناثرة، إلا أنها كانت مؤثرة

http://kotob.has.it

ومتأثرة في الحياة الاجتماعية مع تقوقعها داخل الحصون أو القرى المحصنة، وتعدّ غيتوات الجزيرة العربية الانطلاقة الحقيقية لمعنى الغيتو العام.

غيتوات أوروبا

لم تكن الدول الأوروبية وشعوبها سوى عدو جديد لليهود، فقد عانى اليهود كثيراً في ظل هذه الدول بسبب مسلكيتهم السلبية، وخصوصاً بريطانيا وفرنسا اللتين أخذتا بملاحقة اليهود بعد العام 1290م. فتوجه اليهود نحو الشمال الشرقي من أوروبا، وخصوصاً بولندا، وحذت إسبانيا والبرتغال حذو فرنسا وإنكلترا، ففي أواخر القرن الخامس عشر طرد اليهود منهما أيضاً، وكان قد درج قتل اليهود في أوروبا بين عامي 1348م - 1349م من المسيحيين وذلك تقربا لله [1].

وأمام هذه الأحوال شعر اليهود بأنهم مكروهون أينما حلوا، فأخذوا يشكلون تجمعات يهودية خالصة في وسط المدن غير الرئيسة، وفي أطرافها متقوقعين داخل هذه التجمعات، يحرصون فيها على حماية أنفسهم وممارسة حياتهم فيها بكل حرية، وقد عرف أول غيتو في أوروبا في البندقية في بدايات القرن السادس عشر 1516م، وبعدها أخذت الغيتوات تنتشر على نطاق واسع مكتسحة المدن الأوروبية، لتتحكم في أسواقها واقتصادها العام.

وعن نشأة الغيتو في أوروبا هناك رأي يفيد أن الغيتو كان عزلة إجبارية فرضت على اليهود لرفض الأكثرية من غير اليهود، تقبل اليهود نفسياً وروحياً، واليهود بذلك يتهمون الدول الأوروبية بأنها لم تكرم وفادتهم، وأنها أنزلتهم هذه الأحياء، رغماً عنهم لتكون بمنزلة سجن لهم [2]، إلا أن الرأي الغالب هو أن اليهود أنشؤوا الغيتو بمحض إرادتهم.

بقيت عقدة الغيتو الذي تحول إلى مدينة داخل مدينة ومجتمع داخل مجتمع تؤرق اليهود، وتدفع بنفسها إلى العمق النفسي الاجتماعي لليهود، ويبرز ذلك خلال عدد من أدبياتهم نهايات القرون الوسطى، حيث أصبح الغيتو الملجأ والمتنفس لكل ما يعانيه اليهود من عداء للمجتمعات التي حولهم، والتي تنظر إليهم نظرة ازدراء واحتقار، فما كان من أصحاب الغيتوات أن جعلوها ملاذاً أخيراً لهم يتحصنون فيه، وينأون عن كل من يريد النيل منهم.

1- التاريخ اليهودي العام، ج 2، ص 52.

2- البعد السيكولوجي في الجدار العازل، دراسة موجزة، د. ليلى أبو المجد، أستاذة الدراسات العبرية بآداب عين شمس، ص 2.

http://kotob.has.it

غيتوات الدول العربية

بعد أن طرد اليهود من فلسطين على أيدي الرومان انتشروا في بقاع كثيرة كما أسلفنا، ومن هذه البقاع الدول العربية المحيطة بفلسطين خصوصاً فأنشؤوا لهم تجمعات داخل المدن، وكانت هذه التجمعات متقوقعة، لا تحتك بالآخرين سوى وقت المصالح، وقد أنشأت لهذه الغيتوات التي عرفت بحارات اليهود في بلاد الشام ومصر والملاح في المغرب العربي بوابات تحول دون دخول غير اليهود إليها، ويغلق ويفتح في ساعات محددة، فكان في داخلها المؤسسة الدينية والاقتصادية والتعليمية، وقد كان ينظر إلى هذه الغيتوات غريبة عن العقد الاجتماعي الذي كان يربط باقي أفراد المجتمع، وقد بقيت هذه الغيتوات، الحارات مثار شك فيما يدبر من داخلها من فتن و خطط لتدمير المجتمعات التي تحيط بها.

لم يتخلص اليهود بعد احتلال فلسطين وهجرة كثير من اليهود إليها من أوروبا أو من الدول العربية من عقدة الغيتو التي تجذرت في النفسية اليهودية، وضربت عميقاً في تكونها، كما لاحظنا ولهذا لم يستطع اليهود أن يشعروا بالأمان أو الاستقرار حتى وقتنا هذا، ولن يشعروا به حتى لو بنوا ألف جدار وألف سور، وقد أصبح هذا الكيان الذي جمّع اليهود من كل الأقطار التي انتموا إليها في فترة زمنية غيتوا كبيراً لم يشعروا في داخله بالأمان، ولن يشعروا به أبداً، ولعل المقولة الإسرائيلية: (السياج الجيد يخلق جيراناً جيدين) لن تتحقق، فربما يكون الجدار جيداً، إنما الفلسطينيون ليسوا جيراناً جيدين في رأي الإسرائيليين الذي يصور الجيد بأنه الذليل والخانع الذي لا يطالب بحقوقه، وفي نهاية المطاف الفلسطيني الجيد لليهود هو الفلسطيني الميت، أما للفلسطينيون فالجيد منهم هو الذي يدافع عن أرضه، ويموت في سبيل الله وسبيلها.

الجدار الفاصل جدار سياسي

لم تتحدد على مر التاريخ تخوم الممالك اليهودية وتجمعاتهم إلا بأسوار وحصون، فكان المعتقد الإسرائيلي قديماً يقول خلال الحدث التوراتي أن كل ما داخل الحصون والأسوار هو للإسرائيليين في إطار مملكتهم، وكل ما خارج الأسوار ليس تابعاً للممالك اليهودية، فحدود تلك الممالك كان مرتبطاً بالحصون والأسوار، وقد أسلفنا الذكر أن الحدث التوراتي يجعلنا نقول إن أرض كنعان أصبحت حصناً كبيراً تتناثر فيه أسوار وقرى حصينة.

http://kotob.has.it

وكذلك الأمر اليوم فكل الدلائل الإعلامية الصهيونية والعربية تشير إلى أن هذا الجدار يرسم مصور الكيان الصهيوني في المستقبل، وهو ليس مجرد جدار أمني فقط، كما روج له كثيرون بل هو أيضاً جدار سياسي، ومع أن الكيان الصهيوني لا يعترف بوجود الخط الأخضر حدوداً لدولته المزعومة، إلا أنه أراد من الجدار أول مرة في إبراز عجز الكيان الصهيوني من التمدد خارج الخط الأخضر تحديد منطقة سيطرة هذا الكيان المغتصب، يقول آري شابيط أحد المحللين السياسيين الصهيونيين: (إن الجدار حيوي ليس لأسباب أمنية ولا حتى سياسية آنية، وإنما لأنه ليس جدار فصل، وإنما جدار تحديد، جدار يحدد أول مرة نطاق السيادة الإسرائيلية في أرض إسرائيل، جدار يحدد أول مرة إلى الأبد نطاق السيادة الإسرائيلية)[1].

ومن ناحية أخرى فقد أجج الجدار الفاصل الشعور بالرغبة من التخلص من حالة الشتات التي كانت على الدوام ملازمة لمسيرة اليهود عبر التاريخ، وتحقيق هذه الرغبة لن يكون إلا في صنع حدود تحدد نطاق الوجود اليهودي، أضف إلى ذلك فقد عزز الجدار الفاصل كما يبدو الشعور بالانتماء أكثر للمكان الذي فيها المحتلون اليهود في فلسطين، يقول البروفيسور دان بار - أون: (قد يتسنى لنا النظر إلى أنفسنا متسائلين: من نحن فعلاً؟، ماذا نريد أن نكون لأننا لم ننجح في وضع حدود لأنفسنا، يبدو أنه ليس هناك احتمال للحصول على إجابات ملموسة مع هذه الأسئلة من دون سور حولنا).

إذاً وكما يبدو للعيان فالجدار الفاصل يحدد نطاق السيطرة الإسرائيلية، ويضع حدوداً إسمنتية لها، وتقول المؤسسة الحكومية بما فيها من دوائر سياسية وعسكرية إن الجدار مؤقت، ولن يطول بقاؤه، ونحن أنفسنا أيضاً نظن أنه مؤقت أيضاً لعدة أسباب، أولها أن الحلم اليهودي بتكوين كيان يمتد من الفرات إلى النيل ما زال يراود حكام هذا الكيان الصهيوني، ولهذا يرفضون أن تكون حدود الجدار الفاصل هي الحدود النهائية لهذا الكيان، والسبب الثاني هو أن الحدود السياسية التي يريد صنعها اليهود بهذا الجدار ليست حدوداً أمنية ما دام العجز اليهودي يتنامى أمام الانتفاضة الفلسطينية، والحدود الأمنية هي فعلياً الحدود السياسية، ولا حدود أمنية لهذا الكيان مادام مغتصباً فلسطين، وهذا ما يدفع بعض الخبراء الأمنيين إلى القول إن أمن الكيان الصهيوني لا يعرف حدوداً، أما السبب الثالث فهو يتعلق بالنبوءة القرآنية في سورة الإسراء من أن هذا الكيان سيزول إلى الأبد.

1- جدار فصل: اسم رهيب، آري شابيط، هآرتس 7/ 8/ 2003 م.

http://kotob.has.it

ومن ناحية أخرى فإن الجدار الفاصل يقضي على كل آمال الفلسطينيين في تشكيل دولة لهم، وهو يحول الوجود الفلسطيني كما يقول أحدهم إلى نوع من البانتوستان، يغلق الكيان الصهيوني بواباته متى شاء، إلى جانب كل ذلك فإن الكيان الصهيوني يستمر في سياسة التوسيع والقضم بحجة الجدار الفاصل، ولا يتوانى لحظة عن توسيع حدود هذا الكيان على حساب ما تبقى من الأرض الفلسطينية.

الجدار الفاصل، وجدوى الأسلحة التقليدية وغير التقليدية

يمتلك الكيان الصهيوني ترسانة عسكرية كبيرة، بل ويعد رابع دولة في العالم من حيث صناعة الأسلحة والتجارة بها، ومع هذا كله يلجأ الكيان الصهيوني إلى وسيلة تقليدية قديمة، يتذرع بها لكف الهجمات الفلسطينية، وهي الجدار الفاصل، فإذا كان الكيان الصهيوني قد اتكل أخيراً على الجدار الفاصل فما جدوى كل الأسلحة الأخرى؟، إن التاريخ العسكري كما هو موجود في الحدث التوراتي ينحصر تقريباً في الحصون، والآن يلخص الصهاينة اليوم هذا التاريخ في الجدار الفاصل، إن الأسلحة التقليدية وغير التقليدية أخذت تصنع للقتال من وراء الجدار ولقصف الفلسطينيين وقتلهم من دون أن يظهر أي جندي حاملاً سلاحه، وعليه فالمستقبل العسكري لهذا الكيان في الصراع الفلسطيني الصهيوني يستند إلى الجدار الفاصل.

ولا ندري ما فلسفة النصر عند اليهود المحتلين حين يعدون أن الجدار الفاصل هو الذي سيكتب الانتصار اليهودي على الفلسطينيين، يقول أمنون سوفير البروفيسور في علم السكان: (الجدار هو الحل لبقاء إسرائيل، إنه الوسيلة الوحيدة للانتصار على الرحم الفلسطيني، إذا سقط السور فسيغمرنا طوفان هائل من الفلسطينيين)[1]، إن هذا الكلام يثير عدة تساؤلات، أهمها أين أسلحة الكيان الصهيوني، ليصبح الجدار هو الحل الوحيد للقضاء على الفلسطينيين؟، وهل هذا الجدار قنبلة ذرية، لا تبقي ولا تذر؟، سندع المستقبل يجيبنا عن هذا السؤال.

نحميا التوراتي، وهرتزل، و شارون، القدس والجدار الفاصل

ذكرنا سابقاً ما كان من أمر نحميا والقدس، وكيف أن أول شيء أراده للقدس هو محو العار الذي سيتحقق ببناء أسوارها، ومن ثم التخلص من الغريبات، أما هرتزل فنظر

1- مجلة المجاهد، العدد 386، ص 115.

http://kotob.has.it

إلى القدس مكاناً للقذارات والعفونة، وحلم بمستقبلها الذي يزال منه كل ما ليس مقدساً فيقول: (إذا ما حصلنا على القدس يوماً فسأبدأ بتنظيفها قبل كل شيء، سأبدأ بإزالة كل ما ليس مقدساً وسأقيم بيوت العمال خارج المدينة، وأفرغ أعشاش القذارات وأهدمها، إشارة إلى الكنائس والمساجد، وأحرق الآثار العلمانية، وأنقل الأسواق إلى غير مواضعها الآن، وعندها أبقي على النمط المعماري القديم قدر الإمكان، وأبني حول الأماكن المقدسة مدينة مريحة منشرحة الصدر)[1].

إن تطلعات نحميا وأحلام هرتزل آخذة في التحقيق على يد شارون، ولكن على طريقته الخاصة، وهي فصل مدينة القدس عن محيطها العربي والإسلامي فصلاً تاماً عن طريق بناء الجدار الفاصل، فمنذ احتلال باقي القدس عام 1967م عمل الكيان الصهيوني بمجمله على محاولة فصلها عن الضفة الغربية ذات الأغلبية العربية، ومن ثم محاولة تفريغ أهلها العرب تارة بالإجبار، وتارة بمغريات كبيرة، وطوال السنوات الماضية لم يستطع الصهاينة تفريغ القدس من أهلها وعزلها أيضاً،ويأتي الجدار الفاصل محاولة أخيرة لتحقيق ما تتطلع إليه المؤسسة الدينية والعسكرية في الكيان الصهيوني ونلاحظ ذلك في عدة مواضع :

يقول الصحافي اليهودي المعروف عكيفا الدار: (على نحو سري وتحت غطاء الحاجات الأمنية ومن دون نقاش جماهيري يجري في القدس أكبر التغييرات درامتيكية منذ قرار توحيد شطريها قبل 36 سنة في إشارة إلى احتلال القدس كاملة في عام 1967م في ذلك الحين أزالت إسرائيل الحواجز المادية بين شرقي المدينة وغربها وبين سكانها اليهود والعرب، أما الآن فهاهي تقوم بتركيب حواجز مادية، الجدار الفاصل بين مواطن عربي وابنه، وبين طالب عربي ومدرسته، فهذا الجدار يقوم اساساً بعزل شرقي المدينة عن الضفة الغربية وبين 300 ألف مواطن فلسطيني في القدس وإخوانهم الذين على الجانب الآخر من هذا الجدار من بينهم ربع مليون من مواطني شرقي القدس و50 ألف من مواطني الضفة [2].

إن ذلك يعني أن المحتلين الصهاينة ماضون عبر هذا الجدار إلى التضييق على العرب المقيمين في القدس الشريف، حتى يخرجوا من مدينة القدس وإلى الأبد، وسيكون الجدار

1- يوميات هرتزل، الدولة اليهودية، ص 745.

2- مصور القدس الجديدة، عكيفا الدار، هآرتس 30/ 8/ 2003م.

http://kotob.has.it

حجر عثرة في وجه المقدسيين يحول دون أن تسير حياتهم على نحو طبيعي، ومع اعتراف القواد العسكريين الصهاينة بأن عرب القدس لا يشكلون خطراً على أمن الكيان الصهيوني، لأنهم مسجونون أصلاً ضمن إطار من التجمعات الصهيونية، إلا أن ضرورة بناء الجدار في القدس تقتضيها الخطة المستقبلية في جعل القدس مكاناً خالياً من كل ما عدا اليهود، كما أراد لها نحميا وهرتزل والقائمون على الكيان الصهيوني اليوم، ونذكّر هنا بقول وزير الأمن الداخلي الصهيوني: (إن الحرم القدسي سيظل من اليوم فصاعداً مفتوحاً إلى الأبد أمام غير المسلمين) .

ومن ناحية أخرى تعمل المؤسسة الدينية والعسكرية منذ اليوم الأول على احتلال القدس على تهويد معالم المدينة الأثرية التي تتكلم بلغة الإسلام، وتلك التي تتكلم بلغة المسيح، ولسنا هنا بصدد الحديث عن تهويد المعالم، لأن دراسات كثيرة ظهرت بهذا الشأن، إلا أن الجدار الفاصل وليس في القدس فقط يساعد على تهويد الأماكن والآثار العربية كثيرة في غفلة من الإعلام العالمي ومواثيق الأمم المتحدة.

خلاصة

لاحظنا كيف أصبح الجدار خلاصة التاريخ اليهودي وزبدته، التاريخ الديني والنفسي والاجتماعي والسياسي لهؤلاء المفسدين في الأرض، وقد رفدت المكتبة العربية بعدد من الدراسات عن هذا الجدار الذي يعد جدار العصر الحديث، وجميع هذه الدراسات أجمعت على أنه ليس كسور الصين العظيم، وليس كسور برلين، بل هو نموذج حديث لعنصرية قديمة، ووجه من وجوه الشخصية اليهودية القديمة والمعاصرة.

ويعول اليهود اليوم كثيراً على هذا الجدار في خططهم المستقبلية في استكمال السيطرة على ما تبقى من فلسطين والأرض العربية، ولا يظنن أحد أن هذا الجدار هو خرسانة إسمنتية فقط ففي كل لبنة من لبناته وفي كل حبة رمل يعمر بها تاريخ دموي، ذبح اليهود فيه الآلاف، تاريخ ديني صار فيه الرب الرحيم رب الجنود ورب القوات والإفناء، تاريخ اجتماعي قوقع اليهود أنفسهم في داخله، تاريخ سياسي يجسد الحلم اليهودي الصهيوني بإنشاء دولة حقيقية، تاريخ نفسي استعبد فيه اليهود، فأفرز انتقامهم من الاستعباد الأول، تاريخ خاف اليهود فيه من غيرهم بسبب إفسادهم وفتنهم وخيانتهم الدائمة.

http://kotob.has.it

إن الجدار الفاصل يعد حقاً خلاصة التاريخ الإسرائيلي، وهو الآن يعد جداراً فاصلاً بين كل شيء في الماضي الإسرائيلي ومستقبلهم، وسلسلة من الأحداث التي عاشها اليهود، وسيعيشونها في المستقبل، إن عاشوها، نعم هو جدار فاصل بين إفسادين وعلوّين، وهو الحلقة الأخيرة قبل الدخول الأخير لبيت المقدس من عباد الله.

http://kotob.has.it

المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم .

2- صحيح البخاري.

3- السيرة النبوية لابن هشام.

4- السيرة النبوية لابن شهبة.

5- السيرة الحلبية .

6- السيرة النبوية للدكتورعلي الصلابي.

7- الدر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي.

8- تفسير القرآن الكريم، وإعرابه وبيانه، للشيخ محمد علي طه الدرة.

9- التفسير التطبيقي للكتاب المقدس شركة ماستر ميديا - 2002 القاهرة .

10- الفيروز أبادي - القاموس المحيط .

11- تاريخ الطبري .

12- تاريخ اليعقوبي .

13- آثار الوطن العربي القديم.العراق - سورية - مصر منشورات جامعة دمشق ط1999م.

14- التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها .رؤية جديدة لإسرائيل القديمة وأصول نصوصها المقدسة على ضوء علم الآثار Neil Asher Silberman– Israel Finkelstein ترجمة سعد رستم. دار صفحات ط1 2007م. دمشق.

15- أورشليم وأرض كنعان.حوار مع أنبياء وملوك إسرائيل شركة الشرق الأوسط للطباعة 1985 .عمان .

16- كاثلين كانون.الكتاب المقدس والمكتشفات الأثرية الحديثة.تعريب شوقي شعث وسليم زيد دار الجيل ط1 1990 دمشق .

17- جون إدلر الأحجار تتكلم علم الآثار يؤيد الكتاب المقدس تعريب د عزت زكي دار النشر الأسقفية بيروت .

18- أحمد سوسة - ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق.المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط2 .

19- غطاس عبد الملك خشبة.رحلة بني إسرائيل إلى مصر الفرعونية والخروج دار الهلال القاهرة دون ط دون ت.

20- كليفورد لونجلي.الشعب المختار الأسطورة التي شكلت إنجلترا وأمريكا .تعريب دقاسم عبده قاسم.مكتبة الشرق الدولية ط1 .

http://kotob.has.it

21- نزيه الحسن.الجذور التوراتية للمذهب الفرويدي، دراسة جديدة لمذهب فرويد في أصوله. دار الحلبي للطباعة والتجليد ط1 1988م.

22- صابر طعمة.التاريخ اليهودي العام، دار الجيل ط 3 ج 2 1991 .بيروت.

23- فتحي محمد الزعبي، تأثر اليهودية بالأديان الوثنية.دار البشير ط1 1994م.

24- مصطفى الخالدي وعمر فروخ - التبشير والاستعمار - دون ت ط5 .

25- د جواد علي.تاريخ العرب قبل الإسلام .

26- هرتزل، الدولة اليهودية.

27- أنتوني كورديسمان في مواجهة الجدار إسرائيل، الفلسطينيون وتأثير النظام العازل الإسرائيلي الجديد على عملية التسوية.ترجمة أكرم ألفي.مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية. واشنطن.

28- ليلى أبو المجد .البعد السيكولوجي في الجدار العازل، دراسة مصغرة .

29- حاجز الفصل والقانون الإنساني الدولي، برنامج جامعة هارفرد للدراسات السياسية والنزاعات الإنسانية.مبادرة دراسة القانون الدولي .

30- الجدار الفاصل، إصدار ممثلية منظمة التحرير الفلسطينية بدمشق .

31- مرشد إبراهيم، جدار الفصل العنصري، العودة إلى أسوار الغيتو. مجلة المجاهد العدد 370 .

32- مجلة المجاهد العدد 386 .

33- آري شابيط.جدار فصل إسم رهيب، هآرتس 7 \ 8 \ 2003م.

34- إفرايم يعر - تمر هيرمان، مقياس السلام لشهر تموز - يوليو 2003م، هآرتس 5 \ 8 \2003م.

35- عكيفا الدار، مصور القدس الجديدة، هآرتس 30 \ 8 \ 2003م.

http://kotob.has.it

فهرس مفصل

المقدمة 9

أسفار التوراة، وأهم الأحداث فيها 13

الفصل الأول: علاقة بني إسرائيل بالحصون والأسوار منذ الخروج وحتى السبي البابلي 17

لمحة عن تاريخ بني إسرائيل بحسب التوراة قبل الخروج 19

الجدار وفكرة الخلاص الأولى 20

برج بابل والتوراة: 20

القصة من وجهة نظر التاريخ والآثار 21

ذرية إسماعيل، وأسماء حصونهم 22

موسى عليه السلام وبنو إسرائيل، (الجدر فكرة الخلاص الأولى) 23

الأماكن الرئيسة في سفر الخروج 24

الجدار ويشوع وعبور نهر الأردن 27

هل حصون المدن التي غزاها العبرانيون حقيقة أم خيال؟ 28

هل حصون المدن الكنعانية موجود فعلاً ؟ 29

وصف التوراة للأرض والمدن الكنعانية (الحصون المنيعة) 30

التبشير بعبور نهر الأردن وامتلاك شعوب ومدن حصينة 31

الحصون التي دمرها بنو إسرائيل منذ الخروج بحسب النص التوراتي 32

تدمير أريحا 33

السور ينهار بسبب أبواق بني إسرائيل 33

المدن الحصينة وتقسيمها على أسباط بني إسرائيل 34

إحراق برج شكيم (نابلس) 36

مقتل أبيمالك على بوابات برج حصين 36

سفر يشوع و القضاة والتناقض في فتح المدن 37

من نصدق ومن نكذب؟ 37

داوود والحصون 37

انتصارات داوود: 39

مزامير داوود والأسوار والحصون 40

وصف الله بالقلعة والحصن 41

الحصن الإلهي في حاجة إلى حصن إنساني للقضاء على الأعداء – داوود يبني حصناً لله 42

http://kotob.has.it

المدينة الحصينة وتعلق القلوب بأسوارها 42
داوود يؤتى عجائب رحمة الرب في مدينة حصينة 43
داوود ينشد السلام لأسوار أورشليم 43
علقوا قلوبكم بأسوار صهيون 43
سليمان وملوك بني إسرائيل والحصون 45
بناء الحصون في زمن سليمان 45
تسخير سليمان للشعوب التي لم يجرِ إفناؤها في بناء صروحه 45
مدن سليمان وحصونه وبواباته هل وجدت فعلاً؟ 46
لا وجود لمدن ولحصون ولبوابات سليمانية 46
سليمان ومحبوبته السور ونهداها البرجان 47
الملك شيشق المصري يغزو يهوذا ويستولي على مدنها الحصينة 48
الملك آسا، وبناء الحصون في أثناء استراحة الأرض من الحروب 49
يهوشافاط يبني مدناً حصينة 50
تدمير سور أورشليم على يد مملكة إسرائيل 50
عزّيا وتدمير الأسوار وبناؤه الأبراج 50
اختراع المنجنيقات على يد رجال عزيا 51
يوثام يبني الحصون ويزيد على الأسوار 52
تحصينات وأسوار حزقيا، وحملة سنحاريب الأشورية 52
تدمير جيش سنحاريب بوساطة ملاك الرب 52
السبي البابلي لمملكتي يهوذا والسامرة 53
أين الحصون؟، أين القلاع؟، أين الأسوار؟ 55
الاتكال على الحصون والثقة بها 57
لعنات الرب بتدمير الحصون التي يثق بها بنو إسرائيل 57
الرب يحض على غزو مملكة يهوذا وتدمير الحصون التي يثقون بها 58
تعلق القلوب بالأسوار لا بالرب خالق القلوب 58
الخلاص في الأسوار والمدن المنيعة 58
الاتكال على غير الرب نتيجته تهديم الحصون 59
غضب الرب وتهديم الأسوار 59
يخربون بيوتهم بأيديهم 60
الحادثة الأولى 60
هدم البيوت واحتجاجات النبي إشعيا على هدمها لبناء السور 60

http://kotob.has.it

الحادثة الثانية 60
هدم وفجوات في السور للهرب 60
نبوءة بتخريب أسوار أورشليم بأيدي قاطنيها من الإسرائيليين..... 61
قوانين الحرب التوراتية 61
الحصون من مهمة الدفاع إلى مهمة الهجوم 62
الخلاصة: 64
الفصل الثاني: نبوءات السبي، والسبي البابلي بين تدمير الحصون وبناء الأسوار 67
نبوءات التوراة والحدث التاريخي..... 69
نبوءات إشعيا 70
يوم للرب يدمر فيه الأسوار 71
تدمير دمشق والمدينة الحصينة في إفرايم 71
نبوءة عن تدمير حصون كنعان وصيدا و صور 72
أسوار موآب تتساوى مع التراب 73
استكمال النبوءة 73
نبوءة في حصون أدوم 74
نبوءات إرميا في هدم الأسوار 74
إرميا قوي كمدينة حصينة وكعمود من حديد وكأسوار من نحاس 74
نبوءة وعيد الرب بالتدمير والخراب 75
لا مانع من غضب الرب، حتى الحصون التي تتكلون عليها 75
حصن موآب يلحق به الخزي والعار والرعب 76
إضرام النار في أسوار دمشق 76
عقاب بابل بسبب سبي الإسرائيليين وتقويض أسوارها 77
إعلان من الرب بهدم سور بابل 77
نبوءات حزقيال في هدم الأسوار 78
مهاجمة الأمم لصور وهدم حصونها وأبراجها 78
عقاب صور (رد الصاع صاعين) 79
النبوءة وحلم الانتصار على صور، ومزاجية رب بني إسرائيل 80
نبوءة تهديم السور الذي يمثله أنبياء إسرائيل الكذبة 80
أنبياء آخرون ونبوءات كثيرة 81
تدمير حصون بني إسرائيل في سفر هوشع..... 81
جنود يتسلقون الأسوار ويثبون عليها في سفر يوئيل 81

http://kotob.has.it

نبوءات تدمير حصون دمشق وغزة وأدوم وموآب وعمون ويهوذا والسامرة في سفر عاموس 82
النيران ستلتهم حصون بنهدد ملك دمشق 82
نار على أسوار غزة تلتهم الحصون 82
النار ستلتهم حصون صور وأسوارها 83
حصون بصرة الأدومية تلتهمها نيران تيمان 83
إضرام النار في سور ربة عاصمة عمون، فتلتهم حصونها 83
نار تلتهم موآب وحصون قريوت 83
خطيئة السامرة وعقابها بتحطيم الحصون 84
ناحوم وتدمير حصون نينوى 84
القتال ضد المدن الحصينة بات وشيكاً 84
زكريا ونبوءاته عن المدن المحيطة ببني إسرائيل 85
معاقبة كل المدن انتقاما لبني إسرائيل 85
خلاصة 86
أين المدن المحصنة لبني إسرائيل وأسوارهم من النبوءات؟ 86
أسوار أورشليم، العار لبني إسرائيل مادامت مهدومة 87
لمحة عن القدس (أورشليم) في التوراة 87
أولاً- نبوءات أسوار القدس قبل السبي وفي أثناءه 88
نبوءة عن نقب حصون أورشليم بأيدي آهليها 88
الويل لأورشليم 89
بناء الأسوار بالحجارة الكريمة 89
أسوار أورشليم يبنيها الغرباء، ويخدمها الملوك والأسوار خلاص والبوابات تسابيح 90
الابتهال على أسوار أورشليم 90
حزقيال ونبوءاته عن أسوار أورشليم 90
تمثيل حصار أورشليم 90
موت المتمنعين بحصون أورشليم بالوباء 91
نبوءة عاموس عن تدمير حصون أورشليم 91
نار تلتهم حصون أورشليم 91
الرب سور نار لأورشليم في سفر زكريا 91
ثانياً- محبة الله لأسوار أورشليم 92

http://kotob.has.it

صهيون على كف الرب منقوشة، وأسوارها من نظره لا تبرح 93
ثالثاً- في بيت الله وأسواره يبذل الرب عطاياه..... 93
رابعاً- أسوار أورشليم في مراثي إرميا 93
بكاء أسوار ابنة صهيون 94
أسوار (أورشليم) بعد النبوءات 94
محاولات بناء المدينة والسور والهيكل المزعوم 94
لم يبن اليهود أي هيكل، بل شرعوا ببناء المدينة والسور 96
توقف البناء في المدينة 96
إعادة البناء 96
نحميا وعار بني إسرائيل في انهدام أسوار أورشليم 98
الشقاء والعار العظيم لأن أسوار أورشليم منهدمة وأبوابها محروقة 98
عودة نحميا لأورشليم، وتفقد الأسوار في أول خطوة له بعد العودة 100
عود على بدء: بناء الأسوار وعدم مقاساة العار..... 100
بناء السور عصيان لأوامر الملك 101
إتمام بناء السور وسخرية العرب والعمونيين والأشدوديين من اليهود 101
تدشين سور أورشليم وتراتيل الحمد لبنائه 103
الفصل الثالث: اليهود في الجزيرة العربية وقصة أخرى لعلاقة اليهود بالحصون والأسوار 105
لمحة عن تاريخ اليهود في الجزيرة العربية 107
نظريات الوجود اليهودي في الجزيرة العربية..... 107
يهود الجزيرة العربية عرب متهودون 108
الديانة اليهودية صبغت الأقوام بطابعها 110
اليهود والبعثة الإسلامية، محاربة التوحيد والتحالف مع الأوثان 111
الحصون اليهودية في الجزيرة العربية، لماذا بنيت؟، ومتى؟ 112
الحصون والأسوار 114
القرآن الكريم، وحصون بني إسرائيل..... 114
حصون اليهود في الجزيرة العربية..... 115
حصون بني النضير 115
حصون بني قريظة 115
حصون خيبر 115
الحرب على اليهود وحصونهم 116
غزوة بني النضير أو إجلاؤهم 116

http://kotob.has.it

غزوة بني قريظة وصياصيهم 117
حصون خيبر المنيعة تتقهقر أمام المسلمين 118
القرآن والتوراة وحصون اليهود 120
الاتكال على الحصون..... 120
وقذف في قلوبهم الرعب..... 120
يخربون بيوتهم بأيدهم 121
النبوءة القرآنية والنبوءة التوراتية 122
لا يقاتلونكم إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر .....خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.
أو من وراء جدر..... 124
جدر لا جدار؟ 124
هل يبني اليهود الجدار الفاصل تلبية لأمر إلهي 126
خلاصة 127
الجدار الفاصل الجدار الأخير..... 128
الفصل الرابع: الجدار الفاصل خلاصة التاريخ الديني و النفسي والاجتماعي والسياسي لبني إسرائيل..... 129
الجدار الفاصل خلاصة التاريخ الديني ليهود اليوم..... 131
كيف يصبح الجدار غاية دينية 131
البعد النفسي (السيكولوجي) لبناء الجدار الفاصل 134
بنو إسرائيل عبيد الفراعنة لبناء الحصون..... 134
الجدار الفاصل والعقد الجنسية 137
الجدار شوليت عشيقة سليمان التوراتي..... 137
جدار معنوي قبل الجدار المادي 138
الجدار الفاصل خلاصة التاريخ الاجتماعي 140
بدايات الغيتو اليهودي..... 141
غيتوات أوروبا 142
غيتوات الدول العربية 143
الجدار الفاصل جدار سياسي..... 143
الجدار الفاصل، وجدوى الأسلحة التقليدية وغير التقليدية 145
نحميا التوراتي، وهرتزل، و شارون، القدس والجدار الفاصل 145
خلاصة 147

http://kotob.has.it

من إصدارات

صفحات للدراسات والنشر

نحو فكر حضاري متجدد

سورية - دمشق - ص.ب: 3397

هاتف 2213095 تلفاكس: 00963112233013

www.darsafahat.com info@darsafahat.com

1) خديعة مخطوطات البحر الميت - مايكل بيجنت - ترجمة وتعليق وسيم حسن عبده -2009م.

2) الجزيرة الفراتية وديارها العربية(ديار بكر، وديار ربيعة، وديار مضر)دراسة في التاريخ الديني والسياسي والاجتماعي قبل الإسلام - د .عبد الحكيم الكعبي - 2009م.

تقع الجزيرة الفراتية في قلب العالم القديم، بين أعالي نهري دجلة والفرات، وهي بذلك تحتل الجزء الشمالي الغربي من أرض العراق، والشمالي الشرقي من سوريا، وقد أطلق عليها البلدانيون العرب اسم «الجزيرة»، وورد ذكرها في الكتاب المقدس «سفر الخليقة» باسم «أرض شنعار»، ويدعوها الكلدان «بيث نهر أواثا» أي بين نهرين، وأطلق عليها اليونان اسم « Mesopotamia ميزوبوتاميا»، ويبدو أن المؤرخ اليوناني بوليبوس (202–102 ق.م) كان أول من استخدم هذا المصطلح ((Mesopotamia، ثم تبعه الجغرافي المعروف سترابو (64 ق.م – 25 م)، ويقصد به ذلك الإقليم المحصور بين أعالي نهري دجلة والفرات ومنابعهما، وهو يرادف مصطلح الجزيرة الذي أطلقه البلدانيون العرب على الإقليم نفسه، تعد هذه الدراسة للأحوال الاقتصادية والدينية والسياسية والاجتماعية للجزيرة الفراتية قبل الإسلام ذات أهمية كبيرة، كونها كشفت عن أحداث حقبة تاريخية مهمة في تاريخ العرب، سبقت انطلاقتهم الحضارية الكبرى في مطلع القرن السابع الميلادي، وقد توافرت لها مصادر مهمة ومتعددة، منها العربية الإسلامية ومنها السريانية واليونانية القديمة، فضلاً على المصادر العربية المسيحية.

3) إراءة التأويل ومدارج معنى الشعر، عبد القادر فيدوح 2009م.

إذا كان مقياس الرؤية الموجهة سبيلاً للوصول إلى الحقيقة في نظر المفسرين، فإن ذلك في نظر المؤولين يجرد النص من إمكان تحققه أنى شاء، وفي ظل هذه الظرفية يعد جهد المؤول مسوغاً طبيعياً لاكتناه سياق باطن النص الذي تستلطفه الذات، وتستجلبه المتعة، حيثما كانت، لمعانقة المأمول والتوق إلى المبتغى، في مقابل الوضع بالمعمول، والشعور بالسأم الذي فرضه المدلول المعيّن، وفي ظل هذا التصور المحض يأتي المؤول ليرأم المسؤوم من معهود النص، ويتعامل مع المضمر الخفي الذي يتحد مع ما يشغل رؤاه في استبطانها الكشفي، أي من تجسيد فاعلية الحدس والرؤية التأملية، رغبة منه في تجاوز ظاهرة « النص وثيقة» أو «مدونة تاريخية».

4) إشكالية الترجمة،د. ياسمين فيدوح بوربيع،2009م.

تشهد الدراسات الحديثة في مجال الترجمة الكثير من التطور مع الخلاف البيّن بينها وبين الأدب المقارن الذي كان يَعُدُّ نفسه دوماً رسولاً للعالمية بتجاوزه الحدود ومد الجسور، إلى أن تنامت ظاهرة الترجمة في السبعينيات من القرن العشرين والتي تعد نفسها أيضاً رسالة هذا الرسول بركوبها صهوة النقل، فأخذتها أَخْذة رابية، بتبنيها نقل النص من لغة المصدر إلى لغة الهدف، واستيلائها على قمة ما توصلت إليه الدراسات المقارنة، فترتب على ذلك اختلاف في وجهات النظر.

ما العلاقة بين دراسات الترجمة والأدب المقارن؟، وهل دخل حقل الأدب المقارن في لا معقولية التواصل معه، بعد أن عُدّ نشاطه مؤخراً هامشياً؟، وهل ما زال يصارع وضع القالب الشكلي الذي حَصَرَ نفسَه فيه؟، وهل الأدب المقارن في وضع حَرِج من تنامي دور الترجمة؟، وهل أصبحت الترجمة تخترق فعلاً الحدَّ الفاصلَ بينها وبين الأدب المقارن؟، وما الذي جعل الترجمة تتداخل مع الدراسات المقارنة؟، أم إن هناك اهتمامات مختلفةً في المنهجية بينهما؟، وما الذي يميزها في تجاوز علاقتها بالأدب المقارن؟، وهل أصبحت الدراسات التَّرجمية حقلاً دراسياً بِنْياً، وحاجة ماسة لإغناء اللغة المحلية وتطويرها بفعل التأثيرات المتبادلة؟، وما مكانة الثقافة الوطنية في ظل التحولات الفكرية التي تدعو إليها ثقافة الهدف؟، وهل الترجمة وفية في مهامها؟، أم إنها - وفق تعبير القول الفرنسي المأثور - كـ «الخائنات الجميلات» « Les belles infidèles» في خيانتها للنص الأصلي. وإذا كانت هذه الأسئلة

http://kotob.has.it

هي ما يسوقه متن البحث في محاولة للإجابة عنها، إما مباشرة وإما ضمناً، فإنها كانت الحافزَ الذي شجع د .ياسمين على اختيار هذا الموضوع.

5) من قضايا الفكر اللساني في النحو والدلالة واللسانية ، صابر الحباشة،2009م.

يحاول هذا الكتاب أن يتطرّق إلى بعض المسائل التي تهمّ اللسانيات والبلاغة والتداولية والأسلوبية والنحو وفلسفة اللغة، باقتراح بعض التصوّرات التي تعبّر عن رغبة جامحة في تطوير الرؤية إلى مختلف فروع اللغة العربية، ولا سيما ما اتصل منها بالعلوم الدلالية. ويجد القارئ في هذا الكتاب طرحاً لمشكلات العلاقة بين القراءة والكتابة، والأسلوبية والتداولية، ومقارنة بعض نظريات الجرجاني وبما جاء به أوستين في موضوع صور المعاني، كما يطرح هذا الكتاب جزءاً من التحليل الحديث للمعنى في بعض النظريات اللسانية.

6) التعددية الفكرية وشرعية الاختلاف . د .عبد الحكيم الكعبي . 2009م.

إن الوسطية الإسلامية وما يتصل بها من معاني التعددية وشرعية الاختلاف تعد ركناً مهماً من مشروع الإسلام الحضاري الرافض لكل أشكال التطرف الذي يصادر الحقيقة باسم الدين، ويشرّع للاستبداد والعنف، ويفرض الرأي، ويحرّم المشاركة، سواء في العلم أم في السلطة. وليس ثمة شك في أن الإسلام، وهو يقر ابتداء بشرعية الاختلاف وحقيقته بين الناس والمعتقدات، يؤكد قيمة الشراكة وأهمية التعايش والحوار مع الآخر.

7) الفكر الشيعي المعاصر، رؤية في التجديد والإبداع الفلسفي،(الصدر، المدرسي، الميلاد) نماذج، علي عبود المحمداوي،2009م.

يعرض المؤلف ما قدمه مفكرو الشيعة في مجال الفكر الفلسفي (بمقولاته الكلاسيكية أو المعاصرة) من منظور هذه المدرسة، والتي نحددها زمنياً بالفترة المعاصرة (والتي أصبحت تقاس من بدايات القرن العشرين إلى مزامنة أيامنا الراهنة من القرن الحادي والعشرين)، ما الفكر الشيعي، الإسلامي؟، وهو الفكر الديني الذي يتبنى القواعد والمنهجيات التي ترتبط بالشيعة الاثني عشرية الذين يؤمنون بمسألة الإمامة بعد النبي محمد إلى آخر السلالة، ونماذج بحثنا (محمد باقر الصدر، و محمد تقي المدرسي، و زكي الميلاد) مثلوا هذا الفكر من جهات عدة، منها الأسس والمنطلقات في مصدرية التشريع والخطاب لديهم باعتمادهم أقوال الأئمة الاثني عشر وأفعالها وتقاريرها، وأخرى غيرها من المشتركات التي يشترك فيها الفكر الإسلامي عموماً، كالتسليم بعصمة النص القرآني واعتماد قول النبي وفعله وتقريره.

8) القرآن الكريم والقراءة الحداثية دراسة تحليلية نقدية لإشكالية النص عند محمد أركون، الحسن العباقي ،2009م.

إن أعمال محمد أركون لم تستطع التخلص من الطروح التبشيرية والاستشراقية القديمة، بل إنه قد أضاف إلى تلك الطروح أسلوباً استفزازياً مليئاً بالقدح والتجريح والقذف، ما ينمّ عن العجز عن تقديم البديل، مع الركون إلى التّكرار و«التبشير» بالعلوم الإنسانية والقراءة الحداثية بعيداً عن ضوابط القراءة مع الغفلة عن الخصوصيات التاريخية والفكرية، ما يجعل كل أعمال أركون عن الفكر الإسلامي نموذجاً ممتازاً للفكر الإسقاطي البعيد عن الضوابط المنهجية المراعاة في العلوم الإنسانية عامة، خاصة إذا أدركنا طغيان النزعة النسبية لديه، والتي تكرسها الرؤية العلمانية التبسيطية للأديان. ولا شك في أن هذا الكتاب يضعنا أمام تلك المشكلات التي برزت منذ أواخر القرن العشرين إلى الصدارة، وأصبحت لا تقل أهمية عن القضايا السياسية أو الاقتصادية، إنها المشكلات الحضارية التي يشكل الدين والهوية والقيم أهم تجلياتها، حتى صارت السنوات الأخيرة من القرن العشرين وهذه السنوات العجاف الأولى من هذا القرن سنوات صراع القيم والمفاهيم الأخلاقية والسياسية، ما يتطلب ضرورة التسلح برؤية فلسفية، ومنهجية نقدية قادرة على التمييز بين الصريح والمضمر، بين العلمي والإيديولوجي، فيما تعج به الساحة الثقافية والإعلامية والتربوية والسياسية من خطابات ومشاريع إيديولوجية.

9) قواعد اللغة الأكدية . د .فوزي رشيد 2009م.

اشتقت تسمية اللغة الأكدية من اسم الأقوام الأكدية، وهي أولى الأقوام الجزرية المعروفة التي استوطنت أواسط وجنوبي العراق منذ مطلع الألف الثالث قبل الميلاد، وقد استخدمت تسمية (اللغة الأكدية) لأول مرة من قبل العالم رولنصن عام (1852)، للدلالة على اللغة الثانية التي تضمنتها النصوص ثنائية اللغة المكتشفة في مدينة نينوى

http://kotob.has.it

وغيرها ثم تبين خطأ هذه التسمية حيث أتضح أن لغة تلك النصوص هي في الواقع لغة الأقوام السومرية، وبعد أن عرف تاريخ الأكديين وتاريخ دولتهم الأكدية استخدمت التسمية بمعنى ضيق ومحدود للدلالة على لغة الأقوام الأكدية التي أسست دولتها التي عُرفت بالإمبراطورية الأكدية وخلفت لنا بعض النصوص، ثم سرعان ما اتسع مدلول التسمية وغدت تستخدم للدلالة على جميع اللهجات المتفرعة عن اللغة الأكدية والتي انتشرت فيما بعد في بابل وأشور منذ أواسط الألف الثالث قبل الميلاد حتى أواخر الألف الأول قبل الميلاد عندما تضائل استخدام اللغة الأكدية ثم تلاشى أمام اللغة الآرامية وغيرها من اللغات التي استخدمت في وادي الرافدين بديلاً عن اللغة الأكدية، أي أن مصطلح (اللغة الأكدية) بهذا المفهوم الواسع أصبح يدل على جميع اللهجات (اللغات) التي تكلمت بها الأقوام الأكدية والبابلية والآشورية والكلدية واستخدمتها للتدوين. كما يدل المصطلح أيضاً على جميع اللهجات المتفرعة عن هذه اللهجات الرئيسة التي استخدمت في مناطق معينة وفترات زمنية محددة كاللهجة الأكدية التي استخدمت في بلاد عيلام واللهجة الأكدية في منطقة كبدوكيا في آسيا الصغرى ولهجة العمارنة في مصر.

10) قواعد اللغة السومرية - د .فوزي رشيد 2009م.

إن الإنجاز الأهم في تاريخ الحضارة السومرية هو بلا شك اختراعهم أقدم كتابة في تاريخ البشرية وهي الكتابة المسمارية التي طوروها حوالي سنة 3200 قبل الميلاد. وبشكل اختراع الكتابة وإدخالها في الاستعمال العام أهم حدث في التاريخ الفكري للبشر، فهو الحد الذي يفصل بين مرحلة ما قبل التاريخ، والمراحل التاريخية اللاحقة. سميت الكتابة السومرية بالكتابة المسمارية لأن شكلها يشبه المسامير. والسبب في ذلك عائد إلى طبيعة المواد التي استعملوها في الكتابة: ألواح من طين تغمس الكتابة فيها غمساً بواسطة قلم من قصب فيشكل الغمس في الرقيم الطيني مثلثاً يشبه رأس المسمار. ثم تخط خطوط عمودية وأخرى أفقية فيحصل على شكل مشابه للمسار. بعد ذلك كانت الألواح الطينية الرطبة توضع في تنور وتطبخ بالنار وتصلب تمهيداً للاحتفاظ بها. وكانت الكتابة المسمارية في طورها الأول كتابة صورية كالهيروغليفية، ولكن السومريين سرعان ما طوروها لتصبح كتابة مقطعية وبهذا تم اختزال الرموز المستعملة فيها إلى أصوات المقاطع في اللغة السومرية البالغة حوالي 598 مقطعاً صوتياً.

11)فرسان الهيكل والمحفل الماسوني (بريطانيا منبت الباطنية الصهيونية العالمية) أسرار الماسونية مايكل بيجنت . ريتشارد لي . ترجمة:محمد الواكد . مراجعة وتدقيق: د .حسن الباش، 2009م.

أفضل تحقيق ينشر حتى الآن في تسليط الضوء على تطور الماسونية.

في هذا الكتاب يتتبع المؤلفان هروب فرسان الهيكل بعد عام 1309م من أوروبا إلى اسكتلندا التي وضع فيها تراث فرسان الهيكل جذوره، وجرى الحفاظ عليه من شبكة العوائل النبيلة هناك، ذلك التراث نشأت منه الماسونية، وأصبحا مرتبطين بقضية (آل ستيوارت) التي حمت تراث فرسان الهيكل، وكانوا مرتبطين بعمق بالماسونية الناشئة آنذاك. الكتاب يظهر أن ولادة الماسونية حصلت خلال بقاء تقاليد فرسان الهيكل، ومن تيارات الفكر الأوروبي، ومن اللغز المحيط بمصلى روزلين، ومن مجموعة خاصة من الأرستقراطيين الملازمين كونهم حراساً شخصيين للملك الفرنسي.المؤلفان في مطاردتهم للماسونية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر يكشفان ماهو أكثر إثارة، تأثير الماسونية كونها عنصراً أساسياً في تشكيل الولايات المتحدة الأمريكية من خلال تغلغل الماسونية في المجتمع البريطاني، لتجسد «الجمهورية الماسونية المثالية».ومن هنا يستطيع أي قارئ لهذا الكتاب أن يكتشف سر التحالف العقدي بين اليهودية والبروتستانتية الأصولية في أمريكا وبعض بلدان أوروبا .يحاول المؤلفان أن يبعدا الحديث عن هذا التحالف بين الصهيونية البروتستانتية والصهيونية اليهودية، لكّن التاريخ يثبت أن المهاجرين الأوائل إلى أمريكا كانوا في معظمهم من الماسونيين المتحالفين مع اليهودية قبل تبلور الحركة الصهيونية السياسية. وإذ نسلط الضوء على أكثر من خمسمئة سنة من التطورات الخاصة بفرسان الهيكل والماسونية الأمريكية ذات الجذور البريطانية فإننا نقدم للقارئ العربي هذا الكتاب، لأنه أكثر من تاريخ وأكبر من وثيقة، يدمغ الماسونية بدمغة الحركة الباطنية المدمّرة، والتي تسعى في النهاية لتحقيق حلمها بهدم المسجد الأقصى وإقامة الهيكل المزعوم على أنقاضه متحالفة مع الاحتلال الصهيوني الماسوني العالمي.

http://kotob.has.it

12) الإرث المسيحي - أدلة مذهلة على السيد المسيح وعلى جمعية سرية لا تزال مؤثرة حتى اليوم! ريتشارد لي - مايكل بيجنت - هنري لنكولن، ترجمة: محمد الواكد، 2009م.

هذا هو الكتاب الذي يكشف فعلاً أجوبة الأسئلة المثيرة والمزلزلة،أربع سنوات من البحث والتمحيص كشفت المزيد من الأدلة المريعة والنتائج المزلزلة بعد كتابي «شيفرة دفنشي» و «الدمّ المقدّس والكأس المقدّسة» اللذين قوّضا تماماً أسس الديانة المسيحية، ما المعنى الاستثنائي الذي يكمن خلف لقب السيد المسيح «ملك اسرائيل»؟ .هل كان هناك أكثر من مسيح واحد؟. من هم حقاً الذين كانوا أتباع السيد المسيح، وما الهويّة الحقيقية لسمعان بطرس ويهوذا الأسخريوطي؟. من يمتلك الآن الكنز القديم الذي كان في هيكل سليمان في أورشليم؟ .ما المصدر الحقيقي «لأصول» الديانة المسيحية الراهنة؟. ما الذي يربط بين الفاتيكان ووكالة المخابرات الأمريكية المركزية (CIA) ومجلس أمن الدولة السوفيتي (KGB) والمافيا والماسونية وفرسان الهيكل؟. ما الهدف المذهل للجمعية الأوروبية السريّة التي تنسب جذورها إلى السيد المسيح وآل النبي داوود؟.

في هذا الكتاب أحضر المؤلفون رسالة تنوير للحقيقة وأهمية عاجلة لكل المسيحيين وغير المسيحيين في كل أنحاء العالم.

13) المكان المقدس الكاهن سونير وفك شيفرة اللغز العظيم لقرية رين لي شاتو. عاصمة أسرار التاريخ الفرنسي، هنري لنكولن،ترجمة:محمد الواكد مراجعة وتدقيق: د .حسن الباش، 2009م.

من المؤلف المشارك في الكتب التي أسست قاعدة انطلاق لكتاب شيفرة دافينتشي، يأتي الكتاب الذي يكشف عن تحفة فنية معمارية مسيحية واسعة ونادرة، إنه معبد هائل ذو أشكال هندسية معقدة في جنوب فرنسا، ويمكن ارتباطه بالكأس المقدّسة .هذا الكتاب يتحرّى عن رين لي شاتو، وهي بلدة صغيرة في جنوب غرب فرنسا، في هذه البلدة، وفي أواخر القرن التاسع عشر اكتشف كاهن القرية المدعو بيرينجر سونير سلسلة من المخطوطات الكتابية التي قادت تباعاً إلى كنز عظيم ولكنه ملعون، إنه الكنز الذي تحدّى العديد من المعتقدات والتقاليد المسيحية، بما فيها إمكان استمرار سلالة السيد المسيح حتى الوقت الراهن، قصّة الكنز تعود في التاريخ لتتخلل الحملات الصليبية، وأصول فرسان الهيكل والولادة البتولية ذاتها . كتاب دان براون الذي تربع على رأس قائمة الكتب الأكثر رواجاً دولياً في الوقت الراهن أوقد النار والفضول من جديد فيما يتعلق بهذا المكان القديم الحاسم، في المكان المقدّس يكشف لنكولن بالمزيد من الاستطلاعات والتفسيرات والتحليلات أنّ هذه المنطقة في جنوب غرب فرنسا هي موقع لمكان مسيحي مقدّس، يتميز بأهمية هائلة وحجم عظيم. يحتوي الكتاب على أكثر من مئة صورة وعلى مخططات توضيحية ومخططات لسونير ورين لي شاتو، إضافة إلى المخطوطات الكتابية التي كانت الحافز الأساسي لاكتشافات سونير، والأسس الهندسية التي استندت إليها تلك الاكتشافات.

14) عصر حماس - شاؤول مشعال - أبراهام سيلع - قراءة وتعليق :علي بدوان2009م.

(عصر حماس) لكاتبين إسرائيليين، عملا منذ فترة طويلة ومازالا في حقل الكاتبة والإعلام في الصحف الإسرائيلية وأهمية الكتاب تنبع أولاً من كونها تقدم بصورة ما، رؤية إسرائيلية صهيونية لتنظيم فلسطيني بات يشكل قوة كبيرة ذات حضور سياسي وجماهيري في الشارع الفلسطيني، وطرفاً أساسياً في معادلة معقدة مازالت تحكم الصراع العربي والفلسطيني مع العدو الصهيوني .الكتاب يحتفظ بأهميته في سياق قراءة مقدمات الرؤية الصهيونية، كيف كانت وكيف أضحت مع سيل من الأحداث التي تكاثفت في ساحة الصراع الفلسطيني والعربي مع العدو الإسرائيلي، وهي تطورات فرضت نفسها أولاً داخل المجتمع اليهودي على أرض فلسطين التاريخية، ووضعته أمام نقاشات من نوع جديد، مع تصاعد الأسئلة المصيرية التي أصبحت أسئلة يومية تطرح نفسها على كافة مستويات وشرائح المجتمع الصهيوني، ومن بين الأسئلة التي كانت ومازالت الأكثر تواتراً، نجد منها الأسئلة المتعلقة بجدوى السياسة الإسرائيلية المتبعة تجاه حركة حماس بشكل خاص وعموم قوى المقاومة الفلسطينية بشكل عام .وهناك قناعة شبه راسخة باتت تشير للإسرائيليين بأن حركة حماس تتمتع بتأييد اجتماعي قوي وحضور مؤسساتي مؤثّر، وتأثير سياسي غير متناه داخل الرأي العام الفلسطيني، وقدرة على التكيّف في الظروف الصعبة، وخاصية مميزة بصفتها حركة جماهيرية تُربطها المؤسسات بترابط متين لحاجات المجتمع، مما جعل منها قوة سياسية من الصعب تجاهلها من حيث حضورها ونشاطها المدني في المستقبل الواضح للعيان، وبأن أجيالاً جديدة من شبان ورجالات المقاومة مازالت تنبع وتتوالد في فلسطين، حيث لم تستطع آلة القتل والتدمير الإسرائيلية من اجتثاث المقاومة وفصائلها، أو من تحييدها ووضعها خارج دائرة الفعل والتأثير.

http://kotob.has.it

بسم الله الرحمن الرحيم

تم تحميل الملف من

مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الاديان

The Guided Islamic Library for Comparative Religion

http://kotob.has.it

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة إسلامية مختصة بكتب الاستشراق والتنصير ومقارنة الاديان.

PDF books about Islam, Christianity, Judaism, Orientalism & Comparative Religion.

لاتنسونا من صالح الدعاء

Make Du’a for us.